علامة السيد محمد تقي المدرسي



البعث الاسلامي

العلامة السيد محمد تقي المدرسي

البعث الاســــلامي

المركز الثقافي الاسلامي

اسم الكتاب: البعث الاسلامي

المؤلف: العلامة محمد تقي المدرسي

الناشر: المركز الثقافي الاسلامي

الطبعة الاولى

التاريخ: ربيع الثاني ١٤٠٤هـ/ يناير ١٩٨٤م

المقدمـــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين..

في شهر الله الفضيل، شهر رمضان المبارك، وفي خضم صراع المؤمنين مع قوى الجاهلية والنفاق، على امتداد العالم الاسلامي، كنا نجتمع وثلة من المؤمنين، لنلقي احاديث في استراتيجية الاصلاح في أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). وقد وفقنا الله سبحانه لالقاء ستة وعشرين حديثاً، في هذا الحقل، وكانت تذاع عبر الأثير. مما اثارت حماس بعض الأخوة للمبادرة بكتابتها وتصحيحها ومن ثمّ اعدادها للنشر.

والآن حيث طلب مني كتابة تقديم لها بعد سنة ونصف، ارى أشياء كثيرة قد تغيرت في العالم وأكثرها تدعم الأفكار المطروحة في تلك الاحاديث.

واسأل الله ان يغفر لنا تقصيرنا وان يجعل مستقبلنا خيراً من ماضينا. وان يدخر لنا صالح أعمالنا ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الاّ من اتى الله بقلب سليم.

محمد تقي المدرسي

١٠/ ٤/ ١٤٠٤هـ

١٤/ ١/ ١٩٨٤م

الفصل الاول:

- منطلقات الثورة الاسلامية
- ما هي الثورة؟
- الاسلام والارادة الثورية
- برمجة الثورة الاسلامية
- النظرية العلمية في الثورة الاسلامية

منطلقات الثورة الاسلامية

كلمات في البدء

●لكي نتعرف على ماهية الثورة الاسلامية وشروطها الذاتية والموضوعية لابد لنا من استنطاق المصادر الاصلية واستقاء افكارنا من منابعها الصافية.

ذلك ان فهم أي مبدأ لابد أن يكون عبر منهاجه، وانطلاقاً من قواعده الفكرية ومنطلقاته الفلسفية، ولا يمكن ان ندرس فلسفة بمنهج علمي تطرحه فلسفة اخرى وكذلك الاسلام لابد ان يعرف بمنهجه و بفهم الاطار العام الذي يطرحه للحياة ولا يمكننا ان ندرك نظر الاسلام الى الثورة من دون ذلك.

و بصائر القرآن واضحة حول الانسان والحياة مما يشكل اطاراً لفهم النظرية الاسلامية في الثورة، فالاسلام يرى ان هذا الكون برحابته وبما يحتو يه من المجرات الهائلة مخلوق لله ابدعه بارادته وطبق موازين العدل الالهي، فالارض اشرقت بنور ربها والسموات امسكها بيده وهي مطو يات بيمينه.

[وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطو يات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون]

—٦٧/ الزمر—

فالكون ليس صدفه جاء بلا سبب و ينطفيء يوماً ما بلا مبرر معقول. وحركة الكون -كوجوده- لا تخضع للصدفة (كما يزعمون) بل هي سنة ثابتة دائمة وفق حسابات دقيقة الى ان يشاء الله ربها، وهذه السنة لن تتغيّر ولن تتحول ولن تتناقض.

[فلن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا]

ـ ٤٣/ فاطرـ

وكل شيء في الكون خاضع لتلك السنة لا يحيد عنها و يعبر القرآن عن ذلك بقوله تعالى:

[يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس]

ـ١/ الجمعةـ

[ولله يسجد ما في السموات وما في الارض]

ـ٤٩/ النحلـ

فكل شيء يسعى ليتمحور حول مركز التوحيد حول النور الأبدي الذي لا يوصف ولا يحدد ولا يؤقت ولا يؤيّن ولا يكيّف وهو:

[الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درّي يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء و يضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم]

ـ٣٥/ النورـ

تلك هي سنة الكون، بيد ان الانسان ذا النفس الامارة بالسوء، والشيطان الموكل بالنفس قد يشذ بها عن قاعدة التوحيد، قاعدة الطاعة المطلقة لله سبحانه والا فالانسان بوصفه ظاهره كبقية ظواهر الطبيعة مخلوق لله و بالتالي يجب ان يسير وفق

سنن الله وتقديره في جانبه الارادي، كما في جانبه البيولوجي ومع هذا لا نستطيع أن نقول ان الانسان كله شاذ في عالم الطبيعة، انما بعد من الانسان وهو البعد الذي يتعلق بالجانب الارادي فقط، وحتى هذا البعد لا يشذ مطلقاً وانما في اطار المحددات الثلاثة التالية:

١ــ بعض الناس يعبدون الله وحده.

٢ــ البعض الذي يعبد الله لا يمكن أن يستمر في كفره أبداً انما يكفر بالله لبعض الوقت ريثما ينجلي عن عقله فيثوب الى رشده.

٣ــ البعض الذي يتمرد على فطرته فيبقى على كفره في حياته فهذا يعاد قسراً الى عبادة الله في الآخرة حيث يكتشف الحقيقة و ينسجم مع المسيرة العامة للكون. وكل هذه الاصناف ينالون هنالك الجزاء الوفاق الذي ينتظرهم.

في هذا الاطار من المسئولية نفهم ان مهمة الانسان في الحياة هي طاعة الله والخضوع لسننه في جوانبها التشريعية والفلسفية. وهذه المهمة لازمة للانسان بمعنى أنه لا يستطيع الفكاك منها بأي حال من الاحوال فقد يتخلى عن بعض جوانب المسئولية هذه لبعض الوقت ولكن سرعان ما يجد نفسه عند الله ليوفيه حسابه، و يعود بالقوة الى سنة الله وملكوت قدره.

وهنا نصل الى النقطة المهمة التي تتصل بالثورة في المفهوم الاسلامي، فمن هذه البصيرة الاسلامية المتكاملة تنبثق نظرية الثورة.

الثورة في الاسلام

على ضوء ما سبق يمكننا تعريف الثورة في الاسلام بأنها تصحيح مسيرة الانسان واعادته الى النظام، الى سنن الفطرة والحياة لينسجم معها و يقطف ثمار الانسجام هذه عاجلا أو آجلا و بكلمات اخرى اعادة الانسان المنحرف الشاذ عن قاعدة التوحيد في عالم الخليقة الى حظيرة الايمان.

[وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون]

ـ١٥٣/ الانعامـ

وعليه يجب ان يعاد الانسان الى الصراط المستقيم والى مجموعة البرامج والمناهج التي يقوم عليها الكون بكل ابعاده وعملية الاعادة هذه هي الثورة بل هي الرسالة، فهدف رسالات السماء انما هوتصحيح مسيرة الانسان وهذه هي نظرية الحق الالهية التي وردت في القرآن:

[الم تر أن الله خلق السموات والارض بالحق]

ـ١٩/ ابراهيمـ

اذ ان كل شيء قائم على اساس ونظام معين هو «الحق» والشذوذ عنه «باطل» والاعادة الى ذلك النظام تعتبر في منطق الاسلام «ثورة» انطلاقاً من هذه النظرية فانه من الواضح ان الثورة في الاسلام ليست فوضى بل عودة الى النظام، وانما الفوضى هي تلك الحالة من الشذوذ التي يجنح اليها الانسان احياناً انسياقاً وراء اهوائه أو لعجزه وجهله، فتلك الحالة «باطل».

[وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً]

ـ٨١/ الاسراءـ

وربما كانت كلمة «زهوقا» تعني فيما تعنيه المتناثر والغيرمرتبط بنظام، كما ورد في اية أخرى:

[ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً]

ـ٢٨/ الكهفـ

يعني متناثرا فوضويا، فالثورة في الاسلام تعني اذن اعادة الانسان الى النظام

والشاذ الى القاعدة والباطل الى الحق، اذ ليس كل هدم ثورة، ولا كل اضطراب وهيجان ثورة، لان الثورة نابعة من صميم النظام وما يدّعيه المنحرفون (كالطغاة) أنه نظام، ليس كذلك، لان نظامهم الذي يزعمونه هو شذوذ عن مسيرة الكون، ولذلك فهو فوضى وليس نظاما.

وهذا الاستنتاج يهدينا بدوره الى بعد آخر للثورة وهو ان الثورة مبرمجة ذاتياً منذ بدايتها، فالثورة الاسلامية لا تدعو الناس الى شيء مجهول وغير معقول، لا تأمرهم بالتحرك ثم بعد ذلك تدعوهم ليجلسوا و يبرمجوا الامور.. أبداً انها تدعوهم الى برنامج منذ اللحظة الاولى، وكل خطوة يقطعها الناس في طريق الثورة الاسلامية انما لبرنامج معد سلفا وكل الخطوات قائمة على اساس برنامج الاسلام.

ينبغي على واقع الانسان ان ينسجم مع الكون وعالم الطبيعة. وان اي شذوذ بحاجة الى ثورة لاعادة المياه الى مجاريها وهذا معنى عدم مهادنة الاسلام لأي انحراف، وهو مغزى تاكيد القرآن الكريم لانبياء الله عليهم الصلاة والسلام ان لا يتنازلوا عن ذرة من مبادئهم مهما اصابهم لان الباطل محدود الأجل بينما النصر للحق، فالعوائق محدودة زمانية كانت أو مكانية، وهذا يعني ان الباطل لا يمكن ان ينمو بينما **(ما كان لله ينمو)** لذلك على صاحب الرسالة ان لا يأبه لما تعترضه من صعاب آنيّة.

الثورة على الطاغوت

ان الثورة الاسلامية تعني بلغة السياسة ان الانسان اذا تسلط على الغير بالقوة وفرض سيطرته على الآخرين بالقهر فذاك هو «الطاغوت» الذي لابد من اشعال الثورة ضده حتى يتم تحطيمه واسقاطه. والطاغوت هو من يطغى بنفسه مستكبراً على سنة ربه وفطرته وطبيعته و يريد حفنة من الاخرين ان يسايروه في طغواه، ليفرض بعد ذلك على الناس طاعته واتباع فلسفته وتشريعه وثقافته عن سنة الله التي تمرد عليها،

لتحويل ولائهم له ومن ثم الشرك بالله والانفلات من توحيده سبحانه في الخلق والتشريع والعبادة والسلوك. فالثورة اذن لاسقاط الطاغوت، ولقد أمرت آيات كثيرة الناس بالثورة على الطاغوت، ولكن الاية ٣٦ من سورة النحل تتضمن هذا المفهوم بكثير من الشمولية، يقول تعالى:

[ولقد بعثنا في كل امة رسولاً ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقّت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين]
ـ ٣٦/ النحل ـ

ان الهدف الذي يحمله الانسان ـ الرسول العابد لله ـ ان يكون ثائراً في وجه الطاغوت حتى اسقاطه، لان اجتناب الطاغوت في الآية في مقابل عبادة الله، وهذا يعني: ان من يعبد الله لا يمكن ان لا يكون ثائراً، واجتناب الطاغوت لا يعني عدم الرضوخ له، وذلك بالهرب بعيداً عن الطاغوت، وانما الاجتناب يعني الازالة تماماً كقولنا اجتناب النجاسة يعني ازالتها والطاغوت عند الله احقر من النجاسات لانه اكثر قذارة، كما تزيل البول اذا اصاب جسمك، لان الله يأمرك باجتناب النجاسات كذلك الأمر إذا تفشى في المجتمع نظام طاغوتي فان المجتمع مطالب باجتناب الطاغوت، وذلك بالتطهر من دنسه ورجسه، اذن فاجتناب الطاغوت بحد ذاته عبادة لله، والله بعد ذلك يهدد **(ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين)** وهذا ما سنعود الى تفصيله بعد حين.

• منطلق الثورة في الحقل الثقافي

ماذا يقول القرآن ازاء سيطرة الطاغوت ثقافياً والارهاب الفكرى بكل اشكاله من الغزو الثقافي والتحذير والتبرير وما الى ذلك.

ان القرآن الكريم يهتف بنا قائلا:

﴿ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت و يقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً﴾

ـ ٥١/ النساء ـ

ان الذين أوتوا نصيبا من الكتاب هم رجال العلم والمثقفون ورجال الفكر فالعالم مهما كانت مكانته أو صفته ينبغي له ان يكون بعيداً عن «الجبت» أي المصلحة والانانية والوصولية ولا يخفى ان هوى النفس وحب الدنيا وشهوة الرئاسة ان عرفت سبيلا الى رجال العلم والفكر فان ذلك معناه الوقوع فريسة في شباك الطاغوت، والعلم التابع لسياسية الطاغوت هو نوع من الثقافة التي تفرزها السياسية المنحرفة الباطلة، والثورة على الطاغوت هنا هي بالذات العودة الى الثقافة السليمة والعودة الى الولاء الصحيح.

من ناحية أخرى ان رجل العلم الذي رضي لنفسه بان يصبح «برغياً» في آلة الطاغوت ـ تحت ضغط الهوى والشهوات ـ هو نفسه عالم السوء الذي علينا ان نجتنبه ونثور عليه كما نجتنب الطاغوت نفسه ونثور عليه.ان الخضوع للثقافة الطاغوتية امتداد للرضوخ القسري للسياسة الطاغوتية.

وهذا بدوره يقود الى الشرك بالله وكيف تجتمع عبادة الله مع ثقافة شركية.

لا يمكن ان يدعي احد أنه يعبد الله في ظل الثقافة الجاهلية، أجل ان عبادة الله في ظل هذه الثقافة تعني «الثورة الثقافية» ولا ضير مادمنا واعين لدورنا فان الحديث الشريف صريح في ذلك، حيث يقول:

■(من استمع الى ناطق فقد عبده، فان كان الناطق عن الشيطان فقد عبد الشيطان، وان كان الناطق عن الرحمن فقد عبد الرحمن)

ورجل العلم بخضوعه واستسلامه للطاغوت تحول الى وسيلة رخيصة بيده منذ ان قبل بعبادة الطاغوت واشرك بالله رغم علمه ورغم نور العلم.

وبالتالي على الانسان ان يبتعد عن هذا النوع من العلماء الذين ينطقون عن الشيطان (الطاغوت) وليس عن الرحمن، كما على المرء ان يكون في حصانة من تأثيراتهم السلبية المنحرفة، فقد قال عزّ من قائل:

[والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانابوا الى الله لهم البشرى فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولوا الالباب]

— ١٧، ١٨/ الزمر —

ولان كانت الآية الاولى (٥١/ النساء) قد وردت بحق رجال العلم والعلماء فان هذه الآية قد وردت بشأن الجماهير المؤمنة الذين لا يخضعون للثقافة الطاغوتية لان الخضوع لثقافة الطاغوت فقدان للاستقلال العلمي والثقافي وهذا بدوره مدعاة للضلالة والانحراف.

لذلك فالثورة في ميدان العلم هي رفض ثقافة الطاغوت وعلماء الطاغوت ولا يحدث ذلك بالطبع الا بالثورة السياسية، لان الخضوع سياسياً للطاغوت يفرض التبعية له في المجال الثقافي والعلمي، من هنا لا يتم نسف النظام الثقافي الطاغوتي الذي يؤدي الى استضعاف الانسان واذلاله وسلب حقوقه، الا عن طريق نسف النظام المستبد برمته، كيلا يبقى العلم قمراً يدور في فلك السياسة او الاقتصاد او القوى الاجتماعية وانما يكون العلم لله، فقد جاء في الحديث:

■(من تعلم لله وعمل لله وعلّم لله دعيْ عند الله عظيماً)

انه يطرح برنامج الاسلام في الثورة الثقافية بكل ايجاز ووضوح.

●منطلق الثورة في الحقل الاقتصادي

ان الاقتصاد دعامة قوية من دعائم المجتمع وركيزة اساسية في أي نظام،

والاسلام كنظام تشريعي لم يغفل هذا الجانب فقد أوضح سنن الله الكونية والتشريعية في عالم الاقتصاد اذ يقول تعالى:

[وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون]

ـ٢٢/ الجاثيةـ

أو كما يقول عزّ من قائل:

[وان ليس للانسان الا ما سعى*وان سعيه سوف يرى]

٣٩،٤٠/ النجمـ

فسنّة الله اذن هي ان الانسان لا يملك الا جهده وللاخرين جهودهم، وما زاد عن جهد المرء فهو سرقة من جهود الناس، ورغم ان بعض التفسيرات التي وردت للآيتين الكريمتين خصتها بما يتصل بعالم الآخرة، وهذا صحيح الا ان عالم الآخرة ما هو الا نتيجة لعالم الدنيا أو امتداد له، فالحديث الشريف يؤكد ان:

■**(الدنيا مزرعة الآخرة)**

في الدنيا عمل وزراعة، وفي الآخرة جزاء وحصاد.

وهذا هو الحق الذي بموجبه خلق الله السموات والارض وبمقتضاه لا يحق للانسان ان يسرق منه، كما لا يجوز ان يُسرق،وكما ان له حقوقاً على المجتمع كذلك عليه حقوق، ورجل المال عليه ان يشارك في الثورة ومسئولياتها، حسب الحد الشرعي وحسب تشبع الفرد بقيم الثورة والايثار فمن غير المعقول ان يكنز الفرد المال ولا يقوم بواجباته المالية، ليس من السليم أن يتصرف الفرد في المال تصرفات لا مسئولة، تضر به – كفرد– وتضر بالمجتمع فتضيع بذلك الاهداف المشروعة في سياسة المال.

ان المال يجب ان يكون في خدمة حركة المجتمع، فاذا انحرف الفرد في توظيف

.ماله ضمن هذا الأطار فعلى المجتمع ان يضع يده على المال ويمنعه من التصرفات الشاذه، وذلك طبقاً لما نطق به القرآن الحكيم:

[ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً]

ـــ ٥/ النساء ـــ

فالمال من المجتمع والى المجتمع، وسيلة للتنمية وتبادل الجهد والتعاون البنّاء من أجل رفاه الانسان، ومن أجل عبادة الله و بالتالي فهو في سبيل الله، وهذه هي سنة الله في المال المنسجمة مع السنن الكونية.

اما ان كان المال وسيلة للاستغلال والسيطرة والتبذير او حتى للكنز بخلاً به فانه ليس قياماً وحينئذ فانه مال السفهاء الذي ينبغي الحجر عليه، وهذا يعني ان للمجتمع دوراً معيناً في صيانة المال، فل يجيز للفرد السفيه صغيراً كان او مجنوناً او مبذراً او مستغلاً او بخيلاً أو احتكارياً، التصرف بالمال؟! ان ذلك مضر بمصالح الفرد واربا ك اللوضع الاقتصادي العام.

والنهي الصريح «لا تؤتوا» في هذه الآية كالأمر الصريح في الآية السابقة «**واجتنبوا الطاغوت**» تأكيد قطعي على الفعل، رفض، ثورة وتمرد، في الآيةالاولى كما أنه في الثانية تحريض ومنع ومصادرة لأموال السفهاء لمصلحة الحق، وهو معنى القيام ــ كما يبدو لي ــ بما يقيم المجتمع، وهذا قريب من معنى النضال وما يحتاجه من الدعم والمثابرة.

●منطلق الثورة في الحقل الاجتماعي

حينما يقرر القرآن الحكيم مؤكداً:

***[ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر**

والبغي يعظكم لعلكم تذكرون* وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون]*

ـ ٩٠+٩١/ النحل ـ

وفي آيات كثيرة غيرها، كما يؤكد على حرمة الفرد والمجتمع على حدّ سواء، فللفرد حرمته كما للمجتمع حرمته والحقوق حرمات لا يجوز الاعتداء عليها بأي حال من الاحوال والمجتمع الذي تسوده الديكتاتورية والاستبداد ويحكم معاملاته الظلم ولو كان بمقدار ــ جلب شعيرة ــ كما يقول الامام علي (عليه السلام)، فهو مجتمع غير اسلامي، هو مجتمع الطاغوت، مجتمع الفساد والتفسخ والانحلال وهذا الوضع لابد ان يتغير، كان عمر بن الخطاب في جمع من الصحابة فيهم سلمان الفارسي، فقال عمر أملك أنا أم خليفة؟

فقال سلمان: «**ان جبيت من ارض المسلمين درهماً أو أقل أو أكثر وضعته في غير حقه** (اي ضلماً وجوراً فانت ملك غير خليفة..!)». و بديهي ان الخلافة هي وفق سنة الله **[ومن احسن من الله حكماً]** بينما الملك جاهلية وطاغوت، ومقدار درهم بل أقل، يوضع في غير محله يقلب موازين العدل والاحسان، مما يوجب الثورة حتى تستقيم الامور.

هذه منطلقات الاسلام للثورة في الحقل السياسي والثقافي والاقتصادي والاجتماعي ، والتي تؤكد لنا أن الاسلام بذاته ثورة في كل الميادين والحقول وما هو بثورة في المال وحسب، أو ثورة في السياسة فقط، وانما في جميع اشكال المجتمع وقواعده التحتيــة، ثورة على الطغيان والاستبداد وتمرد على الفساد وعودة الى الحق ولعل لفظة «الحنيف» في قوله تعالى عن النبي ابراهيم(ع):

[ان ابراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين]

ـ ١٢٠/ النحل ـ

تعبر بعمق عن الفكرة الثورية في الاسلام، ولهذا يعبر الرسول الاعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) عن الثورة الرسالية بهذه الكلمة قائلا:

فهذه اللفظة تشير الى اتجاه الاسلام الثوري، فالحنفية تعني الميلان، ولكن باتجاه الحق نحو الصراط المستقيم، وهكذا حينما يكون المجتمع كله يسير في اتجاه الباطل، ثم يقوم من يتمرد عليه و يسير في الاتجاه الصحيح، منحرفاً عن المجتمع الى الله ، فانه آنئذ من اتباع ابراهيم الخليل(ع) لأنه كان حنيفاً ثار على مجتمعه في كل الابعاد وليس في بعد واحد فقط.

●الثورات الجانبية

اما الثورات التي حدثت في العالم فغالباً ما كانت ثورات جانبية أي تمس جانباً واحداً من جوانب المجتمع وتترك الجوانب الأخرى فيه: اما ثورة سياسية أو اخرى ثقافية أو ثورة تهدم البنى الاجتماعية القائمة او ثورة لتصحيح الاوضاع الاقتصادية وهكذا، فشمولية الثورة الاسلامية هي الفارق اضافة الى فروق أخرى ــ بين الثورة في الاسلام و بين الثورات ذات المنطلقات الوضعية والمحتوى المادي.

ومادامت الثورة هي طلب الاصلاح الشامل ضد الانحراف الذي دبّ في المجتمع او سار نحوه المجتمع، فان هناك سؤالا في هذا الاطار .. عن صمت المجتمع، فهل ان قبول افراد المجتمع بالطاغوت يعطيه الشرعية، وهكذا سكوت المجتمع عن الاوضاع الفاسدة السائدة، هل تسحب من الانسا ن الثائر مبرر الثورة؟

بايجاز كلاّ.

ان الثورة لا تبدأ حينما يعم الاستياء كل الجماهير بعد ان تسحقها الفئة المنتفعة ــ بطانة وحاشية ــ كلاّ. انما الثورة تبدأ منذ اللحظة الاولى التي ينحرف فيها المجتمع سواء كان راضياً أو ساخطاً.

فالنبي حين يأتي بالرسالة الجديدة لا يتوقع ان يستقبل المجتمع منه ذلك بسهولة ماداموا ضلالاً، والقرآن يذكرنا دائماً عبر قصص الانبياء، ان الاقوام التي كثيراً ما عانت من ظروف القهر والاستغلال والارهاب، كانوا بدورهم يحاربون الانبياء(عليهم السلام) الذين لم يكونوا ليهنوا أو يتوانوا في تبليغ رسالات الله، من هنا لابد من الاصرار والمتابعة وتوعية المجتمع وكشف زيف الانظمة الطاغوتية حتى يعود العباد الى عبادة الله شاءوا أم أبوا وهذا معنى قوله تعالى:

[فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة]

فمن استمع الى القول واتبع احسنه لصفاء سريرته، وحسن طويّته ومسارعته للخيرات فانه يسعى نحو تحويل الصمت الى ثورة بعد ان تلمس منطق الحق في رسالة النبي وأولئك من هدى الله، اما من تنكر للحق بسبب الاهواء المتكاثفة وتركز العبودية الثقافية في نفسه فأولئك لن يعطوا الطاغوت حق الاستمرار ولن يسلبوا من الرسالي مبرر الثورة.

وانطلاقاً من هذه الحقيقة فاننا لانعتبر المجتمعات الامريكية والاوروبية أو أي مجتمع آخر قبولا بهذا النظام أو دلك، لان الطاغوت قد سلب الجماهير ارادتهم وشل بثقافته قدراتهم وتفكيرهم، وعليه فهل نسكت عنهم، ان هذه المجتمعات هي ممن عناهم ربنا سبحانه وتعالى حينما قال:

[ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كانت عاقبة المكذبين]

واذا كان هنالك طاغوت وتحته مجتمع راض بحكمه ـــ أي مجتمع طاغوتي ـــ فانه لا يعني ان هذا المجتمع بعيد عن غضب الله وعذابه، انما هو مكذب بآيات الله، والله سبحانه وتعالى معاقبه اشد العقاب، وسنشرح ذلك بالتفصيل ان شاء الله في

الاحاديث القادمة.

ان عمق النظرية الثورية في الاسلام قد جعل المفارقات الموجودة بينها و بين النظريات السائدة في العالم كبيرة جداً وفي رأيي ان تلك النظريات قد ساهمت مساهمة كبرى في استغلال الجماهير وتضليلهم، لانها قد أعطتهم سلاحاً فاسداً حسبوه صالحاً وراحوا يحاربون به، فاذا بهم يسقطون ضحية الاستغلال مرة أخرى.

ومن هنا حق لنا ان نقول ان الماركسية او الوجودية او الليبرالية او القومية ليست بنظريات ثورية، وانما هي تشبه الثورية فيخدع بها الناس .. وتخدع بها تلك الفطرة الصافية للبشرية التي تسعى من أجل الحق والحرية والكرامة، و بذلك تضحى هذه النظريات من حيث يدري اصحابها أو لا يدرون سبباً لتكريس الفساد والطغيان بدل الحرية والعدالة والامان.

ما هي الثورة؟

● ما هي الثورة التي نقصدها..؟ وهل هناك حدود فاصلة بينها وبين الحركة الاصلاحية التي تستمر طبيعيا في الحياة أم لا..؟

لقد اصطلح الناس على تحديد معنى الثورة بالتغيير الجذري فهي في الاصل «اثارة» والاثارة عملية لا تتم الا بتغيير أساس واقع حتى يثار ذلك الواقع، ثم يتحول الى واقع آخر.

وهناك فرق واضح بين الثورة والاصلاح ــ في المصطلح السياسي الحديث ــ وهو ان الاصلاح عملية مستمرة في حياة الانسان، سواء كان هذا **الاصلاح** في المجال المادي أو المعنوي، فحياة البشرية تسير نحو الاصلاح (كما يراه البشر سواء اخطأوا في تقدير حالة الصلاح أم أصابوا).

بينما الثورة ظاهرة لا تتكرر الا في ظروف خاصة وتختلف مضامين الثورة باختلاف الفلسفة التي تقف وراءها، فالفلسفة المادية تعتقد ان الثورة هي التحول الجذري في حياة الانسان باتجاه تغيير واقعه الفاسد المتمثل في التخلف، في حين ان الفلسفة الاسلامية تنفي هذه الفكرة أساساً وترى ان الثورة الحقيقية هي تغيير حياة الانسان القائمة على أساس الانحراف واعادتها الى فطرتها المستقيمة، وخلال (تنظيرنا)

للثورة لا نجد نص كلمه «الثورة» في الاحاديث المأثورة والنصوص القرآنية، ولكن لا ريب ان الأحاديث والآيات تتضمن «مضمون» هذه الكلمة، وسوف نشرح تعبير هذه النصوص عن الثورة فيما بعد.

●شروط الثورة

وهنا سؤال يطرح نفسه ــ اذا كانت الثورة تختلف جذرياً عن عملية الاصلاح ــ باعتبار ان الاصلاح عملية يومية تتكرر في حياة البشر واذا كانت الثورة ظاهرة لا تتكرر بصورة مستمرة في حياة الانسان، اذا كانت كذلك فما هي الظروف الموضوعية التي تنبت فيها الثورة..؟ وما هي أرضيتها؟ متى تقوم.. ومتى تتفجر هذه الظاهرة التي لا تتكرر..؟

***ان الشروط الموضوعية للثورة هي:**

●**اولاً:** انحراف واضح في مسيرة المجتمع.

●**ثانياً:** شعور عميق بهذا الانحراف.

●**ثالثاً:** ارادة حازمة لتغيير هذا الانحراف.

●**رابعاً:** برنامج عمل لصبّ تلك الارادة الحازمة في قناة التغيير العملية.

وهذا يعني ان الثورة لا تتحقق دون توفر انحراف بعيد عن فطرة الاستقامة للانسان والمجتمع، أو وجد انحراف، ولكن لم تشعر به مجموعة من الناس شعوراً عميقاً وكافياً للتحرك أو شعروا ولكن لم يجدوا في أنفسهم الارادة الكافية أو لم يجدوا البرنامج المناسب لتغيير ذلك الانحراف، فآنئذ لا تتحقق الثورة رغم وجود الانحراف.

وهذه الشروط الأربعة ان لم تتوفر فان الثورة لا تحدث، وانما تتحقق حركات اصلاحية أو تستمر الأوضاع الفاسدة كما هي، بل وتتردّى.

وهناك تعريفات أخرى للثورة ولظروفها نتجاوزها لعدم أهميتها.

● هل للثورة ظرف خاص؟

و يبقى سؤال آخر هام يقول: هل الشروط الأ ربعة للثورة قائمة اليوم في عالمنا الاسلامي، أو حتى في العالم ككل؟

ونترك الاجابة عن هذا السؤال الكبير الى احساس الانسان ونظرته العابرة لما حوله من أحداث وظواهر. بالنسبة لنا ــ كمسلمين فاننا لا نجد وقتا في تاريخنا أنسب للثورة من عصرنا الحاضر، و يكفي أن ننظر الى ما حولنا.
فقد يتبلّد احساس الانسان بسبب تكرر المأساة كما يقول الشاعر العربي المتنبّي:

من يهن يسهل الهوان عليه ــــ ما لجرح بميّت ايلام

فالذي يعيش في بؤرة فاسدة لا يشعر بعفونة الجوّ!، بل يتعوّد عليه، ولكن اذا غيّر مكانه أحسّ بالتغيير الذي طرأ على حياته، اما ان عدنا الى فطرتنا ونظرنا لما حولنا بالمقاييس التي وهبها ربّنا سبحانه وتعالى ــ أي بمقاييس الانسان كانسان ــ بان نرجع الى أنفسنا ونسألها ماذا تريد..؟ الحرية أم القمع والارهاب..؟ هل تنشد الكرامة أم الاهانة والذلّ..؟ هل تطلب المعرفة أم الجهل والتضليل..؟ وهل تفضل الوحدة والوفاق أم التجزئة والخلاف..؟. ثم و بعد ان نبلور فطرتنا دعنا ننظر الى العالم، و بالذات الى عالمنا الاسلامي.. فما عسانا نرى..؟

اني اعني هنا هؤلاء الشبيبة الذين لم تتلوث نفسياتهم بوسخ الجاهلية الحديثة. ولا تزال شعلة الرفض متوهجة في اعماقهم، ولا تستطع اجهزة الارهاب الفكري والسياسي ان تدجن نفوسهم او تمسخ فطرتهم النقيّة ونفوسهم الأ بيّة!!.

انّي ادعوهم للعودة الى فطرتهم وهم في مقتبل العمر، وليسألوها ماذا نريد من هذه الحياة؟ اما أولئك الذين تجاوزوا هذا السن ليعودوا بذاكرتهم الى الماضي ــ أيام نشأتهم وشبابهم ــ هل كانوا يحلمون بحياتهم التي يعيشونها الأن أم لا..؟

ذلك لأن الشباب الناشيء في الواقع وخلال المراهقة هم المقياس الفطري لحياة الاستقامة البعيدة عن الانحراف، لان أيام الشباب هي الايام التي يكشف الله فيها عن عقل الانسان، ففي تلك الايام يهب ربنا تقدّست أسماءه لقلب الانسان فجوره وتقواه حسب ما جاء في الاحاديث الشريفة، فتلك الأيام هي مقياس تقييم الحياة، فلنتساءل اذن من خلال استعادة ذكريات تلك الأيام ــ أي حياة كنا ننشد ــ وأي مجتمع كنا نعيش فيه. ولربما لو قيل لنا في تلك الأيام ان لا أمل في تغيير الأوضاع فهي ستستمر بما فيها من ذلّ وارهاب وقمع، لكنّا نفضل الموت على الاستمرار في الحياة!، ولكن شيئاً فشيئاً استطاعت اجهزة القمع والتسلط بوسائلها القمعية والتضليلة، واجهزة التلويث الفكري والروحي التي تمتلكها ان تتغلب على فطرتنا السليمة وفرضت علينا الامر الواقع.

فلننظر بتلك الفطرة السليمة ــ والعقل الوهاج الذي غرسه ربنا في اعماقنا ــ الى الحياة لنكتشف مآسينا ولنعرف في أي وضع شاذّ نعيش، وهل خلقنا الله سبحانه لمثل هذا الوضع..؟

هل خلق الشعب العراقي ــ على سبيل المثال ــ حتى يصبح لعبة بيد جبّار زنيم يلعب بالنفوس والاموال والاعراض، بل وبالمقدسات الدينية؟

□ لقد نقل لي أحد الوافدين من العراق ان الطاغية صدام فرض على شعبنا المسلم في العراق ان يسلموا عليه باعتباره قائدا، قبل أن يسلموا على الامام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب(ع)، أو على الامام أبي عبدالله الحسين(ع) اذ فرض عليهم أن يبدأوا قبل الزيارة بهذه العبارة «اللهم احفظ لنا صدام قائداً وذخراً في الدنيا والآخرة».

هل خلق الشعب العراقي ليكون صدام، مثل الجريمة والفساد، ذخراً له في الدنيا والآخرة؟ وهل يجعل الله مجرم المجازر والتهجير والاعتداء على الاعراض والابادة بحرب مفروضة وتغيير المعالم الجغرافية والارهاب والاعدامات ذخراً للشعب المسلم؟. ربما فقد البعض في العراق فطرتهم النقية ودجّنوا وروّضوا وسلبت منهم فطرتهم وقالوا لابد أن نقبل بهذا الوضع وكأنه قدرنا ومصيرنا..!

كلا.. ما خلقنا الله هكذا ولا أراد لنا ان يكون صدام ملكاً على العراق او حسني اللامبارك فرعوناً على مصر.. وما خلق الشعب المسلم في الجزيرة العربية ليحكمه القرود، كلما مات قرد نزى على السلطة قرد آخر، وأمر جميع الناس ان يبايعوه ملكاً أو وليّا للعهد..! أبداً لم يخلق شعب الخليج ليحكمهم مجموعة ممن لا دين لهم ولا شرف فيبددوا ثروات المسلمين على نزواتهم الشخصية ثم يخلقوا في تلك البلاد ثقافة تبريرية رجعية فاسدة..!

ان الله لم يخلق الشعوب الاسلامية لتقع تحت سيطرة الامبريالية الغربية أو الشرقية..! فعندما تأمرهم الامبريالية بقطع مساعداتهم عن قوات الردع في لبنان تمهيداً للتدخل الاسرائيلي هناك نجد ان البرلمان الصوري في الكويت يوافق على قطع تلك المساعدات، وفي أقل من اسبوع تقتحم القوات الاسرائيلية المعتدية الاراضي اللبنانية، بينما نجد ان هذا البرلمان الصوري نفسه يفرض عليه ان يوقع مساعدة النظام العراقي العفن فيوقّع..! لماذا الآن «البعث» شيء جديد؟ قوات الردع في لبنان أيضا «بعث» او ان العروبة مقياسكم؟ فأولئك ايضا عرب، وان كنتم تنظرون الى القضية بمنظار المصلحة فمصلحتكم أن تسترضوا جميع الدول العربية!! الا ان وراء الاكمة ماوراءها..! فالله سبحانه وتعالى لم يخلق الشعب اللبناني ليسحق تحت سنابك الدبابات الاسرائيلية، وان تهدم البيوت بل المدن، و يُقتل مئات الألوف من شعبنا في لبنان و يشرّد مثلهم لا لشيء الا لهوى «بيغن وشارون» وكذلك الأمر في تشاد أو «مورو» أو «فطاني» أو «قبرص» أو «افريقيا» وكذا كافة بلاد المستضعفين. هذا التخلف الذي يتمثل في عالم السياسة بالتبعية والارهاب. و ينعكس في عالم الاقتصاد بالتبعية والاستغلال، كما و ينعكس في عالم الفكر بالتبعية والتضليل، وهل هو قدرنا الذي لابد لنا منه..؟

اننا ـ نحن المسلمين ـ نعيش واقعاً مريراً، ما كتبه الله علينا، لذا فلابد ان نعود الى فطرتنا ونحدد الأوضاع الخطيرة والانحرافات الحادة التي آلت اليها حالتنا في العالم الاسلامي. ونظراً لفداحة المأساة وخطورة الانحراف الذي يصعب قياسه بالنسبة

للانحرافات التي تعرضت لها قطاعات بشرية اخرى فالانحراف كبير وبالتالي لا يمكن ان تكون معالجته بالوسائل الاصلاحية تماماً كما لو ابتلي انسان بغدة سرطانية ــ والعياذ بالله ــ فان مجرد تناول العقاقير لا يجدي معه، وانما لابد من اجراء عملية جراحية عنيفة لاقتلاع تلك الغدة كي لا تنتشر وتنهي الحياة، وكذلك التخلف في واقع الامة ماذا بامكان الحركات الاصلاحية ان تفعل ازاءه فالاعداء لا يكتفون بالهدم، وانما هدم مع تغيير الفطرة وتحريف الفكر وتزوير الارادة واستبدال الثقافة لننقاد لهم طوعاً ورغباً لا اكراهاً ورهباً! وهذا ما نلاحظه اليوم حيث تنساق الملايين من الشبيبة في العالم الاسلامي وراء الاتجاهات الشرقية والغربية! وتلك انتكاسة ماحقة ان يركض الانسان وراء مستغليه وجلاديه! فماذا نصنع ازاء هذا الامر الخطير انهم يسلبونا اعزّ ما نملك وهو العقل فهل نتفرج على هذا الفعل الرهيب..؟

● الطلائع ومسؤوليات الثورة

ان الاحساس العميق بضرورة الثورة على الاوضاع الفاسدة لا يحتاج الى أن يتحسس الجميع بعمق الانحراف الذي دبّ في الامة،وانما يكفي ان تتحسس الصفوة المؤمنة من أبناء الامة بهذا الانحراف لتحمل رسالة الثورة، فمسئولية الطليعة الرسالية، توعية الجماهير، وحملها على الاحساس بالخطر المحدق وبالتالي ما هي واجباتها تجاه الانحراف، وهذا الشرط، من شروط الثورة ــ قد تحقق والحمدلله في عالمنا الاسلامي والا لما امتلأت سجون الطغاة بشبابنا، أو بالنخبة المثقفة والصفوة الطلائعية من شبابنا، اذ ان السجون مكتظة بالمفكرين والعلماء والخطباء وبالاطباء والمهندسين والصيادلة وخريجي الجامعات ومحاضريها .. في العراق والخليج ومصر والسودان وتونس والجزائر والمغرب وأنّى توجهت تجد أفضل ابناء الامة في المعتقلات!. وهذا دليل على ان هؤلاء جميعاً احسّوا بضرورة التغيير الجذري، ولو كان هؤلاء جميعاً ينادون باقامة الصلاة فقط، دون شرطها وشروطها لما منعهم احد مما يريدون!! وفي كتابه «الحكومة الاسلامية» يذكر الامام الخميني «حفظه الله» بأن المندوب

السامي البريطاني حينما قدم العراق سمع الأذان من المنارة لأول مرة فسأل أحد مستشاريه: ما هذا؟ فقال إنه اعلام للصلاة قال: وما الصلاة؟ ـ طقوس عبادية تؤدى جماعة في المساجد، فسأل: وهل تضرنا صلاتهم؟ هل يتحدثون فيها عن احتلالنا لبلادهم ـ قال: كلا.. قال اذن فليصلوا الى الليل!! أجل طالما ان الصلاة لا تضرهم فصل ماشئت وابن المساجد ماشئت وأسس جمعيات خيرية ماشئت، أو مستشفيات، وغيرها فهذا يخدمهم، ولكنهم سيعارضون أشدّ المعارضة اذا تحدثت عن سياستهم أو اقتصادهم أو سيطرتهم على بلادك!.

من هنا فان الذين يقبعون في السجون ما سجنوا لأنهم بنوا مساجد او جمعوا تبرعات للمساكين، انما سجنوا لأنهم عارضوا هذه المؤسسة الفاسدة، والكيان الجاهلي القائم في بلادهم سياسياً وثقافياً واقتصادياً واجتماعياً، ولذلك ايضا وجدوا أنفسهم امام المشانق وفرق الاعدام.

ومن الطريف ان نجد الاحزاب غير الاسلامية «المعارضة»(...) تحاول هي الاخرى الاستيلاء على السلطة ومع ذلك ترك لها مجال العمل بحرية!! وما ذلك الا لأنها امتداد للسياسة الاستغلالية والاستعمارية، فالحزب الشيوعي في تونس حر، ولكن الاتجاه الاسلامي ممنوع رسمياً لان «المجاهد الاكبر»، بل «المنافق الاكبر» في تونس افتى بحرمة تدخل رجال الدين في السياسة!

اما دخول الشيوعيين والاحزاب اليسارية في السياسة فلا بأس! لان الاستعمار يريد اليسار، ولكن اليسار بديلا عن الاسلام لان اليسار يمكن مساومته واستدراجه الى الاحضان، اما الاسلام فلا، لأنه يعارض الكيان الجاهلي ككل، فهذا لا يمكن التفاهم معه، بينما اليسار فانه يريد ان يغير جانباً من الجوانب فقط، فيستبدل عميلا بعميل! وهل يهم شكل العميل او طوله وعرضه؟ أبداً ففي العراق يحكم يوماً عميل باسم القومية، و يوماً باسم الاشتراكية، وآخر باسم الشيوعية، و يوماً باسم البعثية، وغداً باسم آخر والله اعلم. فالمهم ان لا يحكم الاسلام، لأنه الروح الاصيلة في هذه البلاد

والتي ترفض اي لون من التواجد الاجنبي!!، واذن فالشرط الثاني للثورة متحقق ايضا في بلادنا.

واما عن الارادة الحازمة والعزيمة الصادقة لتغيير الانحراف ووضع الخطط والبرامج العملية لهذا التغيير فذلك ما نريد ان نتناوله عبر بحثنا، لان الامة لازالت تفكر بجدية وتبحث صادقة عن طريقة للخلاص من محنتها القاتلة..!

يبقى ان نعود لما بدأناه في اول الموضوع عن موقف الأسلام من الثورة فكما سبقت الاشارة ان القرآن يتطرق بشكل صريح لمضمون الثورة، ولكن دون التلفظ بنص هذه الكلمة «الثورة» بالتدبر في الآيات القرآنية لا نجد دعوة لغير الثورة الجذرية التي لا تعترف بانصاف الحلول أو المواقف المهادنة. بلى، يتحدث القرآن عن الاصلاح ولكنه لا يعني المصطلح المعروف للاصلاح، ففي قوله تعالى:

[ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً ان رحمة الله قريب من المحسنين]

ـــ٥٦/ الاعراف ـــ

[ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب]

ـــ٨٨/ هود ـــ

أقول حين يتحدث عن الاصلاح فليس، بمعنى الترميم مع تقبل الوضع الفاسد القائم فالقرآن صريح في هذا الصدد.. لان المهادنة مع الشرك حرام.

يقول تعالى:

[قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما اعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد * لكم دينكم ولي دين]

ـــ سورة الكافرون ـــ

و يقول سبحانه:

[ودّوا لو تدهن فيدهنون]

ـ٩/ القلمـ

ان الاسلام يرفض لا تباعه ان يهادنوا الظالمين.

[ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلا]

ـ ٧٤/ الاسراءـ

فحتى هذا الشيء القليل من الركون الى الظالمين مرفوض اسلامياً، بل حتى مجرد التمني بمهادنة الفاسدين والمفسدين من قبل المؤمن باطل وحرام فكيف ان يتمنى الرسول او الرسالي ذلك؟!!

من هنا فان الاسلام لا يقبل الترقيعات الاصلاحية بالمفهوم الراهن، وحينما يأمر الاسلام بالتوحيد و ينهى عن الشرك، انما ليلغي سلطة الطاغوت نهائياً لان الطاغوت شرك، وعليه فطاعة القوى السياسية غير الدينية في اي مجتمع اسلامي شرك لأنه قبول بحكم غير ما انزل الله.

[ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء]

ـ٤٨/ النساءـ

ولان الاسلام لا يقبل ان يرضى بحكومة الفساد لحظة واحدة فان الامام علي بن ابي طالب(ع) حالما اصبح الخليفة للمسلمين كتب رسالة الى معاو ية يعزله عن ولاية الشام رغم اعتراض بعض اصحابه على الموضوع، مقترحين مهادنة معاو ية حتى يبايع الامام ثم يعزله بعد ذلك الا ان الامام العادل أبى ان يرضى باجتماع الحق والباطل في لحظة من الزمن!.. **كيف يولي من لا يراه صالحاً للولاية على المسلمين أو ليس خيانة بحق الله ورسوله..؟**

هكذا هو الاسلام، فهل يقبل اليوم بان نخضع للطغاة الذين يتحكمون في رقابنا؟ وهل يرضى بمناهج التربية والتثقيف التضليلية التي تقوم بها الوسائل الاعلامية

والاجهزة التعليمية في بلادنا؟ وهل يسكت عن تحكم القوى السياسية وتسلط كل جبار عنيد؟ أبداً فكل ذلك شرك بالله، والشرك مرفوض من الاساس.

من هنا نستطيع التأكيد بكل اطمئنان ان اساس الاسلام واساس الرسالات السماوية قائم على الثورة الشاملة.

الاسلام والارادة الثورية

● تمهيد

يزعم البعض ان رسالات الله تلغي اساساً مصالح الانسان، وكأن الرسالات السماوية تتجاهل الناحية المادية التي يحرص الانسان على تحقيقها لنفسه واهله ومجتمعه، فهذا البعض حين يقارن بين المذاهب الوضعية والرسالات السماوية، وينظر الى المحور الذي تقوم على اساسه كل نظرية، يجد الفرق بينهما، بأن الرسالات السماوية تتمحور حول الحق، بينما تتمحور النظريات الوضعية حول المصلحة المادية.

ان ما نستوحيه من آيات الكتاب الكريم هو ان محور النظرية الاسلامية هو «الحق والخير معاً»، بينما نظرة المذاهب المادية الى المصلحة نظرة قشرية احادية، فنظرة الاسلام الى مصلحة الانسان وسعادته، وما يتعلق بالخير والسعادة والفلاح نظرة متكاملة في جميع الأبعاد ولجميع الناس وللمصلحة الحقيقية للانسان.

صحيح أن كل النظريات تهدف مصلحة الانسان، الا ان البصيرة الاسلامية تؤكد على المصلحة الحقيقية الدائمة الكاملة للناس بكل فئاتهم، فيما تذهب النظريات المادية الى المناداة بمصلحة الانسان الجزئية القشرية الاحادية.

وحينما نطالع آيات القرآن نجد ان كلمات الفلاح والخير أو ما يؤدي الى معانيها هي «صبغة القرآن» انه يدعو الى الاحسن ــ الافضل ــ (الخير)، اذ تتكرر كلمة الاحسن والافضل والخير والفلاح في القرآن الحكيم.

من هنا فان الصبغة القرانية تدعو الى المصلحة الانسانية، التي لا تتنافى مع الحق، فالحق لا يعني ما يتنافى ومصلحة الانسان، بل انه يرفع وعي الانسان الى مستوى من العمق والشمول، ليفهم المصلحة الحقيقية لنفسه، ورد في الدعاء المأثور عن الامام علي بن الحسين السجاد(ع):

□(فليس بخير خير وراءه النار.. وليس بشر شر وراءه الجنة)

فنظرتنا الى الخير يجب ان تشمل الدنيا والآخرة، لان الخير الذي يعقبه شر مستطير، أو الشر الذي يعقبه خير عميم، يختلفان جوهرياً عن اسميهما.

فالاسلام لا يرى شبعة البطن سعادة حقيقية للانسان، انما السعادة الحقيقية للانسان ان يشبع و يشبع جيرانه ايضا، «**فشر الناس من جلد عبده ومنع رفده**» والمؤمن الحقيقي يتساءل:

□(أم أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى واكباد حرّى)□

والشاعر يقول:

وحسبك داء أن تبيت ببطنة وحولك أكباد تحن الى القد

انها ليست سعادة وهل يستطيع ان يزعم السعادة من يعيش في جزيرة منعمة مرفهة وحوله محيط من الفقر والشقاء؟ ابداً ذلك مجرد زعم، السعادة الحقيقية انما يستشعرها الانسان عندما يجد الآخرين حوله يتنعمون سعداء مثله، وكثيرة هي الشواهد التي نستطيع ان ننتزعها من الواقع لدعم هذه الحقيقة.

اراد احد أبناء التجار ان يتزوج فاشترط اهل العروس مهراً كبيراً بما يناسب وضعهم الاجتماعي، فقام هذا الشاب وكان مؤمناً، بمبادرة حسنة، حيث اقترح على عروسه ان يتزوجها زواجاً بسيطاً، و يوفر المهر الذي سيصرفانه على حفلة الزواج،

الشهداء من أجل الله؟!

انـنـا نـعـلـم ان تـلـك جـريمة بـشـعة نكراء، ولكننا نقول ان النظرية التي تدعو الانـسـان «الثوري» الى ارتكاب مثل هذه الجريمة المفجعة يجب ان نشك في صحتها، أجـل يجب ان نتيقن ببطلان هذه النظرية التي تنتزع الشاب من اسرته وتحوله الى مجرم يـقـتـل خيرة ابناء الامة الاسلامية، من العلماء وقادة الثورة، وهي في بداية انطلاقتها، وفي أوج مـعـركتها مع الامبريالية الامريكية، ففي هذه النظرية فجوة ــ اساسها قائم على المادة.

فـالمـنـطـق المـادي لا يمكن ان يخلق انساناً ثورياً، وحتى لو ادعى ذلك فان ثوريته هـذه تحـمـله الوقوف ضد الشهيد المظلوم آية الله بهشتي.. والمنتظري ومدني ودستغيب وامثالهم!.

الـيـس الاحـرى بـهـؤلاء الـذيـن يدعون الثورية والتقدمية ان يذهبوا الى الانظمة الـفـاسـدة ويحـار بـوها، فما اكثرها في العالم الاسلامي! و يالبؤسهم وشقائهم، انهم بدل ذلك راحوا يتحالفون مع انظمة الكفر في بغداد وعمّان والرياض وتونس والقاهرة و..و.. لـيحار بوا الاسلام وثورة الجماهير. اليس في ذلك خطأ عظيم!! ولكن الخطأ والانـحـراف لـيس في الشخص، وانما الخطأ والانحراف في النظرية التي آمن بها هذا الشخص.

• برامج الاسلام تنمي الارادة الثورية

ان الارادة الـثورية الصلبة التي لا تتزعزع في نفس المؤمن، انما هي وليدة البرنامج الاسـلامـي في تـعـالـيـمـه ومـفـاهيمه وعباداته ومعاملاته. فالقرآن كله تعاليم في هذا الـصدد والصيام وتهجد الليل والدعاء، كلها ممارسات عملية لتقوية الارادة وتنميتها وحـتـى مـعـامـلات الانـسان مع الاسرة والمجتمع في البيت والسوق والجامع والمدرسة تـطـبيقات مبرمجة.. منظمة تنمي الارادة الثورية بالتوكل على الله والثقة به والامل في

نصره وكيف لا تبني الارادة والانسان كل يوم يتحدى المحرمات و يزرع روح التقوى في ذاته، تلك الارادة الثورية التي تتبلور في الايام العادية في القدرة على بناء البلاد، وايام مقاومة الحركات والحكومات المنحرفة تصنع المعجزات.

ان البرامج الثورية التي يطرحها الاسلام معتمدة على تلك الارادة. فالاسلام لا يدعو الى التحرك ببرنامج مبتور يكتمل من خلال الممارسة بالرغم ان التجربة والممارسة النضالية تكمل برنامج الانسان، الا ان اصول البرنامج الثوري في الاسلام واضحة المعالم منذ البدء ولا تحتاج الى تفكير واستنتاج. فالاسلام ومنذ البداية يصر باسقاط الطاغوت بكل اشكاله ولا يسمح بالترقيع، أو تعديل النظام الطاغوتي أبداً، بل حتى الانسان المؤمن، المخلص، العالم، المضحي من أجل وطنه اذا اصبح حاكما.. ولكنك اتبعته من أجل دنيا، أو شهوة، أو خوف، فانه يصبح بالنسبة اليك طاغوتاً.

• قصص الانبياء مدرسة الارادة الثورية

فحتى الى هذا المستوى يؤكد الاسلام على البرنامج الذي يجده واضحاً في القرآن عبر قصص الانبياء التي لم يأت بها الله سبحانه وتعالى للمتعة ولا للتسلية كما يقول به بعض المفسرين حين يعللون ورود ذكر نبي مع قومه في القرآن بأنه تسلية لقلب الرسول(ص) فقط؟ وفاتتهم قصة نوح، وقصة آدم، ادريس، وابراهيم، وموسى، وعيسى، وصالح عليهم جميعاً سلام الله، انما وردت في القرآن مراراً وتكراراً لا تسلية لقلب رسول الله(ص)، وانما نبراس يضيء الدرب لكل مؤمن ابتداء من الرسول وانتهاء بنا جميعاً والا فلم نقرأ القرآن نحن!

ان قصص الانبياء في القرآن برامج الثورة في الاسلام، من هنا فان كل الثوريين الاسلاميين مدعوون الى ان يعيدوا نظرتهم في برامجهم عبر تدبرهم في آيات القرآن العزيز، لاسيّما قصص الانبياء ثم تطبيق مواقفهم على الواقع المعاصر لمعرفة فرعون

العصر وموسى الزمان، وتمييز نمرود الآن وابراهيم اليوم، بل والتمعن جيداً في **مواقف الانبياء**(ع) مع الطغاة، وحتى مع جماهيرهم واتباعهم، وثورات الانبياء تأتي بشيء من التفصيل في بعض السور القرآنية، مثل سورة النمل والشعراء والقصص فهي تتحدث عن الثورة واصلها وطرقها واساليبها وتستعرض مختلف الطرق وما يناسبها من المواقف الرسالية الحكيمة. وان من اوليات القضايا التي يمكن ان نستخلصها من القرآن مايلي:

●اولا:

ان القرآن امام المؤمن الثوري فعلى الثائر المسلم ان يديم قراءته لأنه سجل ضخم لسير الامم وملف حافل بتجارب الانبياء التي لا تستغني عنها اي ثورة رسالية مبدئية، وما اجمل بالثوري ان يكون حافظاً للقرآن متسلحاً به لأنه سلاح لا يهزم، وما اجمل بالثوري ايضاً ان يردف القرآن بالنصوص المستلهمة من آياته كنهج البلاغة، والصحيفة السجادية، وهل هناك اجمل من ان يعيش المؤمن الثوري مع القرآن و يتخذه انيساً وجليساً وحليفاً.

ينبغي ان لا تقتصر مطالعاتنا على الجرائد واستماع الاخبار لتقو ية ذهنياتنا السياسية، وان كان ذلك امراً ممتازاً، الا ان مثالنا حينها يصبح كمثل من يبني بيتاً بناء فاخراً و يزينه بالزخارف والاثاث الجميل و يزوّده بكل شيء، الا انه ينسى ان يمده بالضياء! فالقرآن ضياء العلم ونور الحياة و بصيرة الثورة، فان كنت تحمل قضية سياسية أو تقرأها، دون أن تعرف رأي القرآن فيها تضل ــ وكثيراً ما حدث ــ وربما ننحدر شيئاً فشيئاً حتى نصبح من اتباع الشيطان ــ والعياذ بالله ــ الا ان القرآن هو حصننا.

●ثانياً:

القيادة بما تعنيه من تشخيص القائد ومعرفة حقه والالتفاف حوله وضرورة الانصياع لأمره ولزوم الشورى له، ثم الاقتباس منه والتأسي به ومعاونته في الامور

الصغيرة ليفرغ للامور الاكبر، وما الى ذلك من صنع القيادات وتوفير الشروط اللازمة لها ان لم توجد!

● **ثالثاً:**

الاخلاص في العمل ببذل الجهود في الاطار المرسوم من قبل القيادة بلا جنوح أو اتباع الهوى، والتمحور حول الحق في كل حركة والتسربل بلباس التقوى دون ان ننسى لحظة ان المنطلق والغاية من و الى الله سبحانه.

وهذه الركائز الثلاث التي سنتناولها فيما بعد بتفصيل اكثر ــ ان شاء الله ــ اذا ما توفرت في الثورة فلا تخشى على نجاحها فهي بمثابة العوامل الذاتية التي تساعد على انجاح الثورة و بلوغ النصر باذن الله سبحانه وتعالى.

النظرية العلمية
في الثورة الاسلامية

●قبل الشروع في الحديث عن علمية الثورة الاسلامية لابد من الاشارة الى عدة نقاط:

●اولا

قد يظن البعض: أننا ـ حين نطلق كلمة العلم ـ نعني بها معنى يتنافى مع معنى الفلسفة اي بمعنى المذهب العلمي والمذهب العقلاني، فيحسب القضايا التي تخضع للمعادلات الرياضية «علماً» بينما المسائل التي تخضع للحسابات العقلية ولا دخل للمعادلات الرياضية فيها يسميها بـ «العقل» أو بـ «الفلسفة» كما يُسمي نتائجها «مذهباً» أو «نظرية».

الا ان هذا التمييز ـ من وجهة النظر الاسلامية ـ خاطيء، لان الوصول الى الحقيقة ـ أياً كانت الوسيلة التي توصلنا اليها عبرها ـ هو «علم» فسواء كان الوصول الى الحقيقة عن طريق الوحي أو القياس العقلي أو المعادلات الرياضية فانه «علم»، لان التعريف البسيط للعلم هو: احاطة الانسان بالحقائق، أو انكشاف الحقائق للانسان.

●ثانياً

قد يعتقد أننا حين نتحدث عن العلم نقصد به ما يتنافى مع «الغيب» باعتبار ان المسائل التي لا يرقى اليها المنهج المادي في العلم، ولا تخضع للتشريح أو التحليل تحت المجهر أو في المختبرات لا تسمى علماً، وانما يطلق عليها شيء آخر «دين» مثلا فان هذا التمييز خطأ هو الآخر، الايمان هوجزء من العلم، فمعرفة الله هي اساس الايمان، والايمان الحق هو نتيجة المعرفة، والمعرفة ليست الا علماً.

وذات الوسيلة التي تهدينا الى معرفة الشمس والقمر ومعرفة دوران الارض حول الشمس وحول نفسها، هي ذات الوسيلة التي تهدينا الى ان للكون إلهاً او لسنا نعرف الحقائق بظواهرها وآياتها، اذن نعرف ربنا سبحانه وتعالى بالآيات التي تهدينا اليه، وبالاسماء التي توصلنا الى رحاب قدسه، فالايمان بالغيب، الايمان بالماضي وبالمستقبل، والايمان بالرسالات السماوية هو الآخر نتيجة للعلم، وبهذا المفهوم سوف نستخدم كلمة «العلم».

●ثالثاً

هناك نظريات تدّعي «العلمية» قد تصدق احياناً اذا ما قورنت بنظريات فوضوية لا علمية، ولكنها تصبح جاهلية اذا ما قورنت بالاسلام! ومن بين هذه النظريات «النظرية الماركسية»، فالماركسية تعتمد على التحليل المادي للتاريخ، قد تصدق في زعمها اذا قورنت بالنظريات الطوباوية التي كانت سائدة حين نشأت الماركسية، لان ماركس كما يقول بعض المؤرخين: قد فتح باب التحليل فيما يتعلق بصنع المستقبل حينما قال: «كما يخضع مستقبل الانسان ــ الفرد ــ للتخطيط والسعي، فكذلك يخضع مستقبل الانسان ــ المجتمع ــ للتخطيط والسعي والتحرك وقد ضرب «الجنرال بوفر» في بعض كتبه الاستراتيجية، مثلا لصحة هذه الحقيقة بهتلر صاحب كتاب «كفاحي» الذي رسم فيه مستقبلا لأمته كما يراه هو وبالسعي راح يطبق نظرياته ومبادئه، بل وحتى التكتيكات التي تنبأ بها، اتبعها.! اننا نرى ان ذلك لا يدل على صحة ما كتبه وتنبأ به في كتابه، وانما يدل ذلك على ان

العمل والسعي والتحرك نحو صنع المستقبل، هو حق لا غبار عليه في هذا العالم.

[وان ليس للانسان الا ما سعى]

ـ٣٩/ النجمـ

• «العلمانية الماركسية» في الميزان

في ذلك الجوّ المشحون بالنظريات الطوباوية التي كانت سائدة على اوربا في عصر ماركس، جاء هذا الرجل ليبيّن ان المستقبل، انما يصنعه الانسان.

وقد لا تصح نظريته في تحليلها الطبقي للصراع وتفسيرها المادي للتاريخ، ولكني أرى انها صحيحة بنسبة ضئيلة. ولا يكفي للنظرية، لاي نظرية ـ لكي تكون صحيحة ـ ان تكون صحيحة بنسبة ضئيلة، وانما اذا كانت واقعية في جميع أبعادها، وعلى اي حال تعتبر أهمية نظرية ماركس في عالم الثورة، في كونها قد اعطت شرعية للعمل، ولسعي الفرد والمجتمع لصنع مستقبله، ـ مما جعل هذه النظرية ـ دون النظريات الاشتراكية الاخرى قادرة على ان تبني دولاً وتقوض أخرى، فما ذلك بسبب صحتها كلا، ولكن لصحة جزء منها وهي القاعدة التي تقرر بأن السعي يصنع المستقبل، أو كما قال غوته «في البدء كان العمل» ونظراً لصحة هذه القاعدة النظرية استطاعت أن تفعل ما فعلته في العالم.

من هنا فان الماركسية ـ قياساً لتلك النظريات الطوباوية ـ صارت علمية في بعض جوانبها، بينما لدى مقارنتها بالنظرية الاسلامية ـ ذات البصيرة الالهية المتكاملة ـ فآنئذ تبدو تلك النظرية جاهلية حتى النخاع، لانها تنفي مصادر عديدة للعلم.

• هل التجربة كل العلم؟

ان العلم هو العلم سواء حصلت عليه عن طريق المبضع أو المجهر أو العقل أو

الوحي أو عن طريق آخر، فمهما اكتشفت حقيقة أو عرفت شيئاً معرفة حقيقية واضحة فذلك علم، كما يقول ديكارت الفيلسوف الفرنسي الشهير بان «العلم هو التمييز الواضح امام الانسان بالشهود المباشر بين الانسان و بين الحق» اي حينما تتجلى لك حقيقة ما بصورة واضحة فلا تتساءل آنئذ عن المصدر الذي دعاك للاطمئنان والاعتراف بتلك الحقيقة، لانك ان آمنت بشيء فانك لا تستطيع ان تنكره أو ترفضه لانك وصلت اليه، ومن أين عرفنا بان الصدق حسن، هل جر بناه؟ وهل يستطيع انسان ان يقنعك قناعة لاشيّة فيها ان الاحسان الى الآخرين عمل سيّء، وان الاساءة اليهم عمل حسن..؟ أبداً: وان هذا الاقرار بهذه الحقيقة هو علم وهو ارفع درجة من العلم التجريبي أو الحسّي! انه أسمى من العلم بلون شعاع الشمس، لان الحواس قد تخطيء سواء العين أو الاذن أو غيرهما من الحواس، ولكن العقل لا يخطيء وهذه الحقيقة انما عرفناها بالعقل والواقع، ان لهذا البحث مقامه الخاص في الفلسفة، ولكن أشرنا اليه لنقول ان الماركسية التي تنفي ان يكون الوحي مصدراً آخر للعلم هي نظرية جهل وليست بنظرية علم، انها نظرية جاهلية، اما الاسلام فانه يقول ان كل علم تحصل عليه بالتجربة فهو صحيح وذلك كما يقول الحديث:

■(في التجارب علم مستحدث)■

كما ان العقل هو الآخر منبع اصيل لكشف الحقائق وتحصيل العلم، فالحديث يقول:

■(الفكر مرآة صافية)■

اما العلم الذي يحصل عليه الأنبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام عن طريق الوحي فانه علم أعمق بكثير من علم المجرب والمتفكر، فالعلم الذي يصل بصاحبه الى ذلك المستوى الرفيع حيث يقول الامام علي(ع):

□(والله لو كشف لي الغطاء ما أزددت يقيناً)□

لحقيق به ان يوصلنا الى ارقى درجات اليقين، لا نستطيع ان نوفي هذه الكلمة حقّها من التفسير في هذه العجالة، لان الامام علي(ع) لا يتحدث عن العلم الذي يبصره بعينه كلون الحائط حيث تخدع العين بالنظر ولا يتكلم عن نظرية كالتي قال بها أرخميدس حول «الطفو» و «الوزن»، وانما يقصد بكلماته تلك معرفته بالله رب العالمين! ــ الذي عجزت عن ادراك كنه صفته العقول ــ.

وما علم العرفان بالله ببسيط حتى يدّعيه انسان كعلي بن أبي طالب(ع) الذي لم تسجل عليه كذبة في حياته قط، ثم يقول و بهذه القاطعية والاطمئنان:

□(والله لو كشف لي الغطاء ما أزددت يقيناً)□

فهذا هو العلم الذي يحصل عليه الانسان عن طريق ــ الوحي ــ والالهام والاتصال الروحي بينه و بين ربه سبحانه، كما وعن طريق التقوى والزهد! من هنا فان الماركسية التي تنفي هذه المصادر الصريحة للعلم هي نظرية جاهلية! يقول احد الكتاب الغربيين حول علاقة العلم بالايمان في كتابه «لمن ترهقهم الحياة» ان الجاهل والعاجز هو الذي لا يستطيع أن يؤمن، لان الايمان مستوى رفيع.

ومتى وصل الانسان الى قمة انسانيته آمن! وان الجاهل هو الذي لا يؤمن، انه تماماً كالشخص الذي يقول أنا لا اعترف بوجود الدنيا ولا بالشمس ولا بالقمر، فهو انسان ذو عقل محدود والمشكلة فيه هو، لا في الحقيقة التي لا يعترف بها.

● علمية الثورة الاسلامية

حينما نقول الثورة الاسلامية، ثورة علمية لا نعني انها تنفي المبادىء، أو أنها تستهين بقيمة الوحي والشرع وقوانينهما، كما لانعني انها تنفي قيمة التجربة والعلوم التي تخضع للحسابات الرياضية، وانما نعني انها تعتمد المبادىء العلمية التي يراها الاسلام، ولنعفي الثورات التي تعتبر نفسها اسلامية ثم لاتتبنى المبادىء العلمية

للاسلام، ولتوضيح الفكرة، لابد من توضيح عدة نقاط:

● الاولى

انني حينما اسميها الثورات «الاسلامية» فان ذلك من باب التغليب لانها في اطار اسلامي؟ وذلك لان الثورة التي لا تعتمد العلم كقيمة أساسية فهي ليست علمية، ولا يهم العاملين فيها ان يصلوا الى نتائج، وانما همهم العمل.. وكأن العمل لا يرتبط بالنتائج.

ينبغي ان نعمل ولا ندع فجوة بين العمل و بين النتيجة، اي لابد أن نخطط لكافة المراحل التي نجتازها حتى النصر!

اننا نرى الكثير من العاملين يعيشون فجوة في عقولهم، أنهم يعملون.. والهدف واضح أمامهم، ولكن بين العمل اليومي الذي يقومون به، والهدف الاسمى الذي يرمون الوصول اليه مراحل طويلة لا يعرفون كيف يتجاوزونها، ولم يخططوا، ولم يفكروا، ولم يسعوا من أجل تجاوزها، ان هذا ليس تحركاً علمياً.. وليس بثورة علمية ولا يتفق مع النظرية العلمية في الثورة الاسلامية التي تعتقد ان كافة المراحل ينبغي ان تكون مغطاة بالاستراتيجية.. بالتخطيط.. بالمعرفة..

● الثانية

ان الثورة الاسلامية الحقة لا تعتمد «الوحي» فقط كمصدر لصنع المستقبل، فالوحي طريق واحد فقط للمعرفة وهو موجه بشكل رئيسي لاثارة القيم العقلية الموجودة لدى الانسان، وفي نفس الوقت يرسم الاستراتيجية العامة والخطوط العريضة لتحرك الانسان، الا ان ذلك لا يعني ان نقتصر على القرآن في العلم فقط، بل القرآن نفسه يحثنا على طلب العلم في حوالي ثلاثمائة موضع بمختلف العبارات التي تدل على ذلك كالعلم، والتفكر، والسمع، والبصر، والسير في الارض، والتذكرة وما اشبه، فالقرآن منهج للمعرفة وليس معرفة كاملة للانسان، وانما جزء من معرفته، ودعوة الى تكميل الجزء الثاني عن طريق السعي والتجربة والتفكر وهكذا، وكما القرآن كذلك

النصوص الدينية، والحديث الشريف يقول:

■(اطلبوا العلم ولو في الصين)■

ماذا كان يقصد؟ هل يقصد الذهاب الى الصين لتعلم تفسير القرآن؟ أبداً، وانما العلوم التي نحتاجها في كل شئون الحياة.. من هنا فان ثورة لا تأبه بمكتسبات الحضارة الحديثة وتنغلق ازاء التقدم العلمي والتكنولوجي في العالم هي ثورة لا يمكن تسميتها بالعلمية.

●**الثالثة**

الثورة الاسلامية هي التي تعتمد العلم وتعمل به وتسير وفقه، فالقرآن الحكيم يقول:

[ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا]

ـــ٣٦/ الاسراءـــ

فالآية صريحة بأن لا يخطو الانسان خطوة دون علم [لا تقف] اي لا تتحرك وراء شيء بلا علم، و يعبر الامام علي(ع) عن هذه الفكرة في وصيته لاحد اصحابه هو (كميل) قائلا:

□(واعلم انه لابد لك قبل كل جولة من فكرة)

فقبل كل حركة على المؤمن ان يرسم خطة متكاملة و يدرس القضية من جميع جوانبها، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى عليك ان تتبين المعلومات التي تسمعها جيداً كي لا تستقبل معلومات مغلوطة أو غير صحيحة، و بالتالي كل ما تسمع وتطالع وتفكر يجب ان يكون علمياً، كما ان القرآن في هذه الآية الكريمة يوجهنا الى اتباع الاساليب العلمية في كل تحركاتنا خارجياً [**ولا تقف ما ليس لك به علم**] وداخلياً [ان

السمع والبصر والفؤاد]يعني من جميع النواحي علينا ان لا نتخلى عن العلم لحظة واحدة، وهذا يعني ان الثورة التي ترفع العلم شعاراً، ولكن لا تتقيّد به في واقعها الحركي والعلمي فانها تفقد شرطاً اساسياً من شروط النجاح والانتصار، فالتغيير الخارجي منوط بالتغيير الداخلي.

[ان الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم]

—١١/ الرعد—

•الاستراتيجية العلمية

ان الثورة الاسلامية ثورة علمية، لذا ينبغي ان تكون واضحة المعالم محددة الخطى، ثابتة الاستراتيجية، عبر مختلف المراحل، الا أننا نرى ان الثورة الاسلامية في العالم اليوم تتمتع بوضوح كاف في الاهداف، اذ ليست هنالك ثورة في العالم واضحة الاهداف كالثورة الاسلامية، ومن ناحية التكتيك والوسائل تحظى، كذلك بجانب لابأس به من الاساليب المفيدة، ولكن بين التكتيك والاهداف هنالك فجوة كبرى حيث تفقد الثورة الاسلامية وضوح الرؤية في الاستراتيجية فقداناً يكاد يكون تاماً.

ولدى المناقشة مع بعض القادة الاسلاميين حول الاستراتيجية فانهم يتحدثون عن التكتيك أو الاهداف، مما يدل على انهمْ يعوضون عجزهم الاستراتيجي بالحديث المفصل عن الاهداف الواضحة، أو عن التكتيكات المعروفة. فطباعة الكتب مثلا: كتكتيك، وان سئل احدهم عن استراتيجية في ذلك أجاب بأنه يطبع كتباً في الاقتصاد والاجتماع والسياسة جاهلا بأن هذا تكتيك وليس استراتيجية، ومرة اخرى يجيب بأنه يطبع كتباً صغيرة وكبيرة باحجام مختلفة ولغات شتى، ولا يدري ان هذا تكتيك وليس استراتيجية، ولو سئل ايضاً عن الاستراتيجية لأجاب بأنه يعمل من أجل الاسلام، بينما هذا هدف وليس استراتيجية.

ان بين الهدف والتكتيك فجوة الاستراتيجية التي تلعب دوراً في تأخير انتصار

الثورة الاسلامية، ولا يمكن الاستمرار في هذا الوضع، واذا كان الكتّاب الاسلاميّون قد اشبعوا ــ أو كادوا ــ المكتبة الاسلامية بمؤلفات الفكر الاسلامي في قضايا الفكر والفلسفة والثقافة والفقه و..و.. فانهم قليلا ما كتبوا عن اساليب العمل والتكتيك رغم ان العاملين لا يعوزهم ذلك فيما نلاحظ ان الكتابة حول الاستراتيجية في الثورة الاسلامية تكاد تنعدم! وغني عن القول ان المنتصر في شئون الدنيا هو من يمتلك في تحركه استراتيجية واضحة صادقة سواء كانت اهدافه سليمة أم لا؟.. و يكفي ان نعرف ان الاستعمار لم ينجح في استعبادنا الا أنه يمتلك الاستراتيجية الواضحة فالله سبحانه وتعالى لم يجعل الدنيا للمؤمنين فحسب، وانما جعلها للعاملين فقال تعالى:

[كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك]

ــ٢٠/ الاسراء ــ

لان الدنيا دار ابتلاء لذلك حينما سأل ابراهيم الخليل ربّ العالمين ان يرحم المؤمنين فقط و يرزقهم الثمرات وحدهم، قال سبحانه وتعالى:

[قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار]

ــ١٢٦/ البقرة ــ

فالدنيا دار الجميع، ولهذه الدنيا قوانينها وأسبابها، ومن اسباب الدنيا ان من يمتلك وضوح الاستراتيجية فانه ينجح، وهذا ما يفسر مثلا نجاح مجرم كهتلر الذي كتب استراتيجيته في كتابه «كفاحي» ثم طبقها في الواقع.

فما هي الاستراتيجية للثورة الاسلامية اليوم؟

الاستراتيجية هي وضوح الهدف مع وضوح الامكانات المتوفرة حالياً، ومعرفة النتائج التي يمكن الحصول عليها من هذه الامكانات، ثم معرفة الامكانات الاخرى التي يمكن الحصول عليها بالسعي، ووضوح المكاسب التي يمكن ان نصل اليها عن طريق تلك الامكانات التي نوفرها بالسعي. و باختصار، فان الاستراتيجية هي وضوح حالة الانسان، كما يعبر عن ذلك الامام الرضا(ع) بقوله:

فمعرفة الزمان والظروف والامكانات الموجودة، ثم السعي والاستفادة من كل تلك الامكانات حسب الظروف للوصول الى الاهداف.

والفرق بين الاستراتيجية الثورية، والاستراتيجية العلمية غير الثورية، هو ان صاحب الاولى لا يقتصر على الامكانيات القائمة، بل يوظف الامانات التي يمكن ان يفجرها في ذاته.

انه مثلا يفكر في ارادة الجماهير والمعنويات، وأثر التشجيع في الصراع، يقول الله سبحانه:

[ياأيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين]

ـــ٦٥/ الانفالــ

هذا عن الثوري، اما الآخر فانه يفكر كيف يستفيد من الموجود بين يديه و يقسمها على الفترة الزمنية الممنوحة له تماماً، كمخطط الميزانية الذي يريد ان يقسم عشرة آلاف دينار لبناء بيت بنصفها والنصف الآخر للاستهلاك لمدة عشرة شهور فانه رأساً يجعل خمسة آلاف لبناء البيت وخمسمائة دينار لكل شهر، هذا طبعاً مع الفرق ما بين ميزانية شخصية و بين الذي يرسم الاستراتيجية التي تخضع لكثير من العوامل الخارجية بينما لا تخضع الميزانية لتلك العوامل!

من هنا فان على الاستراتيجي الثوري ان يحسب حساب الاحتمالات، ولا يفكر في بعد واحد، وانما يفترض عدة حالات ويجد لكل حالة حلا.

الفصل الثاني:

- عوامل الثورة الاسلامية
- بناء الكوادر في العالم الاسلامي
- العوامل المساعدة للثورة
- استراتيجية الثورة الاسلامية

عوامل الثورة الاسلامية

ما هي الأستراتيجية المقترحة للثورة الاسلامية في ظروفها الراهنة؟
لا تتم الاجابة على هذا السؤال الا بمعرفة أمرين:

(أ) عوامل الثورة.
(ب) المجتمع بين العلم والعمل

• ماهي عوامل الثورة؟

حين يطرح الكثير من مؤرخي الثورات تحليلاتهم، يُقسمون الثورات على اساس عواملها الظاهرة دون الغوص الى أعماقها. فيصنفونها الى ثورات تحريرية تهدف تطهير الارض من المحتل الاجنبي، وثورات تحررية غايتها تغيير النظام السائد، والتي تصنف بدورها الى ثورات اجتماعية، أو دينية، أو اقتصادية، أو عنصرية، أو طبقية. ولكن هذا يتناول الفهم الظاهري من الثورة، و يدع الجانب الحقيقي والجوهري، الذي يكشف لنا فعلا العوامل الحقيقية للثورة.

بـينما لا يستطيع احد وضع استراتيجية حكيمة من دون فهم عميق لعوامل الثورة الأسـاسية. من هنا كان من الضروري ان نبدأ حديثنا هنا عن الأستراتيجية بالتعمق في عوامل الثورة التي نلخصها في أربعة عوامل:

● اولا: الجماهير نحو الأفضل

ان لـلانـسـان رغبة في ان يكتسب تقدماً مضطرداً في حياته، فمهما تنوعت المشاعر والاحـاسـيـس البشرية الا ان الناس جميعاً يشتركون في الاحساس بضرورة (التقدم) سواء كان هذا التقدم اقتصادياً، أو اجتماعياً، أو مادياً، أو معنوياً.

وهذا الشعور هو الوقود الذي حرك البشرية عبر مراحل التاريخ، منذ كان الانسان يـسـكن الكهوف في العصر الحجري، والى عصر السرعة والالكترون وغزو الفضاء وسبر اغـوار المـحـيـطـات؛ وهـذا الـشـعـور ـــ حسب اعتقادي ـــ كان وراء اجتياز الانسان للصعاب وابتكار الوسائل المختلفة في سبيل تقدمه، وهو شعور يشترك الناس جميعاً فيه أنّى كانوا وبأية فكرة، أو مذهب آمنوا.

وحينما يشعر مجتمع ما: ان هناك حاجزاً يحول دون تقدمه، أو يشعر الجزء الاعظم مـنـهـم بـذلـك ، فـان المـجتمع يبدأ بالتململ ثم لا يلبث ان يثور محطماً ذلك الحاجز بهدف الوصول الى وضع افضل من السابق.

وكـثيراً ما تكون الانظمة الحاكمة هي الحاجز الذي يقف في وجه المجتمع الثائر، ولهذا فـان الانـظـمـة هي التي تتحطم بفعل الثورات الجماهيرية، ليقوم مكانها نظام جديد يتناسب وتطلعات الجماهير نحو التقدم والرقي.

لا أريـد أن أقـول ان الـدافع المادي فقط، هو سبب الثورة، كما لا اقول ان النظام الـذي يـقـف فـعلا امام تقدم المجتمع هو الذي يتعرض للثورة بل اقول ان النظام الذي يحسبـه المـجـتـمـع حـاجزاً امامه هو الذي يتمرد عليه و يثور ضده، فشعور المجتمع هو

الفيصل، اذ قد يوجد نظام تقدمي ولكن تحس الجماهير بأنه رجعي؛ أو بالعكس، فقد يقوم النظام الرجعي بتضليل المجتمع اعلامياً فيحسبه تقدمياً، فمثلا يطوّر وضع الرياضة على حساب التقدم الصناعي، والاقتصادي، والعسكري، والسياسي، ثم يقنعهم بالتطور والرقي فيسكتون عليه.

بينما النظام الذي يحاول ان يوصل البلاد الى حالة من التكامل ولا يستطيع اقناع الجماهير بعمله الصامت يثورون ضده، اذن فاصطدام النظام برغبة الجماهير واحساسها بضرورة التقدم سبب في انهياره، وهذا يوضح لنا اهمية عامل «الاعلام» في مجال الثورة.

●ثانياً: مواكبة التقدم الاجتماعي

حينما تكون الانظمة ضعيفة لا تستطيع مواكبة الاندفاعة الجماهيرية ولا تستوعب التقدم الاجتماعي فانها سرعان ما تتفكك وتنهار امام قوة المجتمع تماماً كالقنوات التي سرعان ما تنهار وتتحطم امام اندفاعة السيل الهادر. وهذا شأن الحكومة التي لا تستطيع ان تطور من قدراتها وامكانياتها بتطور المجتمع، اذ ستكون عبئاً على المجتمع، ولا سبيل الّا الثورة عليها وتحطيمها، ولعل ذلك يفسر سر تغيّر الحكومات حين انطلاق الثورة الثقافية، أو الصناعية. فتقدم مجتمع ما في المجال الاقتصادي أو الثقافي أو الاجتماعي مع انعدام مقدرة الحكومة على مجاراة ذلك التقدم، يتسبب في انهيارها.

وهناك بعض الدراسات تعزي الثورة الفرنسية الكبرى، الى قوة المجتمع الفرنسي في ذلك اليوم في المجال العلمي والاقتصادي والاجتماعي، بحيث لم تستطع حكومة لويس الرابع عشر ــ التي كانت تسيطر على المجتمع آنئذ ــ ان تستوعب تلك القوة الجديدة فانهارت السلطة وقام مكانها نظام جديد.

●ثالثاً: حدّة التناقض الثقافي

عندما تبرز ثقافة من نوع جديد في المجتمع ــ لتسبب تناقضاً حاداً بين الثقافة السائدة، والثقافة الوليدة ــ فان النظام القائم على اساس الثقافةالسابقة، لا يستطيع استيعاب الوضع الجديد. واكبر مثل على ذلك هو انهيار السيادات التي كانت قائمة في الجزيرة العربية حينما انبعثت الرسالة الالهية، فقد انهارت تلك السيادات امام الدفع الثقافي الجديد الذي فجره الاسلام بقيادة الرسول الاعظم(ص).

●رابعاً: الصاعق الثوري

ان الثقافة التي تحكم سلوك الفرد وتوجه تحركاته هي التي تقوم بدور الوسيط الثوري بالنسبة للمجتمع، حيث تقوم بتفجير المشاعر التقدمية، والتطلعات السامية للجماهير التي بطبعها تشعر بضرورة التقدم نحو الأفضل، تخضع للثقافة كي تترجم ذلك الاحساس وتجسده واقعاً حيّاً.

فالثقافة هي التي توجه ذلك الشعور من اجل مصلحة الثورة اذ ان الحرمان لا يكون دليلاً او سبباً للثورة ان لم يتحسسه المجتمع و يشعر بأن من الممكن تغييره، والظلم كذلك ليس سبباً كافياً لتفجير الثورة ان لم تشعر الجماهير بفداحته وانها قادرة على كف أكف الظالمين عن نفسها، و بالتالي العمل من اجل حياة عادلة، وهذا ــ كما اسلفنا ــ يعتمد على مدى وعي الجماهير الذي لعبت الثقافة دوراً كبيراً في بلورته، من ثم تمكين الجماهير من اصدار الحكم الصحيح بعد وضوح الرؤية وفهم الحقيقة.

الثقافة اذاً تقوم بدور الوسيط من أجل الثورة.

• (ب) المجتمع بين العلم والعمل

يبدو لي ان المجتمع البشري قائم على أساسين متفاعلين هما:

١ ــ الوعي.

٢ ــ الادارة.

وهذا ما نجده في مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، و يتجلى ذلك بوضوح اكثر فيما يختص بالثورة التي لا تقوم الا بفعل هذين الاساسين.

١ ــ الوعي

فمن دون التوعية، وتحريك الناس، واثارة تطلعاتهم، وتوجيه شعورهم بالحرمان والشعور بالقدرة على تغيير الوضع الفاسد، لا يمكن حشد الطاقات جميعاً لتصب في قنوات محددة، تسير بصورة تدريجية وتصاعدية حتى تبلغ ذروة الوعي المتجسدة في التحرك الجماهيري الصانع للثورة.

٢ ــ الادارة

الادارة التي تقوم بحشد الطاقات، وضبط الامور، ونظمها، وتوحيد الصفوف، للأستفادة من كل الجهود في سبيل الحصول على المكتسبات الثورية عبر رحلة التغيير التحررية.

ويمكن ان نشبه التوعية الثقافية بالامطار الهاطلة من السماء التي تهز الارض بعد ذلك، معطية الفرصة للبذور الكامنة في باطن التربة كي تنبت وتتبرعم، وهكذا المشاعر والاحاسيس الكامنة في اعماق الجماهير؛ كالاحساس بالحرمان والاحساس

بضرورة التغيير. وهنا يأتي دور الادارة التي تصنع القنوات التي تستوعب تلك الامطار، والثورة لا تقوم بغير هذين العاملين.

● الوعي الجماهيري

بعد ان أوضحنا عوامل الثورة، وأسس المجتمع البشري: نلخص الأستراتيجية الثورية في النقاط التالية:

١ــ لابد من اشعار الجماهير بالوضع السيء الذي يعيشونه، وتعميق هذا الاحساس بضرورة التغيير، مع بث الثقة في قدراتهم وامكانهم بتحمل مسئولية التغير، و بجدوائية العمل في هذا السبيل.

٢ــ لابد من تأمين ذلك الملاك الثوري الذي يقود عملية التغير، و يعمل على تكريس الاحساس الاجتماعي بضرورة الاصلاح و بالقدرة عليه، كما يقوم (بتوجيهه) حتى الانتصار. فأساس الثورة قائم على التوعية اولاً والكوادر ثانياً، بينما يلعب المال والتنظيم والمؤسسات الثورية وغيرها دوراً ثانو ياً كعوامل مساعدة لهذين العاملين الاساسين.

ان الاستراتيجية الحكيمة والرشيدة للثورة الاسلامية اليوم تتلخص في هذين العاملين بشكل رئيسي، توعية الجماهير و بناء الكوادر القادرة على قيادة الناس، انهما عمليتان متوازيتان يجب الا تنفصلا، فالجماهير تتحرك عندما يرتفع وعيها، والكوادر توجه التحرك. عندها لست بحاجة الى مال، لانك انما تحتاج اليه لكي تحرك الجماهير.

وها هي الآن تتحرك وستكون في خدمتك، ان حركة الناس سوف تعوضك عن صرف جهود مشتتة في سبيل جمع المال.

ان رسول الله(ص) لم يكن يملك مالا كثيراً عندما هاجر، اذ انه كان قد صرف

كـل ما كان لديه من أموال أم المؤمنين خديجة(رض) في مكة، و يوم هاجر الى المدينة المنورة كان(ص) بحاجة الى قوت يومه، ولذلك كان الامام علي(ع) يذهب الى العمل مـنـذ صـلاة الفجر وحتى الليل لقاء بضع تميرات يتقاسمها والرسول(ص). كما كان المسلمون جميعاً يقومون بالعمل الجسماني المضني من أجل لقمة العيش.

ولـكـن انـظـر مـاذا يحدثنا به التاريخ نفسه عن حركة الاعمار مع هجرة الرسول الـذي اسـتـطاع ان يبني مسجد قبا قبل ان يحط الرحال. و بعد ان استقر به المقام بادر بـبـنـاء المسجد الكبير في المدينة لتتابع سلسلة الاعمال الاعمارية بعد ذلك لبناء بيوت اصحابه رضوان الله عليهم، وردم البؤر والمستنقعات المبثوثة حول المدينة والتي كانت مـصـدراً لـلامـراض آنـذاك ثـم زراعـة الارض و بناء مجتمع متكامل وصل الى مرحلة الاكـتـفـاء الـذاتـي، ورغـم ان بـعـض المؤرخين يزعمون ان الرسول(ص) انما استطاع الـقـيـام بـتـلـك المنجزات بفضل الغنائم التي حصل عليها في حرب بدر وما تلاها من غزوات الا ان الغنائم مهما كثرت لا تستطيع الوفاء بحاجات مجتمع بأكمله علماً بان مجتمع الرسول كان مجتمعاً محارباً آنذاك. فالحرب بحاجة الى سلاح واموال و بناء لان الحرب تهدم ايضاً.

ولولا ان الرسول الاعظم(ص) كان يملك جهود الناس وسواعد المسلمين، لاحتاج الى المال، ولـكـن متى امتلكت الحركة الاسلامية السواعد فانها افضل من كل الاموال.

نـحـن نـحـتـاج الى المال لكي نسد حاجة الفقير، ولكن الفقير الذي يصبر لا يحتاج الى المـال، اننا نحتاج المال كي نبني القلاع والحصون ونحفر الخنادق ونشيّد المصانع، فـاذا امـتـلـكنا سواعد الناس فهي التي تبني وتحفر وتشيّد. خلال حركة التحرير ضد هـولـنـدا قـامـت الحـركـة الاسـلامية في اندونيسيا بحركة مبتكرة بارعة بما يعوض عن المـال، فـقـد اوجبت على كل فرد منتم للحركة ان يخصص من عمله يوماً في الاسبوع يـعـمـل فـيه للحركة ــ كبديل عن دفع اشتراك نقدي مالي ــ فما كان من المثقف الا ان يأتي الى مكاتب الحركة في ذلك اليوم ليكتب أو يخطط أو يترجم وهكذا.. والبنّاء يـسـاهـم بيوم في بناء مقرات للحركة، والكهربائي يساهم في اضاءة البيوت ومقرات

الحركة، وكل انسان يعمل حسب قدراته وتخصصه، كذلك كانت الحركة مكتفية من الناحية المادية. ولهذا فاننا لو امتلكنا الجماهير لما كنا اسارى الحاجة مهما كانت كبيرة.

فالجماهير بالتعاون والعمل سوف تغنينا عن اجهزة للرصد، لان الجماهير هي اجهزة الرصد، ولا نحتاج مثلا لأجهزة قولبة التجارب، لان الجماهير وعقولها تصنع التجارب وتطورها.

فالجماهير اذا نشطت ضمن الحركة، فانها تغني الحركة عن كثير من العوامل المساعدة، ومع حاجة الحركة الى المزيد من الطاقة فان الجماهير هي التي توفرها، مثلا الجماهير تغني عن المال، ولكن اذا احتاجت الحركة الى المال فان الجماهير تقدمه. بعد انتفاضة خرداد حاول الشاه مساومة الامام الخميني (حفظه الله) فقال له: اعطيك مليون تومان واخرج من ايران، فردّ عليه الامام رأساً: (أنا اعطيك ثلاثة ملايين تومان واخرج من ايران!) فبهت الشاه وسأله من اين تأتي بالمال؟ فأجابه الامام (بأنني قد أمرت الناس بايداع ما يستطيعونه في حساب في احد البنوك الايرانية وخلال ثلاثة أيام اجتمعت الملايين الثلاثة) ورغم ان الشاه صادرها الا انه بعد ذلك خرج من ايران صاغراً.

هكذا تكون الجماهير، لقد استطاعت الثورة الاسلامية في ايران ان تموّل العمال المضربين عن العمل ــ لاسيّما عمال البترول ــ وذلك بأموال الجماهير. ومن قام بتضميد جراحات الثورة سوى المؤسسات الخيرية والثورية التي اعتمدت اساساً على تبرعات الجماهير وجهودهم..؟

ان الجماهير مستعدة للعطاء والتحرك، ولكن شرط ان تشعر بفداحة الوضع الفاسد، وكما قدرتها على تغييره. وكل يتذمر من الوضع ومن هو الذي لا يتذمر..؟

كل من القاه يشكو دهره   لست ادري هذه الدنيا لمن؟

وعلى هذا فمن السهل اقناع كل فرد حتى ولو كان مليونيراً أو اميراً أو وزيراً

بـأن وضعه سيء الا ان المشكلة تكمن في الخطوة التالية من العمل وهي ان تشعره بأنه هو المسئول عن تغيير الوضع الى الاحسن وليس الغير، واقناعه بأنه فعلا قادر على التغيير فيما لو سعى لذلك.

لـقـد دأبـت الـسـلـطات والقوى المحافظة في المجتمع على تثبيط همة الجماهير عبر اقنـاعـهـم بـان وضـعهم حتى وان كان فاسداً فان وضع غيرهم أفسد، وان لو تحركوا فسيفقدون ما اكتسبوه ولن يحصلوا على ما يريدون، وهذا هو التضليل الاعلامي، وعلى الـثـوريين والحركات الرسالية تغيير هذه الفكرة عند الناس، فالتحرك واجب، والتغيير مـطلوب، والانسان ذاته هو المسئول عن التحرك والتغيير، لأنه قادر على ذلك، وهذا هو دور الثقافة.

●جماهيرية الثقافة الثورية

لابـد ان تـكـون الـثقافة جماهيرية تتكلم بلغة الجماهير، لا ان تكون للنخبة المثقفة فـقـط. ولان الـثـورات تـبـدأ مـن الـكـتـب، قبل ان تتفاعل مع الجماهير وتجد طريقها الـيـهـم، فـانها غالباً ما تفقد الصلة المباشرة بالجماهير حيث انها تتحدث بلغة الكتب ولا تتحدث بلغة الناس فهي ليست كما قال تعالى عن الرسل ــ عليهم السلام ــ:

❋[وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه]❋

ــ ٤/ ابراهيم ــ

لـذلـك نـجد ان الرسل عليهم السلام خاطبوا الجماهير بلغتها فنجحوا، وكما قال الرسول (ص):

■(أمرنا معاشر الأنبياء ان نكلم الناس على قدر عقولهم)

ان اللـغة عادة تختلف، المنطلق يتفاوت، التعابير ليست ذات التعابير، فالناس قد يحسـون بشيء، والمثقفون أو الكتّاب يتحدثون عن ذات الشيء، ولكن بتعبير آخر فلا

يفهمه الناس.

من هنا تأتي ضرورة ان تكون الثقافة جماهيرية، لابد من التحدث بلغة الناس، ليس فقط في الاسلوب، بل وايضا في المحتوى، ليس فقط في المظهر، وانما في الجوهر ايضا، المظهر هو ان تحدث الناس حسب لغتهم ـ تعابيرهم ـ قناعاتهم السابقة ـ أمثلتهم الشعبية، حسب قوالبهم الثقافية، حسب ايامهم التاريخية التي يخلدونها، تستخدم الفن، الشعر، الفن التشكيلي، المسرحية، وسائل سمعية وغيرها، من الامور التي ينبغي توفيرها في الثقافة، وهذا ما تفتقر اليه الثورة الاسلامية دائماً.

● الثقافة وضمير الأمة

اضافة الى ذلك هنالك امر جوهري هو الاهم في مجال الثقافة، حيث ان الجماهير تمتلك ضميراً حيّاً لا تستطيع عادة التعبير عنه، ولا يفهمه كل الناس، ولكن الثوري الذكي والمفكر الناضج الحكيم، هو الذي ينفذ ببصيرته الى ذلك الضمير فيعبر عنه، واذا بكل انسان يجد تلك الكلمة التي تعبر عن ضميره، والذي لا يستطيع هو التعبير عنه ، واذا الناس جميعاً يستوون في تلك الكلمة التي لم يستطع ان يعبر عنها، الا القائد فهو الوحيد الذي نطق بها معبراً عن ضمير الامة.

ان على الثورة الاسلامية ان تبحث عن ذلك الضمير، وتعبر عنه مثلا، و ينبغي ان تحدث الناس عن تخلفهم، لان المسلم اليوم يحس في اعماقه بالخجل امام تقدم الغرب عليه، واذا ما استطاعت الحركة ان تخاطبه وتقنعه بأنه قادر على تغيير الوضع عن طريق الاسلام، و به يتحدى الغرب و يتحدى اجهزته وعملاءه كاسرائيل، أو الانظمة المتسلطة عليه، فانها آنئذ تكون تحدثت معه عن المصير الصامت وعن العقل الباطن.

ان الضمير الانساني المسلم اليوم يبحث عن الاستقلال، فقد سئم التبعية وعافت نفسه المذلة، بل اصبحت العبودية تؤلمه وتحز في صدره كالحراب، من هنا لابد ان تتحدث الحركة عن الاستقلال، ولابد ان تقول للجماهير المعنى الحقيقي لكلمة

[لا اله الا الله] كلمة الاستقلال والحرية.

لقد اصبحت الجماهير الاسلامية ــ اليوم ــ تتحسس في اعمق اعماقها حنيناً الى الأخوة الاسلامية وتتحسس بعمق الجرح الذي أوجدته الحدود المزيفة بين اقاليم الامة الواحدة، وما علينا الا ان نذهب الى الحج ونلتقي بالملايين المتدفقة من البلاد الاسلامية كافة، الى بيت الله الحرام، لنشعر بمدى احساس الجماهير بجرح الحدود النازف، فكم هو مؤلم هذا الجرح للجماهير المؤمنة في عالمنا الاسلامي، وكم هم يحنون الى يوم التلاحم والوحدة، والعودة الى بعضهم البعض،وهذا هو ضمير الأمة، تجاوز التخلف، وتحقيق الوحدة الحقيقية، والتصدي للتحدي الحضاري المتمثل في الغرب المتعجرف، الذي راح يعربد بحضارته المزيفة، و يتميز علينا و يصوّر نفسه (سوبرمان)، بينما هو في الواقع الجبان الذي اختفى وراء ما سرقه من تراثنا وعلومنا وامكاناتنا وثرواتنا، وجماهيرنا تتلهف لليوم الذي ينهار فيه هذا الكيان الجاهلي من فلسطين الى ارتيريا.. الى الفليبين واندونيسيا والى كافة البلاد الاسلامية التي تتحدانا فيها الجاهلية الغربية، محاولة تمريغ انوفنا في وحل الهزيمة والعبودية.

أجل ان جماهيرنا تتحسس بهذا الضمير، العجز، وهذا هو ضمير تحدي التخلف ،تحدي التجزئة ، والبحث عن الاستقلال، والتطلع نحو حياة افضل، فلابد ان تعبر ثقافة الثورة الاسلامية عن هذا الضمير بلغة مفهومة، وهذا هو جوهر الالتقاء بين الثقافة والجماهير عبر الاطار والمحتوى الجماهيريين.

ومتى ما تمكنت الحركة الاسلامية الثائرة من توعية الجماهير بالثقافة المعبرة عن ضمير الامة والقريبة الى لغتها، فانها سوف تتمكن من تحريك محيط الامة بامواج الثورة، و بالتالي سوف تتمكن امواج المحيط الاسلامي من ابتلاع اسرائيل والقوى التي تدعمها.

اما الحكومات الجائرة والانظمة الفاسدة الكارتونية فان رياح هذه الامواج المتلاطمة تكفي ان تجرفها، وتلقي بها في مزابل التاريخ، ولابد ان نحرك هذا المحيط.

بناء الكوادر
في العالم الاسلامي

تقنية الادارة

● ان الدعامة الثانية ـــ والتي لا تقل أهمية عن الدعامة الاولى ـــ في ارساء الاستراتيجية الحكيمة للثورة الاسلامية، هي بناء القادة الثوريين الذين هم بمثابة القنوات التي تستوعب حماس الجماهير وتوجه طاقات الامة نحو الأهداف المرسومة والتصاعدية حتى انتصار الثورة.

● كيف تنمو القيادات الصالحة؟

ان المجتمع الذي تنمو فيه القيادات، يختلف عن المجتمع الذي يئد قادته و يأكل أبناءه العظماء، وقد نرى في صفحات التاريخ صوراً لمجتمعات صغيرة ولكنها اعطت وانجبت للعالم قادة كباراً، ففي «اثينا» مثلا لا تزال ـــ من عهد اليونان ـــ تلمع اسماء كبيرة لقادة عسكريين أو مفكرين وفلاسفة وعلماء واطباء وآخرين بارزين في كافة الحقول القيادية، بينما نطالع عبر التاريخ مجتمعات كبرى لكنها لم تنتج من

يستطيع ان يرفعه الى صف القيادات الكفوءة، فما هو الفرق بين المجتمعين؟

ان لكل مجتمع محوراً يستقطب اهتمام وطاقات أبنائه، قد يكون ذلك المحور «المال» وقد يكون «العلم» وقد يكون «السعي والعمل» وقد يكون «الترف» فالمحاور مختلفة وتبعاً لاختلافها تختلف نوعية الرجال التي يفرزها المجتمع، فان كان المال محور المجتمع برز كبار الاثرياء، وان كان العلم محور المجتمع فانه سوف ينتج العلماء الكبار والمفكرين والفلاسفة، اما المجتمع الذي محوره الترف فلا ينتج سوى اللاهين والعابثين مهما كبر.

وهكذا ليست مسألة ظهور القيادات ونمو الكوادر مسألة الحركات الاسلامية، أو الحركات الثورية، بقدر ما ترتبط بكل الجماهير، حيث ان صبغة المجتمع أي مجتمع، ستترك بصماتها مباشرة على نوعية الافراد الذين يتسابقون الى محور الصبغة، وقطب رحاها.

والاسلام يبني المجتمعات على اساس تغيير المحور الذي يتنافس عليه أبناء تلك المجتمعات، من محور المال أو الترف والمجون، الى محور العلم والتقوى والفضيلة. ومن هنا كان التنافس في المجتمع الاسلامي في العلم والعمل الصالح، والتسابق نحو تزكية النفس بالورع والتقوى والاعمال الروحية، في هذا الاطار ينمو القادة، وفي ظل هذا التنافس يزدادون في المجتمع.

لقد خلق الانسان بطبيعته ناظراً للآخرين فهو يرضى بوضعه ما لم يكن شاذاً عن الوضع السائد بين الناس، حتى لقد قيل في البلاء «البلية ان عمّت طابت»، كما يهذب الاسلام هذه الطبيعة في الانسان.

هكذا شأن الانسان لا ينظر الى المقاييس حسب قيمه أو فطرته، بقدر ما ينظر اليها حسب أعين الناس والسنتهم، ومن هذا المنطلق فان الشباب بشكل خاص حيث يتفجرون همة وتطلعاً واندفاعاً نحو البروز والتقدم هم اكثر قطاعات المجتمع،

تحسساً بمقدسات المجتمع واعتباراته، كالعلم والتقوى والشرف، ولذا يتحمسون للاندفاع نحو هذه القيم.

ان العلم والتقوى هما ركيزتا القيادة في اي مجتمع من المجتمعات، ولكن حسب فهم المجتمع لهما، ففي مجتمعنا الاسلامي، يقصد بالعلم، والتقوى: الالتزام الكامل بقوانين الاسلام وتعاليمه، بينما في المجتمعات غير الاسلامية، يعني العلم بالنسبة اليهم: العلم بالدنيا، أما التقوى فهي تعني لديهم الانضباط.
ولو افترضنا ان ١٠٪ من افراد المجتمع أو حتى ٥٪ منهم تطلعوا الى الدرجات السامية فتسابقوا الى العلم والتقوى، فان ذلك يُساهم في تكثير عدد القياديين! ذلك ان المجتمع الاسلامي الذي يجعل من العلم والتقوى محوراً لنفسه و يقدسهما، سوف يجد في هؤلاء المتطلعين للقيادة، أرضيةً صالحة لبروزهم، وكفى بمجتمع يكون ٥٪ من ابنائه قادة، كفى به عزةً وتقدماً.

●العلم محور المجتمع الاسلامي

في عالمنا الاسلامي لا نحتاج الا لقائد واحد لكل مائة انسان، واكثر يلتفون حوله، و يتمتعون بقيادته، وفي ذلك شفاء من ادوائنا وامراضنا الصعبة.

من هنا جاء تشجيع الاسلام على العلم وحث المجتمع على التسابق اليه وجعل منه قيمة تستحق الاحترام والتقدير، اذ يأمر ان يحترم العالم لمجرد علمه، بينما يقول في حق الثريّ:

■(من احترم غنياً لغناه اكبه الله على منخريه في نار جهنم)■

وفيمايلي نورد بعض الاحاديث التي تفسر الآيات الكريمة التي جاءت تمجيداً للعلم والعلماء:

[قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون]
ـ٩/ الزمرـ

والنبي موسى عليه السلام حينما يلقى في طريقه عالماً (قد جاء في التفاسير انه كان الخضر(ع) فيطلب منه موسى(ع) (وهو النبي العظيم ومن أولي العزم) ان يتبعه، يقول موسى(ع) للعالم، كما نقرأ في سورة الكهف:

*[قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشداً*قال انك لن تستطيع معي صبراً*وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً*قال ستجدني ان شاء الله صابراً ولا اعصي لك أمراً*قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكراً]*
ـ٦٦/ ٧٠/ الكهفـ

●اما الاحاديث

١ـ يقول الرسول الاكرم(ص):

■(من علم شخصاً مسألة فقد ملك رقبته.. فقيل: يارسول الله أيبيعه؟ قال: لا.. ولكن يأمره وينهاه)

وهذا دليل لما للعالم من تقدير واحترام وطاعة.

٢ـ وفي رواية أخرى للامام الصادق عليه السلام حيث يقول:

□(من اكرم فقيهاً مسلماً لقي الله يوم القيامة وهو عنه راض ومن اهان فقيهاً مسلماً لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان)

ة وقدر لمقام هذا الفقيه الذي يرضى الله عن المرء باكرامه و يغضب

□(لا تحقرن عبداً آتاه الله علماً فان الله لم يحقره حين آتاه اياه)

٤ــ وورد عن الامام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام قال:

□(وحق سائسك بالعلم التعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع اليه، والاقبال عليه، وان لا ترفع عليه صوتك، ولا تجيب احداً يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب، ولا تحدث في مجلسه احداً، ولا تغتاب عنده احداً، وان تدفع عنه اذا ذكر عندك بسوء (اي تدافع عنه) وان تستر عيوبه وتظهر مناقبه ولا تجالس عدواً ولا تعاد له وليّا فاذا فعلت ذلك، شهد لك ملائكة الله بأنك قصدته وتعلمت علمه لله جل اسمه لا للناس)

٥ــ كان الامام الرضا(ع) جالساً وبين يديه جماعة من كبار بني هاشم من ولد علي وفاطمة وكلهم سادة اجلاء وثوريون وكبار في السن، فاذا بولد حدث يدخل فيهب الامام واقفاً اجلالا له، ثم يناديه اقبل.. اقبل.. اقبل.. حتى يجلس عنده، وما ان عاد الى مجلسه رأى الجالسين قد انزلوا رؤوسهم وآيات الغضب في اعينهم كأنما أهانهم الامام(ع)ــ فقال لهم:

□(مهلا .. انني لاحترمه لان الله احترمه، فهذا عالم والله فضل العلماء على غيرهم)

من خلال الروايات والآيات التي مرّت بنا نجد ان المجتمع الاسلامي يحترم العلم، يحترمه اكثر من احترام السن، واكثر من المال، أو النسب، أو السلطة، اليس الاسلام يقول عن علاقة العالم وصاحب السلطان هذا المبدأ العظيم:

■(اذا رأيتم العلماء على ابواب الملوك، فبئس العلماء وبئس الملوك، واذا رأيتم الملوك على ابواب العلماء، فنعم العلماء ونعم الملوك)

اذن ليس من الغريب ان ترى شباب هذا المجتمع يندفعون نحو تحصيل العلم والفضيلة، فينمو في هذا المجتمع العلماء الذين يصبحون قادة له. من هنا نسجل نقاطاً ثلاثة نرجوان تحقق لمجتمعنا القيادات الكفوءة وتسدّ نقصه في الكوادر.

• العلم يصنع القيادات الصالحة

ان مجتمعنا الاسلامي ــ و بعد عهود التخلف والظلام ــ قد تخلى مع الاسف عن تلك الميزة الراقية، فأصبح لزاماً على الحركة الاسلامية: ان توجه الجماهير، و بالحاح، الى ضرورة احترام العلم كعلم، والعلماء كعلماء، تماماً كاحترام القيم الالهية الاخرى، وذلك لان هذا الامر ضروري لنا في اعداد الكوادر وتشجيع حركة التعليم الديني، كي تنهار القيم المزيفة، والقيادات الجاهلية، والكيانات الفاسدة، وتنهض مكانها: القيم الالهية، والقيادات الرسالية الواعية، وحكومة العدل الالهي العالمية، القائمة على اساس العلم والمعرفة والتقوى، يظهر في مجتمعنا عناصر شابة وقيادية امثال اسامة بن زيد أو اياس القاضي حيث لم يتجاوز عمر اسامة (١٦ أو ١٧ سنة) أما اياس فله قصة مع الخليفة العباسي، فحينما وفد الخليفة العباسي على البصرة، وجد شاباً يتقدم مجموعة كبيرة من اصحاب العمائم واللحي البيضاء. فقال: «اف لهذه الشعانيم اما كان منكم رجل يتقدمكم حتى يتقدم هذا الصبي؟» ثم سأل اياس قائلا واضاف: كم عمرك ياصبي؟ فاجاب اياس بكل ثقة: ــعمري عمر اسامة بن زيد حين امره رسول الله (ص) على جيش فيه ابو بكر وعمر وكبار الصحابة ــ قال: احسنت، تقدمهم! هكذا كان المجتمع الاسلامي في السابق رغم أني لا ابرئه من الانحرافات، ولكن كان من الممكن ان ترى في ذلك المجتمع شاباً عمره لا يتجاوز الربيع السادس عشر (و بعد قرنين أو اكثر من انتشار الاسلام) كان يتقدم كبار الفقهاء، لان هذا المجتمع كان يحترم العلم للعلم، ولم يكن يقدم العمر او النسب على العلم.

وكان هذا التشجيع يدعو الشباب الى الجد في تحصيل العلم، الى درجة نرى بعض الفقهاء يصبح مجتهداً مستنبطاً قبل ان يبلغ الحلم (كما ينقل عن شخص الفاضل الهندي)، كما ونجد العلامة الحلّي رضوان الله عليه انه يصبح مرجعاً اعلى للطائفة في شبابه، و يصبح السيد بحر العلوم مرجعاً اعلى ولما يتجاوز الثلاثين من عمره، وهذا شيء لا يعيبنا، بل على العكس انه دليل على شباب المجتمع وحيويته

وتطوره.

فمجتمع يهتم بالعلم دون المقاييس الجاهلية تجد شبابه يهتمون بتعلم العلم، لانهم يعلمون انه قيمة اساسية للمجتمع، فيذكر ان شريف العلماء(رض) والذي اصبح مرجعاً أعلى في زمانه وعمره في حدود الثلاثين، انه طيلة السبع سنوات الاخيرة من حياته الحافلة بالفضائل لم يطفيء الضياء ليلا، انه كان يسهر في المطالعة والتحصيل، ولم ينم خلال سبع سنوات متواصلات في الليل اشتغالا بطلب العلم، وقد التف المسلمون حوله حينما وجدوه أهلا لذلك، ولم يستصغروا عمره. ينقل التاريخ ان احد فقهائنا الكبار، حينما تقدم به السن، وكان المرجع الاعلى في عصره، صعد المنبر وقال:(أيها الناس هذا تلميذي يبدو انه اصبح أعلم منّي، وقد كبرت في السن فأرجوكم ان تغيّروا تقليدكم اليه بدلاً عني والتف الناس حول التلميذ.

●ب ــ دور الجماهير في تربية القيادات

لاشك ان الاسلام الذي يحترم العلم والعلماء لا يعني فقط ان يقوم المرء اجلالا للعالم حين يدخل المجلس ثم يقبل يديه، وانما احترام العالم قد يكون بمساعدته على تحصيل العلم وتوفير الاجواء المناسبة لتحصيله.

ان بناء المدارس الحديثة لطلبة العلم ، واختيار اذكى ابنائك وافضلهم واكثرهم التزاماً بالدين والاخلاق للدراسة، وتهيئة الكتب والوسائل الدراسية، وابتعاث الطلبة الى المراكز العلمية، وتوفير احتياجاتهم حين يتخرجون من دراساتهم، هي بعض معاني احترام العلم والعلماء.

لذلك ينبغي على الحركات الاسلامية وعلى الجماهير المؤمنة ان تهتم بالعلم والعلماء وان تنشيء المدارس التي تخرّج كوادر للحركة الاسلامية.

اننا نجد في العالم الغربي: الوف المدارس والمعاهد، التي تعد المتعلمين لمناهضة

الحركات الاسلامية، فالمؤسسات التابعة للبنتاغون ووكالة الاستخبارات الامريكية والمخابرات الروسية.. وغيرها تعكف ـ الآن ـ على اعداد مجموعات من الكوادر المثقفة مهمتها مناهضة الحركات الاسلامية بمختلف الوسائل والاساليب، وفي مقابل ذلك ماذا أعددنا نحن؟ ان الواجب يفرض علينا ان نشيّد المعاهد التي تخرّج الكوادر التي تتصدى لخطط الاعداء ومؤامراتهم.

وفي هذا الصدد هنالك سؤال يفرض نفسه علينا بقوة والحاح في هذه الآونة، لماذا لا نربي الكوادر عبر المدارس التي ننشئها لهذا الهدف بعناية فائقة؟.. بل لماذا نترك خيرة شبابنا يذوبون في الصراعات الاجتماعية الفاسدة؟. لماذا لا نهيئهم للعمل الاسلامي كالخطابة والادب والفقه والتاريخ الاسلامي والتفسير وعلم النفس وعلم الادارة وما اشبه؟.

●ج ـ بلورة التجارب

اننا مدعوون اليوم وقبل اي شيء آخر ان نجمع تجاربنا ونركزها، وما لنا لا نجمعها وقد دفعنا من أجلها الدماء الغالية؟ لماذا لا نجمعها ونركزها في كتب وكراسات ثم نلقنها للاجيال الصاعدة من شبابنا، من ابناء الحركة الاسلامية؟ فكل جيل لاشك يبدأ بتجاربه، ولكن لماذا يبدأ من الصفر، لماذا لا يبدأ من حيث انتهى الآخرون؟.

ان هذه التجارب ثمينة لأنها كلفتنا الوف، بل ملايين الشهداء ودفعنا الثمن باهضاً حتى وصلنا الى بعض اهدافنا، فلم لا نسجل تلك التجارب؟ انخشى ان يتداولها الآخرون وهم أعرف بتجاربنا منّا؟.

ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والغرب جميعاً يكبون اليوم على دراسة آخر التقارير التي تصلهم عبر الحكومات العميلة أو عبر شركات التجسس أو الاحزاب

العميلة لهم، و يعكفون على دراسة تلك التقارير ليستخلصوا منها تجارب لمقاومة الحركات الاسلامية، بينما نحن نهمل تجاربنا الذاتية، دون تسجيلها، أو بلورتها ودراستها.

لماذا لا يوجد في طول العالم الاسلامي وعرضه معهد واحد لدراسة التجارب الثورية للحركة الاسلامية؟ لو سألنا اليوم شاباً مسلماً متعلماً عن تجارب الحركة الاسلامية في القرن الماضي أو حتى في بداية هذا القرن اتراه يعرف شيئاً عنها؟ ربما القليل من الشباب يعرف، لان الكتب التي تبحث ذلك غير موجودة، والدراسة غير مهيئة، بل الاهتمام بها مفقود.

لقد علمونا في المدارس الكثير عن الثورة الفرنسية، والثورة الامريكية، والثورة الروسية، واشياء كثيرة من هذا القبيل، لكننا لم ندرس شيئاً عن حركة الرائد السيد جمال الدين الاسد آبادي المعروف بالأفغاني الاسلامية.. ولم يعرف شبابنا في تلك المدارس كيف كانت تلك التجربة هل نجحت ام فشلت، والى اين وصلت، وما هي آثارها؟

ومَن مِن ابنائنا درس حياة الميرزا الشيرازي (قائد ثورة التنباك في ايران) أو درس ثورته؟ وكم منا درس تجربة ثورة العشرين في العراق؟ وتجربة الحركات الاسلامية في شمال افريقيا؟ بل ان اغلب المسلمين لا يعرفون شيئاً عن اكثر الحركات الاسلامية، بل انهم لا يعرفون حتى اسماءها، فكيف بتجاربها ومصادر قوتها أو ضعفها وانتصاراتها أو فشلها، لابد ان نلاحق هذه التجارب ونسجلها وننقلها الى الجيل الصاعد امتثالا للحديث الشريف:

■(مداد العلماء خير من دماء الشهداء)

اني اوجه الكلام الى العلماء والمفكرين والكتّاب، ان كان مداد العلماء خيراً من دماء الشهداء، فانما لان العلماء يتحملون مسئولياتهم في بلورة البرامج الكافية

لانتصار الشهداء، ان على مداد العلماء ان يدعم دماء الشهداء بتسجيل تجارب الشهداء ليروي للجيل القادم ماذا صنع الشهداء من آبائهم وان يحمل رسالة الشهداء.

* ايها العلماء والمفكرون:

ان رسالة الشهداء لا تتم ان لم تسجلوها وتكتبوها وترسموا خارطة لدمائهم، فلماذا تذهب دماء شهدائنا هدراً؟ لماذالا نعرف عن مناضلينا وشهدائنا في العراق وفي مصر، وفي ايران، وفي لبنان، وفي افغانستان وفي كل مكان من عالمنا الاسلامي الا نزراً قليلاً في ثورة العشرين، وماذا فعلوا وكيف ضحوا بأنفسهم.

لقد قام الاستعمار البريطاني ــ في العراق ــ وعبر عملائه الذين توارثوا العرش من الملوك الهاشميين حتى العملاء الصداميين قاموا بفصل جيلنا عن جيل الثورة، ولذلك استطاع العملاء ان يتربعوا مطمئنين على عرش العراق.

لو كان ابناء الشعب يعرفون تجارب آبائهم، شهداء ثورة العشرين، لما تمكن صدام وزمرته من التسلط على رقاب جماهيرنا اليوم، ولكن فصلونا ثقافياً عن الجيل الثوري ثم استعمرونا وقهرونا، وعلينا اليوم أن نبلور الثقافة الثورية، والتجربة الاسلامية، ونعطيها بصورة مركزة للكوادر والجماهير حتى لا نلدغ من جحر مرتين.

● كلمة الخلاصة

اذا كانت الثورة الاسلامية تقوم على دعامتي: التوعية الجماهيرية، و بناء الكوادر، فان علينا ان نجتهد في بناء الكوادر، وذلك يتحقق عبر نقاط ثلاث:

١ــ توجيه اهتمام الجماهير الى العلم والعلماء و بالتالي تهيئة ارضية لنمو الكوادر.

٢ــ ان يترجم هذا الاهتمام الى لغة عملية عبر بناء المدارس والمؤسسات وتوفير المال وتقديم الابناء وتهيئة الظروف المختلفة لنمو الكوادر.

٣ــ لابد لعلمائنا ان ينقلوا تجاربنا الى الكوادر بصورة مركزة.

العوامل المساعدة للثورة

● لنجاح الثورة الاسلامية وسلامتها يجب ان تتوفر الى جانب العاملين الرئيسيين اللذين تحدثنا عنهما سابقاً عوامل اخرى ثانوية، الا أنها هي الاخرى هامة ومساعدة في ارساء استراتيجية متكاملة سليمة للثورة الاسلامية المعاصرة.

● العامل الاول: العمل الجذري

و يطلق عليه اعداء الاسلام تارة «العمل الأصولي»، وتارة «التطرف» ولا ريب ان هذه التسمية ــ التهمة ــ ما جاءت الا نتيجة للعمل الجذري، والتحدي الصارخ. وما يستتبعه من عنف ثوري وارهاب للعدو، وقد انزلق الى هذا الفخ الذي نصبته الامبريالية للحركة الاسلامية، بعض الكتّاب «الاسلاميين» ومن يتبعهم من الحركات الذين راحوا يدعون الشبيبة الاسلامية الى الاعتدال والمحافظة، لسلب روح العنف منهم وليست هذه الدعوة ــ في نظرنا ــ خاطئة وحسب، بل وقد تكون دعوة مشبوهة. والحديث عن الدعوات المحافظة نفصله عبر نقطتين: الاسباب والنتائج.

● اولاً: لماذا انتشر العمل السطحي؟

هـناك اسباب عديدة تدعو مثل هؤلاء الى المحافظة، وان يخرجوا لنا افكاراً معتدلة حسب رأيهمـ.

●السبب الاول

انـعدام الـتوكل على الله سبحانه وتعالى. والاعتقاد بان انتصار الحركة الاسلامية سـوف يـتـحـقـق فـقـط بسبب ما تملكه هذه الحركة من قوى وطاقات ووسائل! بينما الحقيقة ان العمل ما هو الا وسيـلة، والله جل جلاله هو الناصر والمعين:

[انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد]

ـ٥١/ غافرـ

[وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى]

ـ١٧/ الانفالـ

الـيـس في يوم حنين عبرة، حيث اعجبت المسلمين كثرتهم وقوة جيشهم، فحلّت بـهم الهزيمة؛ ليعلموا ان النصر من عند الله سبحانه وتعالى وليس من انفسهم، والحركة الاسـلامية التي ترى ان قوتها في ميزان القوى اضعف بكثير من العدو، فانما هي عديمة الـتوكل على الله، أو ضعيفة في ذلك، والا فكيف يجوز للمؤمن بالغيب، الذي يرى ان الامور بيد الله، ان يهون و يلين امام العدو؟

[ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين]

ـ١٣٩/ آل عمرانـ

يـكـفـي ان تـوفر في ذاتك الايمان، والله يتولى الامر بعد ذلك، فالله ولي المسلم وهو مولى المؤمنين، وكفى به وليّا ونصيراً. وفي الحديث القدسي يقول سبحانه وتعالى:

●●[لاقطعن رجاء من يرجو غيري]

و يقول ربنا سبحانه وتعالى:

[وعلى الله فليتوكل المؤمنون] —١١/ ابراهيم—

اي لا تتوكلوا على انفسكم، ولا تعجبكم قدراتكم؟ لا تحزنوا ولا تهنوا لضعفكم، فلستم بضعفاء ، وانما عدوّكم هو الضعيف.

[ان كيد الشيطان كان ضعيفا]
—٧٦/ النساء—

فانعدام أو ضعف روح التوكل عند بعض الحركات، أو عند بعض من يتسنّم قيادتها، سبّب تورطها بما يسمى بالاعتدال.

●السبب الثاني

وقوع تلك الحركات فريسة التضليل الاعلامي المعادي، الذي يصور للجماهير المؤمنة و بشتى الوسائل انَّ الحركات الثورية الرسالية، حركات متطرفة، ومجنونة، حيث تتحدى قوة السلطان، بل قوة الدول العظمى — روسيا، وامريكا— وهي —اي الحركات— ضعيفة ومعزولة، وقاعدتها: افراد قليلون، وما الى ذلك من التشو يه الذي يوهمنا بأننا ضعفاء.

انه العدو الذي يبث هذه الفكرة بيننا، وهو الذي يحاول تلميع صورة الرجال المعتدلين في الحركة، ويحاول تلو يث الرساليين الثوريين الحقيقيين، فواجبنا كجيل ثائر ان ننتبه لأساليب العدو المخادع الذي يريد فصل ثوارنا الحقيقيين عن جماهيرنا، وان نقاوم هذه الاساليب ونفضحها.

● الثورية في الوسائل الاعلامية

و يكفي ان تفتح المذياع على احدى المحطات، لتسمع ما يقولون عن الحركات

الرسالية، اذ يصفونها بالارهابية والتطرف، كما بالجنون والتهور، وحتى انهم لا يتورعون عن اتهام الثوار الرساليين بالعمالة.

كما انهم لا ينسون ان يصوروا الحركات الاكثر ثورية وتضحية وفداء بأنها ضعيفة ومنبوذة جماهيرياً. علماً بأن الجماهير لا تلتف الا حول الحركات الاكثر نبضاً وحماساً واستعداداً للتضحية، والاقدر على التحرك والاندفاع.

ان الثلوج لا تستقطب الجماهير، وانما يستقطبها الدفء والوهج، ولنا في القصص والروايات شاهد واقعي ــ فأي القصص تراها بقيت عبر التاريخ ــ هل هي قصص البرود والحياة الراكدة العادية، أم قصص الحروب والصراعات والمغامرات والمفاجئات؟ وايها اكثر انتشارا هل هي مذكرات موظف في دائرة البريد أو البلدية، أم مذكرات القادة والسياسيين والعسكريين، وهل نقرأ قصة شخصية عادية عاشت بين المنزل والوظيفة ثم انتهت، أم قصة تتعلق بالجماهير والمجتمع، والصراع والتضحية والسجن والاعتقال والارهاب والتحدي..؟

• الثورية .. بين التطرف والاعتدال

ان التصوير الاعلامي الخاطيء الذي يدعي ان الجماهير ترفض مثل الحركات الصدامية، وكأنما الجماهير دجاج خلقت لتذبح و يتصرف بها الطغاة ــ كما يشاؤون ــ انما هو محاولة من الطغاة لسلب الثورية من ضمير الحركات الاسلامية، و بالتالي قتل الامل الثوري في نفوس الجماهير.

ان الطغاة عبر اجهزة الرقابة الدقيقة يفتشون عن العناصر الثورية فرداً فرداً، و يدرسون حياتهم فيفرزون العناصر الاكثر ثورية وحماساً وتضحية، او تطرفاً ــ كما يزعمون ــ فيقومون بتصفيتهم، اما العناصر اللينة التي يمكن تركيعها، فانهم يعتقلونها، و بعد عمليات التعذيب تسلب منهم الارادة الثورية، ليطلق سراحهم

بعدئذ.

وكثير من العناصر والقيادات الذين خرجوا من السجون، خرجوا وهم يحملون نفسيات مهزومة واراة محطمة خائرة.

وانني اشك في بعض العناصر الذين خرجوا من السجن رغم ان البعض الآخر كان السجن سبباً لشحذ عزائمهم، وصلابة اعوادهم، ذلك لان الصنف الاول خرجوا وقد انهاروا، ومثل هؤلاء من الذين عاشوا في الحركة الاسلامية طويلا، ثم غيبتهم ظلمات الزنزانات والمعتقلات أربعة عشر عاماً، أو سبعة عشر عاماً، فان الجماهير ولا شك لا تنظر اليهم الا عبر سابقيتهم النضالية، لذا فهي تلتف حولهم، ولكن كم هي خيبة الجماهير حينما تكتشف ان هذا المناضل أصبح مناضلا ضد من يسميهم بالمتطرفين، و يصدر البيانات، ويجري المقابلات الصحفية، ولكن ضدّ من يضحّون بأنفسهم للاطاحة بالطاغوت، اوليس من الافضل لمثل هؤلاء «المناضلين» ان يعدموا في السجن..؟ اوليس الاعدام اشرف لهم ليصبحوا شهداء؟

ان الذي خرج من السجن غير الذي دخل؟ لم يعد له مكان في صفوف الحركة الاسلامية وخروجهم منها، أولى من بقائهم فيها بهذه الصورة. كانت هذه دواعي فكرة الاعتدال، اما نتائج هذه الفكرة فهي:

● ثانياً: نتائج العمل السطحي

١ ــ نفور الجماهير

ان الحركات المعتدلة تتصف بتفكك القيادة، وصعف عزيمة القادة وقلة القرارات السياسية الحازمة، وتتصف اخيراً بضعف في التوعية، ذلك لان الشباب اي شباب، مستعد ان يتحرك من أجل بلاده ومقاومة سيطرة الاعداء لاصلاح العالم، ومستعد لو طلبت منه في سبيل هذا الهدف ان يعطيك كل ما تحتاج ولو كانت النفس لأنه يبذلها من أجل هدف عزيز. اما اذا طلبت منه ان يضحي من أجل اجراء بعض

اللمسات التغييرية الظاهرية في هذه الحكومة او تلك مع ابقاء النظام القائم، فان ذلك الشاب حينئذ سيرفض ذلك و بشدة.

ان ذلك الهدف السامي قد تزعزع في نفس الشاب، لذلك انفض الشباب عن الحركات المعتدلة، ولهذا انهزمت هذه الحركات المعتدلة امام الحركات الثورية في التاريخ، لان اتباع الحركات المعتدلة لا يضحون من أجل اهدافها القشرية أو الجزئية، بينما الخطيب الثوري حين يحث مستمعيه على النهوض من أجل تغيير جذري في الحياة البشرية، لكي يقلعوا جذور الفساد، و يساهموا في اسعاد الملايين، فانه آنئذ يلهبهم ثورة وحماساً.

ومن هنا فان الحكومات تسعى دائماً للحصول على تنازل من الحركات الثورية ولو في خطوة واحدة، لانهم ـــ ان تنازلوا بطريقة او باخرى للحكومات ـــ فلن يكون التنازل الاول، بل سيكون النزول الاخير، لان في الحركة شباباً سيفقدون ثوريتهم، أو ينفصل عن هذه الحركة، الافراد الاكثر ثورية وتضحية، وحينما يفقد تيار الحركة اولئك الفتية المضحين ـــ بالرغم من قلتهم ـــ فان هذا التيار سيفقد قوته، وفي مرحلة لاحقة سيكون من السهل على الحكومات تصفية الحركة كلها.

حينما ذهب رئيس احدى حركات التحرير الثورية الى الامم المتحدة وهو حالق لحيته، علقت عليه بعض الصحف بكاريكاتور يُظهر رئيس الحركة يحلق لحيته بموس مكتوب عليه «موس الاعتدال» ومنذ ذلك اليوم فقدت حركته الكثير من قدرتها.

ان الاستعمار لا يخشى الحركات المهادنة المسالمة كالدجاج! لانهم يستطيعون ذبحها وقتما يشاؤون، وانما يخشى من حركات الصقور والعقبان ومن مخالبها، فان استطاعوا استئصال المخالب، فسوف يطمئنون الى تفوقهم، ولهذا يريدون تجريد الحركات من اسلحتها، في حين ان العدو يتمتع بكل الاسلحة، اما الحركة فانها تمتلك سلاح عدم اعترافها بشرعية النظام، فاذا اعترفت، فانها حينئذ قد جردت من كل اسلحتها، فماذا تمتلك الحركة بعد ذلك اذا اعترفت بشرعية الفساد؟!

٢ـ سيطرة العدو

ان النظام الذي يستند على دعامات من الداخل والخارج، يمتلك او يسعى امتلاك كل اسباب التسلط والقوة، فالحركات لا تواجه حمائم كي تصبح حمامة، وانما تواجه نسوراً فلابّد ان تصبح عقباناً، **«ان لم تكن ذئباً اكلتك الذئاب»**

العدو الذي يتوسل بالارهاب. يمتلك الوسائل التسلحية والوسائل القمعية من سجون ومخابرات و..و.. و يتمتع بقوات عسكرية لا تمتلكها أية حركة، ويمتلك وسائل تضليلية، اضف الى ذلك انه لا عهد له ولا شرف.

حينما سكتت بعض الحركات عن انور السادات هل سكت هو عنها؟، وحينما لم يقاوموا خيانات (كامب ديفيد) هل نسيهم .. ام زجّ بهم في السجون؟

ان الاعداء لا شرف لهم، ولا يجدر ان تتعامل معهم بقيم الشرف، والا فسوف تكون غبياً اذ حرام ان نمشي وادعين مطمئنين في ارض السباع، اننا لا نعيش في ظل حكومة العدل أو في مجتمعات مدنية، وانما نعيش في عالم الغاب، الذي يأكل القوي فيه الضعيف، وهل تخدعنا المحاكم المزيفة، فاين المحاكم المستقلة؟ واين القاضي المستقل؟ اين الحرية وأي انتخابات تجري عندنا؟ وما نوع البرلمانات التي تقوم في اوطاننا؟ ومتى كانت تعبر هذه المجالس النيابية عن ضمير الشعب؟ ومتى تنازل حاكم لارادة الجماهير طواعية وبمحض اختياره؟ وان اراد ان يتنازل هو فان من حوله لا يدعونه يفعل! فعلام تخدعنا الالفاظ، دعنا ننظر الى واقع ممارساتهم القمعية ونقضهم للقوانين ـ التي وضعوها هم بأنفسهم ـ اذا شعروا بالخطر. انهم يعبدون الكرسي من دون الله ويحترمون رغبة أسيادهم.. لا ارادة شعوبهم! ولا يتورعون ـ في سبيل الحفاظ على عروشهم ـ عن استخدام كافة الوسائل البعيدة عن الشرف والدين، وازاء هكذا اعداء كيف نلتزم بالهدوء والوداعة والنصيحة والوعظ؟ وهل نستطيع التحرك مسالمين بالوعظ والارشاد؟ حتى ولو ان نظاماً من الانظمة كان معك، فان الاستعمار اذا رأى منه ذلك وعرف انه سوف يسقط امام قوة وحكمة الحركة الاسلامية، فانه سرعان ما

يبدله بنظام عسكري ارهابي.

لقد اعد الاستعمارمجموعة من الحكام على مختلف المقاسات، وكافة الانواع، وهو يأتي بالعميل المناسب منهم حسبما تتطلبه الظروف والوضع القائم. ولذلك فنحن لا نحارب الانظمة الحاكمة عينا في الظاهر، وانما نحارب من هم وراءها من المستعمرين، نحارب جذورها وخلفياتها، وما يملكون من قوات واساليب متطورة.

من هنا علينا ان نتسلح حسب سلاح العدو الذي نحاربه.

٣ـ سهولة الاختراق

ان جدران الحركات المعتدلة هشة يسهل اختراقها من قبل العملاء والجواسيس، وذلك بالانخراط في صفوفها، ومن ثم التسلل الى قيادتها و بعدئد يحكمون الشعوب باسمها.

على الحركات الاسلامية ان لا تسمح لنفسها بان تكون مطيّة الجواسيس والعملاء! كما عليها ان تتيقظ وتحصن نفسها ازاء هجمات العدو، لاسيّما الهجمات غير المنظورة، فان العملاء حتى ولو لم يتمكنوا من التسلل الى القيادة، فان وجودهم بين صفوفها بحد ذاته خطرعلى الحركة، حيث يجعل تحركها مكشوفاً للعدو فيبطش بطشته القاتلة في الوقت الذي يحلو له.

●التاريخ وحركات الصِدام

لقد كشف التاريخ مرتين: ان الحركات الرسالية الثورية هي التي انتصرت، بينما سقطت الحركات المحافظة المسالمة، مرة حين يحدثنا التاريخ عن قصص الانبياء(ع) وتحديهم للطغاة، ومرة حين يحدثنا عن الثورات الحديثة.

اما بالنسبة الى تاريخ الحركات الرسالية فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام

كـانـوا يـتـحدون الوضع الفاسد بأبعاده كافة، لذلك فحركاتهم كانت ثورية جذريّة، فنوح عليه السلام يتحدى قومه قائلا:

﴿اجمعوا امركم ثم لا يكن امركم عليكم غمة، ثم اقضوا اليّ ولا تنظرون﴾
— ٧١/ نونس —

وابـراهـيـم(ع) اول ما يعلن حركته، يعلنها بهدم أصنام نمرود وملئه وهي اقدس مقدساتهم ويمضي في تحديه الى غاية المطاف!!

ومـوسى(ع) يأتي الى فرعون و يسفه احلامه و يدعوه الى الله، رغم جبروت فرعون واستكباره في الارض.

وعـيسى عليه السلام يسير على نفس الخط. وكذلك فعل الرسول الاعظم محمد بن عـبـدالله(ص) اذ قـام بـهـدم الاصـنـام في مـكـة المكرمة، وحينما جاء وفد ثقيف من الـطـائـف واسـتـأذنـوه ان يبقى لهم صنمهم (اللات) لمدة ثلاثة اشهر يتمتعون برؤيته رفض الـنـبي(ص) ذلك، وما زالوا يحاولون معه وهو متمسك بالحق وعازم على تحطيم (الـلات) وبعدما يـئـسوا من كل محاولاتهم قالوا للنبي(ص) اننا نوافق على هدمه ولـكـنـنـا لا نـسـتطيع ان نكسر صنمنا بأيدينا فاكسره أنت، فقال(ص) لكم ذلك!! وقـبـل ان يحـطـم أصنامهم، ولكنه رفض ان يمهلهم في عبادة الاصنام ليوم واحد وجرّد مـن أجـل ذلـك جـيـشـاً لحـر بـهـم من أجل ان لا يرضخ لهذا الشرط، وهذه هي سمة الحركة الرسالية في التاريخ.

امـا الحـركـات الـثـوريـة الحـديثة، فان الجناح الاكثر تطرفاً في اي ثورة، سواء في الـثـورة الـفـرنـسـيـة بعد سقوط الباستيل أو في الثورة الروسية بعد سقوط القياصرة، هو الجـنـاح الـذي تـسـنـم الـسـلـطة بالتالي، وذلك لانه كان يتمتع بالميزات التي سبقت الاشارة اليها وهي:

* القدرة على اتخاذ القرار.
* وحدة الصف والكلمة.

*حماس الانصار واندفاعهم.

*الاستعداد للتضحية والعطاء.

*صعوبة الاختراق.

●العامل الثاني: التنظيم

ان العدو يحاربنا بنوعية مدروسة ومختارة، فهولا يحاربنا بالكم (الكثافة) فحسب، ولكن بالكيف (بالنوعية) ايضاً. ومن دون التنظيم، فاننا لا نستطيع ان نركزقدراتنا، ونوجه طاقاتنا، ونربي شبابنا، ونمتلك النوعيات المناسبة لمراحل الصراع المختلفة، زيادةً على الامكانيات الضخمة التي هي بحوزة العدو، فانه يمتلك شبكات تنظيمية هائلة القوة والانتشار، مهمتها القمع والارهاب باسم الأمن أو المخابرات، أو باسم الدفاع الوطني، وهي مزوّدة بمختلف الوسائل التكنولوجية، ومسلحة بالوعي التنظيمي الكافي، بالاضافة الى الشبكات الجاسوسية، وحسب مذكرات «مس بل» الانجليزية فان هذه الجاسوسة البريطانية استطاعت ان تتسلل الى الحركة التحريرية العراقية واستطاعت ان توجه كثيراً من الثوار، وتضلل الحركة التحريرية العراقية في ذلك الوقت.

ولو تسنى لنا أن نقرأ مذكرات (لورنس) البريطاني الذي يسميه البعض زوراً (لورنس العرب) لعرفنا الكثيرعن الجواسيس.

ولا ريب ان الاستعمار الذي كان قبل خمسين عاماً يملك جواسيس من هذا النوع لا يزال اليوم موجوداً، ولايزال يمتلك جواسيس كاولئك أو اكثر دهاءً ومكراً. ولن تتمكن شعوبنا من اكتشافهم طالما استمرت حالة الفوضى واللاتنظيم التي نعيشها.

ومادام العدو يتمتع بنوعية ممتازة من العملاء يتواجدون عبر اجهزته التنظيمية المختلفة فانه ينبغي على المسلمين ان يملكوا عدد ما يملك العدو من الرجال المنظمين

والكفاءات الادارية والقدرات التنظيمية والعناصر التي تنفذ الى قلب العدو وتتسلل الى اجهزته، من الخبراء العارفين بطبيعة العدو، وهذا لا يمكن تحقيقه الا عبر اجهزة تنظيمية.

●المنظمات طليعة الجماهير

ان المنظمات ليست بديلة عن الجماهير، ولكنها ذراع الجماهير، وقلبها النابض، وعقلها المفكر، ومن اكثر خطط الاستعمار مكراً وكيداً وخطورة، خطة فصل المنظمات الاسلامية عن الجماهير بشتى الوسائل.

ان كافة اجهزة العدو تسعى من أجل فصل القيادات والمنظمات الاسلامية الثورية عن الجماهير، لاسيّما وسائل الاعلام التضليلية التي تتخذ من اخطاء المنظمات ومن بعض أقوال قياداتها، وقلة خبرتهم، وتجربتهم سبباً وذريعة للايقاع، وتوسيع الشقّة بين الجماهير والصفوة من أبنائها.

ان على المنظمات الاسلامية الثورية ان تكون ذكية كي لا تعطي العدو ذريعة تضخيم الهوة، وجعلها وسيلة للفصل بينها وبين الأمة. وعلى الجماهير ان لا تخضع لأبواق العدو، فتصدق كل ناطق! بل عليها ان تكون بصيرة وناقدة لا تأخذ الكلام على عواهنه، والا فيوم القيامة سوف تأتي الصفوة من أبنائنا الشهداء والمضحين والمناضلين يشكون الى الله منّا، لأننا أسأنا الظن بهم، ولم نقدرهم حق قدرهم، كمبادرين الى العمل الاسلامي وسبّاقين في هذه الساحة المقدسة.

ان هذه الصفوة مباركة، وأمتنا انما تبقى ببركة هذه الصفوة التي يحبها الله، لان الله سبحانه وتعالى يحب الشباب الخشّع أوليس الحديث الشريف يقول:

■(لولا اطفال رضّع، وشباب خشّع، وشيوخ ركّع، وبهائم رتّع، لصبّ البلاء عليكم صبّا)

فهؤلاء الشباب الخشّع يحبهم الله و يكرمهم، لأنهم مجاهدون في سبيله فحذار ان

يدفعنا الشيطان لبغضهم، والابتعاد عنهم، أو الخوف منهم، بل علينا ان نساعدهم، فهم الدرع الواقي لنا، واليد الضاربة لجماهيرنا، فلا يخدعنكم الشيطان ولا يغرنكم بالله الغرور.

تسلحوا بالوعي واطمئنوا الى هؤلاء العاملين، وان كان لديهم اخطاء فان اخطاءهم سوف تزول عن طريق التلاحم معهم، ووضع التجارب الكافية بين أيديهم، وبسط الأيدي اليهم بالتعاون والمحبة والصدق.

استراتيجية الثورة الاسلامية

١ ــ الثورة على التخلف

● لا ريب ان المسلم فور ما يلتزم ببرامج السماء فانه سوف يتقدم على الانسان المتحضر (انسان الحضارة الغربية) بخطوات واسعة، لان الانسان المتحضر غربياً لا يمتلك الروح والارادة والبرامج والبصيرة التي يمتلكها المسلم الرسالي.
اذ ان الانسان المتحضر ــ ان جاز لنا أن نسميه كذلك ــ لا يملك درجة من الفضل بقدر ما يملكه المسلم الرسالي، وتلك الدرجة هي العلم.

●العلم سلاح الثورة

وكما يعلو الحق على الباطل فان العلم يعلو على الجهل اذ ان العلم يهدي الى الحق، بينما الجهل يدعو الانسان الى الباطل، ولهذا جاء قول الباريء عز وجل:

﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾
ــ ١١/ المجادلة ــ

فالانسان الذي يعلم أفضل ممن لا يعلم، كما ان الانسان المؤمن افضل من غيره،

وكما ان المؤمن يفوق غير المؤمن بدرجة، والعالم يفوق غير العالم بدرجة.. فانه آنئذ يتعادل المؤمن غير العالم مع العالم غير المؤمن (وطبعاً ذلك في درجة الفضل في الدنيا) فلماذا يبقى العالم غير المؤمن مسيطراً في الارض؟

اننا نريد للانسان الرسالي ان ينتصر على غير الرسالي، وان يمسك بيده أزمة الأمور لينقذ الحياة من براثن الجاهلية، ولا يمكن له ان يكون كذلك الا اذا سيطر على قوة ذاته، وتحكم في نفسه، وشارك الآخرين في قواهم التي منها العلم، فشارك العالم في علمه، وتميّز عن الآخرين بايمانه.

ومن هنا كان لابد للرسالي أن يتسلح بالعلم، وحين اقول العلم فاني لا أقصد العلم بالبصيرة القرآنية و بالفقه فقط، انما اقصد ايضاً من العلم ذلك الجزء الآخر وهو العلم بالدنيا و بوسائل التقدم.

ان الهدف البعيد للثورة الاسلامية ليس فقط اللحاق بركب الحضارة الحديثة، بل وسبق هذا الركب عن طريق العلم والايمان، الا ان الهدف لن يتحقق الا بوسيلة من جنسه، كما يقتضيه القانون المعروف، فلا يمكن للنار ان تصنع الثلج، ولا يمكن للثلج ان ينتج الحرارة، ان كل علّة تتشابه مع معلولها، وكل معلول يتشابه مع علّته ـ حسب تعبير الفلاسفة ـ.

لذا لا يمكن للانسان ان يحصل على العلم، عن طريق الجهل، كما لا يمكن له ان يصل الى الحق عن طريق الباطل، بل العلم يولّد العلم، والحق يؤدي و يهدي الى الحق، و بناءً على ذلك لا يمكن لثورة اسلامية ان تلحق بركب العالم الحضاري الا اذا بنيت منذ انطلاقها على العلم اساساً، وكان من اهداف أبنائها منذ ان صمموا على التحرك والثورة، الحصول على علم الدين اضافة الى علم الدنيا.

فعلى سبيل المثال لا يمكن لأي عسكري أن يطبق برنامجاً حضاريّاً متقدماً بمجرد القيام بانقلاب عسكري.

ان احد الأسباب الرئيسية لفشل الأنظمة الحاكمة في بلادنا (الاسلامية) في اللحاق بركب الحضارة الحديثة: هو ان المهيمن على البلاد من القادة هم بذاتهم (جهلة) لا يمتلكون العلم «وفاقد الشيء لا يعطيه» فكيف اذن يستطيعون ان يرفعوا شأن العلم وهم في انفسهم جهلة؟

ان الثورة الاسلامية ومنذ البدء لا تنطلق الا من منطلق الايمان والعلم معاً، لذلك فكل ثائر ينتمي لهذه الثورة يحاول ان يصل الى درجات رفيعة من العلم، العلم بالسياسة، والاقتصاد، والاجتماع، و بالتكنولوجيا الحديثة، و بالرياضيات، والفيزياء، والكيمياء، وكافة الامور.

●الثورة والتكنولوجيا

لماذا لاتستفيد الحركات الاسلامية ــ حتى اليوم من وسائل العلم الحديثة؟ لماذا لاتستفيد من الاشرطة والفيديو والكمبيوتر، ووسائل الاختزال ومن المناهج العلمية الحديثة؟

ان هذه الوسائل ليست حكراً لأحد، فالعلم لا أب له ولا أم، ولا حدود، ولا زمن، ولا مكان، انه فوق الحدود والقيود.

لا يمكن لعالم الذرّة الامريكي أو الروسي ان يدّعي أنه قد وصل هذا المستوى بمفرده، أو لأنه كان امريكيّاً أو روسيّاً، بل الصحيح انه بلغ هذا المستوى عبر تكامل العقل البشري منذ آلاف السنين، فلقد تكاملت النظريات الفلسفية اليونانية والحساب الهندي والمنطق الـ ميني والنظريات العربية وتفاعلت حتى وصلت أوجها عند هذا العالم، فالعلم لا يملك جنسية روسية أو امريكية، ولذلك يحق لنا ان نتساءل..

لماذا نأبى ـــ كحركات اسلامية ـــ الحصول على العلم والاستفادة من وسائله؟ لماذا يستفيد أعداؤنا من الاجهزة العلمية دون ان نستفيد؟

لماذا نعتقد أننا لانستطيع أن نبعث بشبابنا ليتعلموا الكمبيوتر الا بعد انتصار ثورتنا؟ اننا اذا اعتقدنا ذلك فلن يأتي النصر لأنه لايُبنى، ولا ينبغي له، ان يكون على هذا الاساس.

●الثورة وتطوير المناهج

فعلى سبيل المثال، اشرنا فيما مضى الى أهمية تركيز التجارب الموجودة لدى الحركات الاسلامية، ومحاولة نقلها من جيل الى جيل، ليبدأ كل جيل من حيث انتهى الجيل الماضي، لا من الصفر اي من حيث ابتدأ، ونحن ان اردنا التقدم في مجال تدوير العلم وتجميعه تطبيقاً للحديث الشريف:

■(اعلم الناس من جمع علم الناس الى علمه)

فلا يمكننا ان نستغني عن المناهج الحديثة.

●الثورة واستخدام الوسائل

نسبة المنطق الحديث ـــ مثلاً ـــ الى المنطق القديم، كنسبة المصباح الكهربائي الى ذلك الفانوس البدائي الذي كان يستعمله آباؤنا رحمهم الله، صحيح أن هذا تطوير لذلك، فالمصباح الكهربائي تكامل في مسيرته من الفانوس، بل من الشمعة، ولكن شتان بين هذا وذاك، فلا يمكننا أن نجمد على المنطق الأرسطي، حتى ولو أضيفت اليه اضافات الفارابي، وابن سينا، وصدر المتألهين، رضوان الله على الطيبين منهم، كما لايمكننا أن نستغني عن المنهج الاجتماعي، والمنهج الاداري، والمنهج العلمي، في المسائل النفسية فيما نحن نتقدم في مجال الثورة الاسلامية.

● الثورة واستخدام الوسائل

لابد من استخدام وسائل العلم الحديثة، اذا أردنا تجميع المعلومات والمحافظة عليها، فلا غنى عن الوسائل الحديثة، «كالميكروفيلم» و «الكمبيوتر» لجمع وطرح وتجميع وتفريق المعلومات المختلفة. وفي مجال العمل، الى متى تبقى الحركات الاسلامية مكتفية بشعار العلم دون ان يتحول الى واقع عملي في عمق البرامج اليومية، فالحركة الاسلامية اليوم لا تستطيع أن تركب الحمار للانتقال من بلد الى بلد، أو تكتفي ببعث رسالة دون ان تستفيد من الهاتف، فكذلك لا يمكننا ان نستغني عن الكمبيوتر شئنا أم أبينا.

ان العالم يسير بسرعة نحو عصر الالكترونيات..! واليوم يدخل الالكترون في كافة مجالات حياتنا. انظروا الآن الى الساعات التي في أيديكم تجدون كثيراً منها الكترونية.. أليس كذلك..؟ مادام الامر كذلك فلماذا لا يدخل الالكترون معكم..؟

لماذا لا تضمون الالكترون عضواً في حركتكم الاسلامية؟

سجلوا اسمه، انه ينفع الاشرار فما المانع أن ينفع الابرار..؟

●الثورة وتدوين التجارب

لماذا لا نكتب تجاربنا مع أننا بحمدالله قد تجاوزنا مرحلة الامية؟ لماذا لا نحول التجربة الى قاعدة في حياتنا!

ان توجيهات الاسلام تؤكد علينا بضرورة محاسبة الذات، أفلا يدل ذلك على ضرورة اختزال التجارب، وتطويرها، وبلورتها، وتحويلها الى قاعدة سلوكية؟

ان الامام الصادق(ع) يقول:

□(ليس منا من لم يحاسب نفسه كل يوم)

و يقول في حديث آخر:

□(قيّدوا العلم بالكتابة)□

أولا يدل هذان الحديثان ــ اذا جمعا معاــ على ضرورة ان يجلس الرسالي منا في نهاية يومه، و يكتب تقريراً عما فعله في ذلك اليوم، ثم يجمع في نهاية الاسبوع، أو الشهر تقاريره، فينظر فيها، ثم يستفيد من تجاربه ناجحة كانت أم فاشلة؟

على الرسالي ان يحول ذلك الى قاعدة يعطيها بعد ذلك الى اخوته واخواته والذين يعطونه ــ بدورهم ــ قواعدهم التي استخلصوها، لأنه لابد لنا من بناء حياتنا على العلم أساساً منذ اللحظة الاولى.

هذا هو الاسلام، يأمرنا ولا نملك الا السمع والطاعة. وجاء في الحديث: ان الامام علي بن ابي طالب(ع) يقول لكميل:

□(واعلم بأنه لابد لك قبل كل جولة من فكرة)□

أو كما يقول الحديث الشريف عن المؤمن:

■(طوبى لمن كان سكوته فكرة ونظره عبرة)

بل والقرآن يؤكد:

[ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار]

ــ ١٩١/ آل عمران ــ

[قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين]

[واعتبروا يا أولي الابصار]

ــ ١١/الانعام ــ

[افلا يتفكرون]

[افلا يعقلون]

[افلا يتدبرون]

فماذا تعني هذه الآيات..؟

اذا كان المؤمن يمر منذ الصباح الى الليل بتجارب وتجارب ثم لا يسجلها، واذا سجلها لا يتذكرها، واذا تذكرها لا يعطيها للآخرين و يأخذ منهم أمثالها، فهل نفذ تعاليم الاسلام؟

لقد أمرنا الاسلام بالجلوس في مجالس العلم، وقال بأن الملائكة تضع اجنحتها تحت أقدام طالب العلم رضاً به تتمسح به بأجنحتها حين صلاته تبركاً به، فلم امرنا بالجلوس والتذاكر؟

أوليست شئون الامة الاسلامية مما تهم المؤمن؟ أوليس الاهتمام بطرق العمل، واستراتيجية التحرك، وتكتيك العمل، مما يهم المسلم..؟

اذا كان كذلك فلم لا نتفكر..؟ فهذا هو معنى تدو ير المعلومات! وناهيك عن تطو ير التجربة العلمية الذاتية، فان بامكان الحركة الاسلامية ان تبدأ بتوجيه أبنائها الى العلم والابداع والابتكار، فاذا بالحركة الاسلامية تصبح رائدة لحضارة جديدة، افضل مما لدى امريكا، ومما عند أوروبا ومما في روسيا. لان العالم المحيط بنا بعيد واسع الآفاق، وما اكتشف منه لا يشكل سوى نقطة من بحر اذا نسبناه الى ما لم يكتشف منه، وكما كان للأوروبيين تجربتهم في الحضارة، وكان للأمريكيين كذلك تجربتهم، وللروس تجربتهم، ولليابانيين تجربتهم، نحن بدورنا ايضاً يمكننا ان نقتحم مجالاً جديداً، وتكون لنا تجربتنا الخاصة بنا، ان تحركنا في هذا المجال وتحركت أدمغتنا.

وكلما استفدنا من العلم بالاضافة الى ما نملك والحمد لله من قوة الايمان، كلما

أعطينا زخماً جديداً لهذه الحركة باتجاه التقدم السريع.

٢ــ استقلال الثوار

لا يشكل الاستقلال هدفاً من اهداف الثورة الاسلامية فقط، وانما هو وسيلة ايضاً في بلوغ الهدف أو بكلمات اخرى.. لا تصبو الحركة الاسلامية الى تحقيق الاستقلال بعد الانتصار فقط، وانما تحرص على تحقيقه حتى في مرحلة النضال.

عندما نرفع شعار الاستقلال لبلادنا عن الشرق والغرب نبدأ بتطبيق هذا الاستقلال عملياً في واقعنا، ومن هنا فان السياسة الحكيمة لكل حركة اسلامية قائمة على اساس «لا شرقية ولا غربية» اي رفض كل ألوان الجاهلية في الارض، وهذا لن يتحقق الا بالاكتفاء الذاتي والاعتماد على النفس.

انك ان احتجت الى احد فانك ستصبح تابعاً له، كما يقول الحديث الشريف:

■ **(احتج لمن شئت تكن أسيره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، واحسن الى من شئت تكن اميره)**

اذا أردت أن تقول «لا شرقية ولا غربية» لابد ان تدفع سلفاً ثمن هذا الشعار، وليس من الصحيح ان تقول «لا شرقية ولا غربية» ثم تمد يدك اليمنى للغرب، و يدك اليسرى للشرق، فانها ليست سياسة ولا استقلال..! وكيف تستطيع ان تقول «لا شرقية ولا غربية» وانت تطلب المساعدات من الشرق والغرب، وتعطي مقابل ذلك كل ماعندك من مال ودين وشرف؟

٣ــ لا .. للتجزئة..!

اذا أردنا ان نستقل عن الشرق والغرب فنحن نعيش في عالم يحيط بنا احاطة البحر بالجزيرة، بينما تتلاشى المسافات بين حدوده، وتندمج أبعاده اكثر فأكثر، كلما

تـقـدمـت وسـائـل الا تصال بين تخومة، فهل نستطيع ذلك ونحن على ما نحن عليه من تجزئة.

ان تـعـيـش جـزيـرة صـغـيرة وسط هذه التيارات العالمية دون ان تخضع لها فذلك محال، ولا يمكن لبلد صغير كبعض البلدان الاسلامية، الصغيرة هنا وهناك: ان تعيش بمفردها في خضم التيارات العالمية، ولا يمكننا ان نرفع علماً لبلد اسلامي لا يتجاوز تـعـداد سـكـانـه ثلاثين ألفاً في مقابل علم الولايات المتحدة الامريكية التي يبلغ عدد سـكـانـهـا اكـثـر من مائتين وستين مليوناً، أو مقابل علم الهند أو الصين الذي يقارب تـعـداد الـسـكـان في كـل واحـد مـنـهما حوالي المليار. ثم يسأل الصيني كم عدد كم فتجيب: ثلاثني ألفاً، فيسألك مندهشاً وفي أي فندق تعيشون؟ لا يمكن ذلك..!

بلى نستطيع عن طريق تعبئة قوة الف مليون انسان مسلم ان نقول لذلك الصيني: نـحـن لا نـعـيـش في فـنـادق، وانما في ارض وارضـنـا واسـعـة جدا تمتد من طنجة الى جاكارتا، نستطيع ان نقول ذلك بملء أفواهنا و بكل قوة.

وحـيـنـما تريد الحركة الاسلامية ان تستقل عن التيارات الشرقية والغربية فلابد ان تـتـلاحـم بـذات الـنـسـبـة مع سـائـر الحركات الاسلامية، لابد ان تكون الحركة الاسـلامـيـة اعـصـاب الامة المترابطة مع بعضها لأنها هي التي توحد أبناء الامة، فان كـان الـطـبـيب مريضاً فكيف يمكن ان يدّعي مداواة الناس وهو عليل..؟ اذا كانت الحـركـات الاسـلامـيـة ذات الـرسـالـة الـواحـدة والتي تهدف الى تحقيق شعار الامة الاسـلامـيـة الـواحـدة، هـي الـتـي تـسـقـط في شرك التجزئة، وتعترف بشرعية الحدود الـسـيـاسـيـة الـتـي زرعـهـا الاسـتـعمار بين أقاليمها، و بشرعية القوميات، و بشرعية الجنسيات، فكيف تستطيع الادعاء بأنها ستكون الامة الواحدة؟

وكـيـف تـسـتطيع الحركة الاسلامية هذه: ان تدّعي قدرتها على بناء بلد اسلامي حرّ واحـد، اذا كـانـت في الـطـريق الى ذلك تقع في شرك الطائفية، والطائفية يغذيها الاستعمار في بلادنا؟!

ان العالم اليوم يرفض حروب الطائفية، والانسان المسلم لا يريد ان يرجع الى الوراء الى العصور التي كان فيها يتقاتل لمجرد ان احدهم يقول بخلق القرآن والآخر يقول بتنزيله، أو من أجل اختلاف في طريقة وضوئهم، أو زيادة، أو نقص في مسح آذانهم، كلا..

فالحركة الاسلامية التي تريد ان تبني مجتمعاً اسلامياً عصرياً، لابد وان تتجاوز الطائفية، ولابد من طرح بديل عن هذه الخلافات والفروقات جانباً، لان تلاحم الحركة الاسلامية سبيل لانتصارها، واني لا أقول مجرد عدم الخلاف، فمجرد عدم الخلاف يؤدي بنا الى الخلاف، وانما اذا أردنا الاّ نختلف فلابد ان نتلاحم، ونضع الاستراتيجيات الواحدة. فبدون التحالفات والتفاعلات الاستراتيجية، فانه من السهل على الاستعمار ان يفرق بيننا.

• الكمال والتكامل

اننا لا ندعو الى الوحدة لمجرد الشعار، وانما ندعو اليها لعلمنا أن وحدة الطاقات سوف تتسبب في تكاملية الطاقات، فالبعض يملك القوّة العددية. والبعض الآخر يملك القيادات وكثرة الكوادر، والطرف الثالث يملك المال، والرابع يملك القدرة على التحرك، وآخر يملك طاقة اخرى، يمكن ان تتفاعل الطاقات وتتكامل، وكلنا نذكر قصة الأعمى الذي حمل رجلا أعرج على كتفيه وقال: له أنا أسيربك وانت تنظر لي، والله سبحانه وتعالى قد خلق الكون، هكذا.. حيث فضل بعض الناس على بعض، ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً. في بعض البلاد حيث لا تنبع قطرةواحدة من البترول تتسع الرقعة الخضراء الى ماشاء الله، تغدق الخيرات الزراعية، وفي بلد آخر حيث تتفجر الارض ينابيع بالذهب الأسود، أرضهم جرداء وزراعتهم عدم، فالله سبحانه وتعالى هكذا خلقهم وأراد لهم ان يحتاج الواحد للآخر.

رجل يرفع يديه عند الامام الصادق و يدعو: «**اللهم لاتحوجني الى خلقك أبداً**»

فيلتفت الامام الصادق(ع) اليه و يقول: (**هذا لا يكون فلابد للناس من بعضهم ولكن قل: «اللهم لاتحوجني الى لئام خلقك»**).

فالاحتياج موجود والكمال لله وحده، فاذا نحن تفاعلنا مع بعضنا وتعاونا فسوف نستغني عن غيرنا وإلا ـ مع الاختلاف لاسمح الله ـ فسوف نضطر الى التعاون مع اعدائنا، وهذه سنة الحياة.

٤ ـ كيف نطور التجربة الاسلامية؟

لابد من محاولة تطوير التجربة الاسلامية حسب المفاهيم الاسلامية الاصيلة، بما يتناسب مع الظروف المتطورة، فالبعض يزعم بأننا سوف نجلس بعد انتصار الحركة الاسلامية ونفسّر القرآن ان شاءالله ونقرأ الحديث، ونفهم التاريخ، ولكنني اقول:

كلا..!

ان الانسان الذي يحمل في نفسه رواسب متخلفة من نظرات تاريخية رجعية لايمكنه التحرك في الحياة السياسية. لابد للحركة الاسلامية ان تكتب التاريخ الاسلامي حسب فهمها للاسلام، لا ان تراجع تاريخ ابن الاثير فقط، أو تاريخ الواقدي والمسعودي.

﴿تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم﴾

ـ١٤١/ البقرةـ

وهذا يستتبع ايضا ان كل امة لها ما كتبت ايضاً، والكتابة جزء مما اكتسبته الامة، وما اكتسبته الاجيال، واولئك قد كتبوا لأنفسهم ونحن نكتب لأنفسنا حسب حاجاتنا، وكل جيل يجب ان يكتب تاريخه. بل ينبغي لكل جيل ان يكتب تفسيراً للقرآن الحكيم لان مثل القرآن مثل الشمس، كل يوم تشرق الشمس على يوم جديد والانسان يستفيد منها فوائد جديدة. وهكذا القرآن الحكيم، كل جيل يجب ان يستوعب من آيات القرآن ما يحتاجه هو.

الفصل الثالث:

- دور الانـســان الـرسـالي في الـثـورة الاسلام
- كيف نبني الانسان الرسالي؟
- الثورة بين الارادة والظروف
- الانسان الرسالي بين حب الله وخشيته

دور الانسان الرسالي
في الثورة الاسلامية

● تعتمد الثورة الاسلامية على نظرية تعتبرها حجر الزاوية، تلك النظرية هي «اصالة الانسان» فما هي هذه النظرية؟

● «اصالة الانسان» في الاسلام

جاء الاسلام ليقرر على لسان الوحي..

﴿ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾

ـ ٧٠/ الاسراء ـ

واضاف:

﴿واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة﴾

ـ ٣٠/ البقرة ـ

كما قال:

[هو الذي جعلكم خلائف في الارض]

ـ ٣٩/ فاطر ـ

و بهذا التقرير فقد ألقى بكل الثقل على الانسان.

والانسان ــ باعتباره الموجود المكّرم والمفضل على كثير من الخلق، و باعتباره الخليفة في الارض، حيث من نسله خلفاء الله في الارض وهم الانبياء والائمة الهداة ــ يجعله الاسلام محوراً في هذا الوجود؛ فهو الاصل في الحياة الدنيا، بينما سائر ما في الطبيعة وما تفرزه من متطلبات ــ بما يسمى اليوم بالحتميات ــ ليست الا توابع وفروع لذلك الأصل.

فليست الشمس مركز الكون، وليس القمر كل شيء في المنظومة الشمسية، ليس التراب والماء والهواء، و بالتالي التاريخ والمجتمع والثقافة والوراثة بحتميات، بل الانسان، والانسان المؤمن، بالذات.

ولو كانت هذه الامور حتمية، لما تكامل الانسان ولا تطوّر، فالاسد يبقى في الغابة ملايين السنين، كما هو لا يتغير، ولا يتطور، ولا يتقدم ولا يتكامل. والحمامة هي الحمامة منذ ملايين السنين، وستبقى الى ماشاء الله من السنين القادمة، دون أن يطرأ عليها تغيّر أو تقدم في جانب من جوانب وجودها، فالذي منع الحمامة من التطور، وسلب الاسود قدرتها على أن تتطور وتبني حضارة وهي ملوك الغابة، ومنع كافة الحيوانات من التغيّر والتطور، انما هي حتمية الظروف المحيطة بها، والتي تنعكس في واقعها بصورة غرائز تسيّرها.

ولو كانت هذه الغرائز هي القائد في الانسان، وتجري حياته وفق السنن والقوانين والأنظمة الطبيعية، والبيئة المحيطة به، لبقي ــ كما كان ــ قبل مليون سنة، وسيستمر كذلك ولن يتغيّر. الا أننا نرى ان الانسان يتطور و يتكامل، اي انه يقهر هذه الحتميات بتحديه للظروف، يبني و يهدم و يعمّر الارض ويخترق الجبال و يسبر غور المحيطات، و يغزو الفضاء ويحطم الذرة، فهو يختلف عما في الطبيعة من احياء

ومخلوقات، وفي هذا دليل بسيط وفطريّ جداًعلى: ان الانسان هو «الانسان» قبل ان يكون ابناً لمجتمعه، أو تابعاً لأ رضه، أو عبداً للمال والطقس والغذاء وكل ما يحيط به، فهو المهيمن عليها و يبقى بذلك وجوده وقدرته وارادته اصلاً ومركزاً بين متغيرات الكون.

وهذه هي نظرية اصالة الانسان التي نادى بها علماء الاسلام إلا انها بالطبع لا تدل على انها أصالة ـ أمام الله تعالى القاهر القيّوم.

● لماذا «اصالة الانسان»؟

ان الانسان أصل، لان الله سبحانه وتعالى أراد له ذلك، وأراده أن يكون مركز الخليقة، أما تلك النعم التي ميّزته فهي:

١ـ نعمة العقل .. ليميّز بين الخير والشر، و يعرف الحق من الباطل.
٢ـ نعمة الارادة .. ليتخذ موقفه حسب ما يمليه عليه علمه.
٣ـ نعمة الوحي .. لتعيد اليه توازنه وتثير دفائن عقله.

ولولا تلك النعم، لأضحى كالأسد في الغابة، أو الحوت في البحر.

وان نظرية اصالة الانسان، مقياس يعرف به مدى نجاح الثورات فلا تكون ثورة على حق الا اذا اعتمدته. وكلما كان ايمان الثورات باصالة الانسان وقدرته على التحدي اشد، كلما كان نجاحهم اقرب، وكانوا أقدر على تحدي الصعاب.

اما ان قتلنا ارادة التحدي في نفس الانسان، بأن أوحينا اليه: بأنه محكوم بسلطة، أو بمجتمع أو بوراثة، و بألف قانون وقانون، فاننا لن نستطيع ان نطالبه بالثورة وتحدي القيود.

وهل نستطيع أن نطالب الاسود بالثورة على اوضاعها في الغابة..؟ أو نطالب

النبات بالتمرد على سنن الطبيعة؟ أبداً. ومادام الأمر كذلك فاننا لا نطالب بالثورة الا الانسان القادر، وعليه فان مفهوم الثورة يعادل: مفهوم القدرة على تحدي الظروف.

بهذه المقدمة نتوصل الى الموضوع الرئيسي وهو «الانسان الرسالي» الانسان المكلف بالثورة.

فمن هو؟.. وما هي مواصفاته؟

وما هي معادلات الثورة الداخلية عند الانسان؟

وقبل الاجابة على هذه التساؤلات اقول: لو طالعت جميع المذاهب الفلسفية وبحثت في كل النظريات الثورية وتعمقت في كافة الأديان والمعتقدات، لما وجدت أبداً ــ وأنا اتحدى ــ نظرية أو ديناً كالدين الاسلامي وفلسفة كالقرآن الكريم، يعتقد باصالة الانسان بحق، اذ ان كل المذاهب الأخرى ــ حتى ولو قالت نظرياً انها تعتقد باصالة الانسان ــ الا أنها تسلب هذه الاصالة خلال برامجها التفصيلية.

فالنظرية الماركسية تعطي الاصالة لوسائل الانتاج..!

والنظرية الليبرالية تعطي الاصالة للاقتصاد..!

وحينما يُقسم العالم الى معسكرين فانهما: المعسكر الاشتراكي، والمعسكر الرأسمالي. ونحن نعرف ان الاشتراكية والرأسمالية، نظامان اقتصاديان، وليسا مذهبين فلسفيين، مما يدل على ان عالم اليوم يؤله الاقتصاد مقابل اصالة الانسان.

حتى نظريات الأمس، كنظرية أرسطو، أو أفلاطون، أو سقراط، فيها نوع من الجبرية، (وبتعبيرنا اليوم نوع من الحتمية) فان الفلسفة اليونانية على اختلاف مشاربها لم تستطع ان تبين فلسفة حرية الانسان.

بينما الاسلام ــ والاسلام وحده ــ استطاع ان يقول: خلق الله المشيئة ثم خلق الاشياء بالمشيئة، وهو الذي يقول:

[وما تشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين]

ـ٢٩/ التكوير ـ

وحريته ملهمة من ارادة الله، فهكذا شاء سبحانه ان يكون الانسان حرّاً.

والنظرية المعروفة لدى المسلمين تقول: كل شيء ينتهي الى ما بالذات، وما بالذات لا يعلل، وكل الحوادث تنتهي الى ارادة الانسان، وارادة الانسان هي ارادة الانسان، ليس لها عللٌ خارجية.

واصالة الانسان تعطي الثورية لأصحابها، وهنا استعيض عن مصطلحاتي السابقة بمصطلحات جديدة، حيث للاسلام مصطلحاته الخاصة، والاسلام لا يُفهم الا بمصطلحاته ومنهجه.

● من هو الثوري الحق؟

لا يقول الاسلام «الثوري» ولكنه يقول «المؤمن» لأن المؤمن أعظم من الثوري، لان المؤمن هو المتقي، والصابر، والمستقيم، والمتوكل على الله، والمستعين بالله، نحن لا نفهم هذه المعاني من لفظة «الثوري».

فعلينا ان لا نستعين بالمصطلحات الحديثة ان أردنا ان نفهم الاسلام ومكونات الشخصية الايمانية المتكاملة، بل نفهم الاسلام من داخله حسب ألفاظه المميّزة ومنطقه الخاص.

ان أهم ما يدعو له الاسلام و يبيّنه ـ في هذا المجال ـ هو «**الايمان**» و«**روح الايمان**» ولكي نوضح هذا المصطلح القرآني نقول:

هناك سلسلتان من الصفات النفسية تختلفان عن بعضهما:

●أ ـ مراحل المعرفة

السلسلة الاولى تبدأ هكذا: الوهم، فالشك، فالظن، فالاطمئنان، ثم العلم، فاليقين، فعلم اليقين، فحق اليقين، فعين اليقين، وذلك أرقى درجات العلم والمعرفة ولتقريب الفكرة الى الاذهان دعنا نضرب لذلك مثالا:

تحت تأثير الظلم والارهاب قد يفترض أحد ـ ولو بنسبة واحد الى ألف ـ بأن هناك «ثورة ما» سوف تندلع نتيجة للاوضاع الفاسدة فهذه مرحلة «وهم»، وخلال معايشتك للناس تسمع همساً بأن الشعب ساخط على الاوضاع، هنا تبدأ عندك ـ مرحلة ـ «الشك» وهذه مرحلة متقدمة عن الوهم، بعد حين يأتيك صديق يخبرك عن توزيع منشورات سرّية، وكتابات على الحيطان، هنا تبدأ مرحلة «الظن» بصحة الخبر، وبعد فترة يأتيك اخوك ليخبرك بالمنشورات والكتابات الثورية، وشاهدان عادلان يبعثان في نفسك «الاطمئنان» بعد هذا يأتي اليك ابنك وبين يديه: بعض تلك المنشورات التي وزعت فيحدث عندك «العلم» آنئذ تقرأ المنشورات فيصبح لديك «اليقين»، ولكن حينما تذهب الى أماكن أخرى وتشاهد بعينيك الكتابات الحائطية، وتجد انواعاً اخرى من المنشورات، يصبح عندك «علم اليقين»، وما ان تندلع المظاهرات الجماهيرية امام عينيك حتى يكون عندك «حق اليقين» فاذا شاركت الجماهير وانخرطت في المظاهرات، وبدأت مع الناس في تحدّي السلطات فآنئذ يصبح عندك «عين اليقين» بوجود ثورة ضد النظام، وهذه هي المرحلة التاسعة والآخيرة في مراحل المعرفة.

وهناك سلسلة أخرى بالنسبة (للايمان) وهي تلتقي مع السلسلة الأولى عند مرحلة اليقين.

●ب ـ درجات الايمان

الجحود ثم الشك المنهجي، فالاطمئنان ثم الاسلام، فالايمان فاليقين، فعلم

اليقين، فحق اليقين، فعين اليقين.

«الجحود بالله» قد يكون الفرد في البداية في درك، ثم يلتقي بصديق مؤمن و يبدأ معه النقاش حول العقائد فيرتفع الى مستوى «الضلالة» أو «الشك» حيث يبدأ التشكيك حول وجود الله والجنة والنار الخ.. أما حينما تعرض عليه الأدلة والبراهين يصل الى مرحلة «الاسلام»، حيث يقبل كل ما يقوله له المؤمن، و بعد الاسلام تأتي درجة «الايمان» حيث يقول آمنت واعتقدت كما يقول ربنا:

[قالت الاعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا]

ـ ١٤/ الحجرات ـ

الايمان مرحلة متقدمة على الاسلام، فبعد التلفظ باللسان يتحول الاعتراف بالجنان الى عمل بالاركان، وهنا يتدرج الايمان من اليقين، الى علم اليقين، فحق اليقين، و بعد ذلك عين اليقين، تلك المرحلة التي يقول فيها الامام علي(ع):

□(لو كشف لي الغطاء ما أزددت يقيناً)

ففي مرحلة اليقين تتحد السلسلتان، والايمان هو أهم شيء في هذه السلسلة.

●حقيقة الايمان

فالايمان اذعان القلب بما يكشفه العقل، فالقلب يخشع والارادة تخضع، وهذا هو جوهر الايمان، تسليم النفس بصورة كاملة لما يتحقق لدى الانسان من العلم، ولكن الايمان ليس بهذه البساطة، ولا يمكن ان نعرفه كذلك.. هناك حديث شريف عن الرسول(ص) يعرف لنا الايمان:

■(الايمان وقر في القلب وعمل بالاركان)

وفي حديث آخر:

■(الايمان تصديق باللسان وعمل بالاركان)

هذا هو الايمان، وهذه هي المواصفات الخارجية للايمان، وللايمان جانب آخر هو تأييد الله للمؤمن (بروح الايمان).

ذلك ان المؤمن ــ أي مؤمن ــ يلاحظ كيف يأتي اليه الشيطان موسوساً مشككاً ضاغطاً، الا ان المؤمن يبقى كالجبل ثابتاً لا يتزحزح، لماذا؟ لان الله سبحانه يؤيده بالروح، فالمؤمن ينوي ان يعمل صالحاً والله يؤيده بالروح.

واذا امتلك الانسان روح الايمان فلا تخف عليه، لأنه أقوى من الجبل كما يقول الامام الصادق(ع)، «لأن الجبل ينال منه والمؤمن لاينال منه»، خذ فأساً واذهب الى الجبل واضرب عدة ضربات..! تجد الصخر يتفتت..! ولكن لو قتل المؤمن فأحياه الله ثم قتل فأحياه الله ثم فعل به ذلك ألف مرّة لما ازداد الا ايماناً، هذا هو المؤمن..!

المؤمن أقوى من الحديد لان الحديد يتغّير بالنار والمؤمن لا يتغيّر بالنار، وقد يصل المؤمن الى درجة ان يقول للشيء «كن فيكون» كما يقول الله سبحانه وتعالى للشيء: «كن فيكون» وذلك للروح التي عند المؤمن بتأييد العلي القدير.

لابد من الاشارة الى ان تلك الروح ليست «روح القدس» فروح القدس خاصة بالانبياء.

اذ يؤيد الله سبحانه انبيائه بروح القدس لمنحهم «العصمة»، بينما يؤيد الله سبحانه المؤمنين بالروح لمنحهم «العدالة» والفرق بين العصمة والعدالة كالفرق بين النبي والمؤمن..!

والمؤمن في الدنيا غيره في الآخرة، الانسان يرى المؤمنين كسائر الناس أو أقل، ولكن في الآخرة يشفع الواحد منهم في مثل ربيعة ومضر، ــ وهما قبيلتان كبيرتان كانتا في الجزيرة العربية يضرب بكثرتهما المثل:ــ

ونحن نسأل الله سبحانه وتعالى ان يجعلنا من عباده المؤمنين المؤيدين بتلك الروح، و يـوفـقـنـا في هذا الشهر الفضيل لما فيه الخير والبركة لنا، ومن خلالنا لأمتنا، ويجعلنا قادة ندعو بأمره لما فيه خير الجماهير.

كيف نبني الانسان الرسالي؟

﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير ﴿ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسّكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ﴿واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ﴾﴿

(صدق الله العلي العظيم)

ـ ١١٢/ ١١٧/ هود ـ

من الناحية الموضوعية هنالك فرق بين الثورة والثائر، كما ان هنالك فرقاً بين الظروف التي تصنع الثورة و بين العوامل التي تنمّي روح الثورة في الثائر.

فمن هو الثائر..؟ وما هي الثورة..؟ لنعرف الفرق بينهما..!

الثائر: هو الانسان الذي يشكل محور الحياة على هذا الكوكب.

وكما سبق القول فيما مضى انه لولا: تطلع الانسان نحو بناء حضارة أفضل، ولولا ثقة الانسان بقدرته على هذا البناء، ولولا قوة التوكل على الله ــ والذي بفضله

سيـنـتصر الانسان على العوامل الذاتية والخارجية، التي تكبل الانسان وتحاول حصره في حـدود ضـيّـقـة ــ ولـولا كل ذلك لبقي الانسان يعيش في الغابات والكهوف كما كـان آبـاؤنـا الأ ولـون، ومـن هنا فالثائر اذن قبل الثورة، لان الانسان هو الذي يصنع الثورة.

ولكن هنالك فرق بين انسان يخضع لظروفه، و يستسلم للعوامل المحيطة به معتقداً بـالحـتـميات، (حتمية المجتمع ــ التاريخ ــ الوراثة ــ الاقتصاد)، و بين انسان رفض الخضوع لأي آلهة ماعدا اله الكون الواحد الاحد الذي أعطاه الحرية، وفتح أمامه آفاق الحياة، فملايين البشر من النموذج الاول لا يساوون واحداً من النموذج الثاني، لان ملايين الناس من هذا النوع (النموذج الاول) كما يقول الامام علي(ع):

□(همج رعاع اتباع كل ناعق)□

لايدانون في الفضل واحداً ممن يصفه الامام علي(ع) بأنه:

■(عالـم ربّانـي أومـتعلم في سبيل نجاة)■

فمن هم الهمج الرعاع..؟

●الهمج الرعاع

تجتمع في بعض البلاد أيام الصيف أنواع من الحشرات تشبه البعوض، بالملايين، لـكـن مـا ان تـهـب ريح عاصفة حتى تتقاذفها ذات اليمين وذات الشمال. والهمج الـرعـاع مـن البشر هم مثل أولئك الخاضعين للحتميات، و يتبعون كل ناعق، حسب تـوجـيـهـاتـه يمـيـنـاً و يـسـاراً، وهؤلاء لا يساوون ــ عند الله انساناً ــ من وزن العالم الربّاني الذي يتحدى الحتميات، و يصنع المستقبل للانسان.

ولهذا فان الثائر ليس بحاجة الى ظروف خارجية ليكون ثائراً، مثلا: في عصرنا كان الامام الخميني حفظه الله، ثائراً منذ أربعين عاماً أو أكثر، الا ان وجوده ــ كثائر ــ لم يكن يخلق الثورة التي لها ظروفها الموضوعية والذاتية الخاصة بها، والتي لا تمت اليه بصلة، فالثائر كان ثائراً، ولكن انتظر حتى نضجت الثورة فاقتطفها (**ومقتطف الثمرة في غير أوانها كزارع في غير أرضه**) كما يقول الامام علي(ع).

●ذرية ثورية

الثورة بحاجة الى توعية الجماهير، ورفع مستواهم العقلي، اعطائهم الثقة بالذات، توفير التنظيم الكافي، تعبئة طاقاتهم، الى غير ذلك من العوامل الموضوعية والذاتية التي يجب ان تتوفر جميعاً، حتى تتحقق الثورة.

وقد كان للرسالات السماوية هدفان بالنسبة للحياة البشرية والمجتمع الانساني:

●الهدف الاول:

خلق الثورة الشاملة، ثورة على الاوضاع الفاسدة، ثورة على التخلف والفقر والمرض والجهل، وعلى سائر المفاسد الاجتماعية الظاهرة منها والباطنة.

●الهدف الثاني:

إن الرسالات السماوية تهدف تربية ذرّية تتوارث الرسالة. سلسلة متتابعة من الثوريين ضد الباطل.

فان لم تكن الظروف مناسبة لخلق الثورة، فلا أقل تكون هناك مجموعة رسالية يتوارثون هذا المشعل، كيلا يخبو نوره، و ينتظرون الظروف المناسبة لتفجير الثورة: كلما حانت الظروف، كلما فجروا ثورتهم.

هؤلاء يشبهون البذور الطيبة التي تبقى تحت التراب منتظرة المواسم الخيّرة، فأنت اليوم تحرث الارض وتزرع، وتبقى البذور مدفونة تحت التراب لا تهتز ولا تتحرك ، وتبقى هكذا حتى يأمر الله سبحانه وتعالى السحب أن تسقي الارض مطراً، فتتهيّأ الظروف لتنبت هذه البذور المودعة في رحم التربة، وهكذا الانسان الثائر. الانسان الثائر هو الانسان الذي يبقى ينتظر الظروف.

● الثورة استقامة

والاحاديث التي سوف نستعرضها فيما بعد، يهدف اكثرها هذا الهدف المقدس، وهو ايجاد مجموعة من الناس تنذر نفسها لله، والآيات الكريمة التي مرّت في بداية الحديث تتمحور حول هذه النقطة، وخلال تدبّرنا فيها بعمق نتعرف على حكمة اجتماعية هامة من حكم الاسلام. **[فاستقم كما أمرت]**.

الاستقامة هي المحور الذي تدور حوله سورة هود، ولا تشير الى هذه الكلمة **[الاستقامة]** الا في نهاية السورة، بعد ان تتحدث عن استقامة نوح وابراهيم وهود وصالح وموسى وانبياء اخرين(ع) ومواجهتهم للطغاة والفساد. بعد هذا يقول ربنا سبحانه وتعالى في نهاية السورة مخاطباً رسوله(ص)، وبالتالي مخاطباً المؤمنين:

[فاستقم كما أمرت ومن تاب معك]

أي عليك أنت والمجموعة الخيّرة الفاضلة الذين يحومون حولك، كما تحوم الفراشة حول الشمعة ، عليكم جميعاً ان تستقيموا:

[ولا تطغوا انه بما تعملون بصير]

وهنا يأمر الباري عزوعلا بالاستقامة في ظروف الانتصار «بعدم الطغيان» وفي

حال الهزيمة «بعدم اليأس» فتكونوا أبطالا، تتعالون على الهزيمة كما تتواضعون في حال الانتصار.

[ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار]

فعلى المجموعة هذه ــ حال الانتصار أو الهزيمة ــ أن تستقل، بعدم الركون لأي جهة كانت، لا للشرق خشية الغرب، ولا للغرب خشية الشرق.
ولا تستمد الدعم من قوة طاغوتية متجبرة، لاخضاع قوة طاغوتية متجبرة أخرى.

[وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون]

تأكيد بالاستمرار على الاستقامة وطلب النصر من الله ــ ومن الله فقط ــ لا من الشرق حيناً والغرب اخر، فان الله سوف يكلكم الى انفسكم والى أوليائكم في الشرق أو الغرب **[ثم لا تنصرون]** وكيما تبقى جذوة الاستقامة متوهجة في نفوسكم لابد من الاكثار من الصلاة.

[واقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين *واصبر]

تماماً كالآية الاخرى من سورة البقرة:

[واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين]
ــ٤٥/ البقرةــ

عليك ان تتسلح بالصبر، وتتزود بالبصيرة النافذة وان ترى المستقبل البعيد ولا تنظر الى هزيمتك الآن، ولكن تنظر انتصارك غداً.

[فان الله لا يضيع أجر المحسنين]

فلأنك كنت محسناً، فان فالله لا يضيع اجرك.

ثم ان السياق يبيِّن ما يتصل بحديثنا هنا.

﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقيّة ينهون عن الفساد في الارض﴾

اذن إن الحكمة الالهية تقتضي وجود **[أولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض]** مهمتها الاصلاح والنهي عن الفساد في الارض، مجموعة خيّرة رسالية متوارثة **[ذرية طيبة بعضها من بعض]** يحملون مشعل الرسالة، ومشعل الاصلاح، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، واصلاح المجتمع.

﴿ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن أنجينا منهم﴾

و[لولا] كلمة تحريض، بمعنى «لماذا لم تكن» **و[أولوا بقيّة]** في لغتنا اليوم تسمى ثواراً أو (المجموعة المؤمنة التي تبقى) وتستمر مع كل الظروف المعادية والتحديات الصعبة.

﴿واتبع الذين ظلموا ماأترفوا فيه وكانوا مجرمين* وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾

اذا وجدت هذه الفئة المخلصة فانها تنقذ القرى الكبيرة من الهلاك التام عن طريق نهيها عن الفساد في الارض.

● الفئة الرسالية

وهذه الآيات صريحة تقريباً في ضرورة وجود: فئة مستقيمة صابرة مصلية تأبى الركون الى الغرب أو الشرق، باقية على استقامتها وثوريتها في طريق الحق، مهما تطاولت القرون، وتكالبت المحن.

واذن فهذا هدف من أهداف الرسالات السماوية، وهو ايجاد الانسان الثوري قبل الثورة، سواء كانت هنالك ثورة أم لم تكن، وقد سبق القول وأكرّر ان للثورة ظروفها الموضوعية، لانك لا تستطيع تفجير الثورة وقت ماتشاء. وعلى سبيل المثال قبل انطلاق الثورة الفرنسية بعشرات السنين، انطلقت مجموعة من الكتّاب والمنظرين والاداريين والموظفين والضباط، يساهمون في مجموعة من الانشطة الاجتماعية، بعضهم في المحافل الماسونية، وبعضهم في الأندية، كنادي اليعقوبيين مثلا: وبعضهم عن طريق كتابة دوائر المعارف أو المسرحيات وما أشبه.. كان هؤلاء جميعاً يحرّضون المجتمع على الثورة، ولكن متى انبثقت الثورة..؟ بعد عشرات السنين بعد ان نضجت الظروف وتكاملت العوامل، بعدما فجر الملك الغبي الثورة ضد نفسه، انطلقت آنئذ شرارة الثورة.. وانتهى أمر الملكية في فرنسا.

كذلك في روسيا، فقبل ثورة اكتوبر١٩١٧ بعشرات السنين كانت بذور الثورة موجودة، كانت هنالك مجموعات تعمل ضد القيصر، واستمرار مجاميع تعمل في الظلام، ولا أدل على ذلك مما يقال في مدح لينين بأنه تتلمذ على قدماء الثوّار مما يشير الى ان لينين الذي قضى عشرات السنين يعمل قبل انتصار الثورة البلشفية كان تلميذاً للشبيبة السابقين، مما يدل على وجود اجيال من العاملين تتابعوا حتى تفجرت الثورة، وبعد هزيمتين عسكريتين لحقت بـ(روسيا القيصرية) هما هزيمة ١٩٠٥م امام اليابانيين، وهزيمة ١٩١٦م أمام الالمان، نضجت ظروف الثورة ثم انتصرت.

والحال لا يختلف في ايران، لم تكن الثورة ناضجة في عام ١٩٦٢م في ١٥ خرداد أي قبل حوالي عشرين سنة، بل ان الاوضاع كانت تبدو هادئة حتى عام ١٩٧٢م وما بعدها لدرجة ان الطاغية البائد (الشاه المقبور) كان يزعم ان ايران جزيرة من الاستقرار والثبات، في بحر من الفوضى في العالم، وكانت أموال النفط تغطي سلبيات النظام، ولكن عوامل الثورة نضجت: مثلاً:

*اسعار البترول هبطت.

*ازداد التضخم.

*ازدادت بيوت الصفيح حول طهران لاسيّما في الجنوب.
*انتشر الثوار والكتب الثورية والثقافة الثورية بين صفوف الشعب.
*قام الجميع بتحمل مسئولياتهم .. كالعلماء والخطباء والحوزات العلمية،والكتّاب والمثقفين والحركات الفدائية، وذلك تحت لواء المرجعية.

ثم تفاعلت الجهود وتكاملت، حتى تفجرت الثورة، بينما العالم وقف مشدوها يرقب سقوط عرش الطاؤوس في الهاو ية، وتسلم الشعب زمام اموره.

اما في العراق حينما كانت مجموعة من الاخوة الثوار قبل خمسة عشر عاماً في مدينة كربلاء المقدسة والنجف الاشرف يجلسون و يتحدثون عن الثورة.. كانوا يتحدثون وهم غير مطمئنين اليها، بل ان هؤلاء الثوار لم يكونوا ليجرؤا على التفوّه بهذه الكلمة(الثورة) للناس، ولكن ذهب نظام وجاء آخر حتى جاء صدام وأفسد في العراق فساداً لم يسبق له مثيل، حتى بلغ أوج الحماقة والسفه بشن هذه الحملة الشاذة، واشعال الحرب ضد الجمهورية الاسلامية في ايران، والآن شيئاً فشيئاً، يبدو ان ثمرة الثورة في العراق ناضجة.

اذن فالشروط الموضوعية للثورة ليست بيد الانسان، ولكن صناعة الانسان الثوري (المؤمن الرسالي) ممكنة في كل وقت، الآن أو في أسوأ الظروف، فبالامكان بناء مجموعة ثورية مؤمنة، وهذا ما يريده الاسلام، وترشدنا اليه الروايات المقدسة ولسوف نستعرض في مستقبل البحث: بعضاً منها، واما كيف تعمل تلك الروايات، والى ماذا تدعو؟؟ فهذا ما سنحاول ان نلقي عليه بعض الضوء الآن، لتكون مدخلا لما يأتي.

• كيف يصنع الاسلام الانسان الثائر؟

يقوم الاسلام ببث روح الايمان في النفوس، الذي يخلق في النفس البشرية حالة من الاستقلال، والابتعاد عن الحتميات وعن الشهوات الى درجة يستطيع صاحبها ان

يتحدى كل الظروف.

وكما ذكرنا سابقاً ان حقيقة الايمان، هي روح الايمان التي يؤيد الله سبحانه بها المؤمن فيتحدى كل الصعاب. ونسجل هنا بعض الاحاديث الشريفة في هذا المجال لأهميتها.. ولأنها تمهيد لأحاديثنا القادمة. فقد ورد عن الامام الصادق(ع) أنه قال:

□(ان للقلب أذنين، روح الايمان يسارّه بالخير والشيطان يسارّه بالشر)□

اي هذا يناجيه و يدفعه باتجاه الخير وذلك يوحي له و يدفعه باتجاه الشر، فأيّهما ظهر على صاحبه غلبه. وقال ابوعبدالله الصادق(ع):

□(اذا زنى الرجل أخرج الله منه روح الايمان)□

فقلنا:

(اي الرواة الذين سمعوا من الامام هذا الحديث): الروح التي قال الله تبارك وتعالى عنها[**وايدهم بروح منه**]فقال(ع)نعم.. ثم قال:**(لا يزني الزاني وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن، وانما اعني مادام على بطنها فاذا توضأ وتاب كان في حال غير ذلك) وفي حديث آخر جاء رجل الى اميرالمؤمنين الامام علي بن ابي طالب(ع) فقال: يااميرالمؤمنين ان اناساً زعموا ان العبد لا يزني وهو مؤمن ولا يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر وهو مؤمن، ولا يأكل الربا وهو مؤمن، ولا يسفك الدم الحرام وهو مؤمن، فقد ثقل عليّ هذا وحرج منه صدري حين ازعم ان هذا العبد يصلي صلاتي ويدعو دعائي، ويناكحني واناكحه، ويوارثني وأوارثه، وقد خرج من الايمان من أجل ذنب يسير أصابه؟ فقال اميرالمؤمنين(ع):**

□(صدقت سمعت رسول الله(ص) يقول: والدليل عليه كتاب الله، اي ان هذا حديث صحيح عن الرسول(ص) ويدل عليه كتاب الله، ثم يضيف فيقول الامام علي(ع):(خلق الله الناس على ثلاث طبقات وأنزلهم ثلاث منازل، وذلك قول الله عزّوجل في القرآن الحكيم:[اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة والسابقون] فأما ماذكره من أمر السابقين فهم أنبياء مرسلون وغير مرسلين، جعل الله فيهم خمسة أرواح((روح القدس: وهي روح النبوة، وروح الايمان، وروح القوة، وروح الشهوة، وروح البدن. فبروح القدس بعثوا أنبياء مرسلين وغير مرسلين وبها علموا الاشياء، وبروح الايمان عبدوا الله ولم يشركوا به شيئاً، وبروح القوة جاهدوا عدوهم وعالجوا معاشهم، وبروح الشهوة اصابوا لذيذ الطعام ونكحوا الحلال من

شباب النساء، وبروح البدن دبوا ودرجوا)).

وهكذا يوضح الامام(ع) الأرواح المختلفة التي يمتلكها الانسان وفي طليعتها روح القدس وهي روح الانبياء، ثم روح الايمان التي يزوّد الله سبحانه وتعالى بها المؤمنين من الناس.

وهنالك حديث آخر عن الامام الصادق(ع) أيضاً يقول:

■**(أرأيت قول النبي لا يزني الزاني وهومؤمن)** قال: **(ينزع منه روح الايمان)** قال: **(ينزع منه روح الايمان؟! قال**: قلت فحدثني بروح الايمان، قال: **(هو شيء لا يمكن ان نفهمه، يعني هو شيء لا يمكن ان تفهمه)**.. ثم قال: **(هذا أجدر ان تفهمه، اما رأيت الانسان يهم بالشيء فيعرض بنفسه لشيء يزجره عن ذلك وينهاه؟** قلت نعم.. قال: **هو ذاك)** في كثير من الاوقات تدفعك نفسك الى شيء، ولكن هناك قوة ذاتية في ضميرك تدعوك الى التوقف عن فعله.

الامام الصادق(ع) يقول تلك القوة هي روح الايمان..

وانت تملك روح الايمان لذلك لا تقدم على هذا العمل، ولكن صديقك لا يملك تلك الروح لذلك يقتحم الشهوات، وآخر حديث نسوقه في هذا المجال وهو ماورد عن الامام الصادق(ع) ايضاً قال:

□**(ان روح الايمان واحدة خرجت من عند واحد ويتفرق في أبدان شتى، فعليه ائتلفت وبه تحابّت وسيخرج من شتى، ويعود اوحداً ويرجع الى عند واحد)**□

هذا الحديث يؤكد ما قد سبق الحديث عنه ان الروح ذلك الملك الاعظم الذي يملك وجوه مختلفة يصل منه شعاع الى قلبك وقلبي وقلوب المؤمنين جميعاً. لذلك فنحن المؤمنين اخوة لان روحنا واحدة والامام الصادق(ع) يقول:

□**(أخوّتكم أخوّة حقيقية)**

وليست فقط اعتبارية في الكلام، لأن الروح التي نملكها كلنا معاً هي روح

واحدة تصلنا اشعتها من روح ذلك الملك العظيم (الروح) الذي لم يخلق الله سبحانه ملكاً أعظم منه، من جبرائيل وغيره.

من هنا فان الاسلام يريد ان ينمّي الانسان هذه الروح (روح الايمان) التي تحفظ الانسان من التوجه الى سائر الشهوات والهبوط الى هوّة الذنوب والجرائم.

● الاسلام يخلق الثوري الحق

هنالك صراع أبدي بين العقل والنفس: فالأول يدعو الانسان الى التكامل والعروج الى الله سبحانه وتعالى، فيما تدعو النفس الانسان الى اقتناص اللذة، وذلك هبوط وتنازل، والاسلام من أجل ان يخلق من الانسان شخصية ثورية مؤمنة فانه من جهة ينمي العقل و يقو يه، ومن جهة أخرى يضعف النفس و يزكيها وسواء سرنا في هذا الطريق أو ذاك فسوف نصل الى نهاية واحدة تماماً، كما لو كان لديك عدّو فان أنت قو يت تتمكن من الانتصار عليه وان هو (ضعف تتمكن من الانتصار عليه ايضاً) وكذلك الحال مع النفس فهي من أعدى أعداء الانسان، اذ ورد في الحديث الشريف:

■(اشجع الناس من غلب هواه)■

وهذا يعني ان أعظم الناس بطولة من صرع نفسه، سواء ضعفت نفسك او قو يت ارادتك، فانك بالتالي ستنتصر. اما لو كان العكس والعياذ بالله، ضعف عقلك وانهزمت ارادتك، فهذا يعني الهزيمة امام عدوك الاول والاخطر وهو النفس.

وفي أحاديثنا و رواياتنا هناك توجيه لنوعين من الشخصيات، فبعض الأحاديث تسعى لتربية الانسان المتكامل المؤمن الرسالي (الثوري) والبعض الآخر ترمي الى تربية الانسان العادي، وتوجه ارشاداتها لعموم الجماهير. وكلاهما سيدخلان الجنة. ولكن الفرق بينهما في المكانة، داخل الجنة، فالمؤمن الرسالي في أعلى عليين. اما

الآخر فانه في ربض الجنة. تماماً كدرجات الفنادق عندنا هنا، درجة أولى أو ثانية أو ثالثة أو مادون ذلك، و يوم القيامة، الجنة هي دار ضيافة الله سبحانه وتعالى، ونحن في ادعية رمضان نقرأ: (**الهي لقد أوجبت لكل ضيف قرى**) يعني من الناحية الشرعية لابد ان نكرم الضيف.. ونحن نخاطب الباريء عزّوعلا خلال الدعاء بأنك يارب قد اوجبت لكل ضيف قرى (اكراماً) وأنا ضيفك الليلة فاجعل قراي الجنة، يعني ضيّفني بالجنة، وسوف يعطيك ربك ذلك، ولكن بشرط ان تجهد نفسك بالتضرع الى الله في هذه الليالي الخاصة، والله سبحانه لا تنقص خزائنه كثرة العطاء (**ولا تزيده كثرة العطاء الا جوداً وكرماً**)، فكن ذكياً حينما تطلب من الله.

اذن تختلف الدرجات في الجنة، فيها ربض، وفيها المراتب العالية جداً بحيث لو سأل انسان ما، عن صديقه فيشار اليه بالنظر الى مايشبه النجمة الزاهرة لنا الآن، و يقال له هنالك. في الدنيا لا تقاس المسافات بين النجمة والاخرى إلا بالسنين الضوئية، أما في الجنة فينظر المؤمن الى النجمة و يسأل ما تلك النجمة فاذا بها مكان أخيه المؤمن، درجة من درجته بهذه المسافة، و بامكان العالي ان يأتي الى من هو أدنى، دون العكس، فالناس على ضوء هذا التقسيم اثنان:

قسم عادي يصلي و يصوم و يزكي ويحج ومؤمن، متقي وهؤلاء يدخلون الجنة ولكن في ربضها.

اما القسم الآخر فهم ممن اختارهم الله لنفسه: [**واصطنعتك لنفسي**] هؤلاء اعطوا كل ما لديهم لله، [**ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم بأن لهم الجنة**] الله اشترى وهم باعوا بيعاً كاملا فيعطي ربه نفسه وارتباطاتها، وعلاقاتها.. حبها.. بغضها.. وكل ابعاد حياته.. ليستلم من الله أعزّ شيء وهو الجنان والرضوان.

بعض احاديثنا اذن ترمي لتربية الانسان المؤمن العادي، ولذلك فهي من نوع الارشادات العادية (ثمان ساعات تنام، تقوم مبكراً للعمل، تتزوج...) برنامج

عـادي لـلانـسان العادي، ولكن بعض الاحاديث ترمي الى خلق انسان ثوري من نوع الـطـلـيعـة أو السابقين من الصفوة، هذا هو النوع الثاني كأبي ذر رضوان الله عليه، أما الـنـوع الاول فـكـمـا نـحن، ووصية الرسول(ص) لأ بي ذر تختلف عن وصيته للناس العاديين، لان الرسول يريد ان يخلق من أبي ذر ذلك الثائر الأبدي الذي يبقى مشعلا لـلأجـيـال، وكـذلـك وصـيـة الامـام علي(ع) للناس فوق منبره في الكوفة تختلف عن وصـيـتـه لا بـنه الامام الحسن(ع)، أو لكميل بن زياد مثلا ووصية الامام الحسن(ع) لجنـادة تختـلـف عـن خطاب الامام الحسن(ع) في مجلس معاوية أو في عرفات، امام الـنـاس، ووصـيـة الامـام الحسين(ع) وأحـاديـثه في الصفوة من صحبه وأهل بيته في كـر بـلاء تختـلـف عـن أحـاديـثـه للـنـاس.. وهكذا وصية الامام موسى بن جعفر(ع) لهشـام تختـلـف عن وصاياه للآخرين، انها وصايا عميقة متكاملة ومركزة تهدف الى بـنـاء ذروة في الانـسـانـيـة وتـهـدف الى العروج بأصحابها نحو الذروة العالية والقمم السامقة.

ولـسـوف نـسـتـعـرض ان شـاء الله نموذجين مـن هـذه الـوصـايـا الـقـيّـمة وصية الـرسـول(ص) لأ بي ذر، ووصيّة الامام موسى بن جعفر(ع) لهشام، ثم نبيّن جانباً من كـلام الـرسـول(ص) والامام علي(ع) حول العقل، لنرى كيف يهتم الاسلام باذكاء الـعـقـل وتـنـميته، والنفس وتزكيتها وسواء سرنا في هذا الطريق او ذاك، فان النهاية الحميدة ستكون بانتظارنا ان شاء الله تعالى.

نـسـأل الـبـاري عزّوعلا ان تكون احاديثنا طريقاً نحو العمل لا العلم فقط.. وان تـكـون تـزكـيـة لأنـفسنا وتنمية لارادتنا وعروجاً بأرواحنا في هذا الشهر الفضيل الى حـيـث أراد الله سـبحانه وتعالى لها من الكرامة والعزة والرضوان وهو المسئول أن يعيننا على أنفسنا، كما أعان الصالحين على أنفسهم.

الثورة بين
الارادة والظروف

●منشأ الثورة

هنالك خلاف حول تحديد مصدر الثورات التي تفجرت في التاريخ البشري، بين من يزعم أنها وليدة الظروف، ومن يقول: أنها بنت ارادة الانسان.

الذين يؤيدون هذه الثورات ويحترمونها يعتقدون بأن ازدياد القمع، وارتفاع نسبة الظلم السلطوي، وفساد التركيبات الادارية والسياسية، و بالتالي تدهور التركيبة الاجتماعية، تزيد من نسبة الضجر الشعبي والألم الجماهيري، مما يؤدي الى تفاعل تلك العوامل والظروف، فتنفجر في لحظة سعيدة من حياة الأمم وتتحول الى بركان كاسح.

بينما الذين لا يوافقون على الثورات، و يؤيدون الانظمة التي كانت قائمة، ينسبون الثورات الى مجموعة منظمة ومتعاونة فيما بينها تستغل بعض الظروف السيئة، وتبث الدعاية المضللة، وتعبيء المحرومين الذين يقعون تحت ضغوط الحرمان المادي والثقافي، وتوجههم في طريق الثورة أو حسب تعبيرهم (الهياج الاجتماعي) الى

الاطاحة بالانظمة الحاكمة!

ولايزال الجدل قائماً بين النظريتين، والى الآن هناك فريق يزعم أن ماجرى في روسيا في عام ١٩١٧م وما جرى في فرنسا سنة ١٧٨٩م أو حتى ماجرى في الولايات المتحدة من معارك التحرير ضد التاج البريطاني قبل قرنين ونيف، ما كان سوى أفعال غوغائية، قامت بها مجموعات شرّيرة، فسيطروا على مقاليد الامور، بعيداً عن الجماهير، وعن مصالحها التي ركبت هذه المجموعة موجتها تحت شعار تحقيق مصالح الشعب.

وهذا الجدل لا ينتهي الى حل علمي، لأن كل فريق يتحدث بعواطفه اكثر مما يتحدث بعقله أو بالمنهج العلمي السليم.

اننا نعتقد ان كل فريق منهما على نسبة من الصحة، ونسبة من الخطأ. فالفريق الذي يرى ان الثورة بنت ارادة الانسان ــ و بعيداً عن موقفنا من مذاهبهم وتحركاتهم وسلوكياتهم هو ــ في الواقع ــ محق، ان مجموعة منظمة أرادت ان تغيّر النظام، فقادت التحرك واشركت الجماهير معها، فاستطاعت ان تغيّر الواقع حسب رأيها. ولكن من جانب آخر لا ننسى ان الجماهير كانت تئن تحت ضغط الضرائب المرهقة وتتلوى تحت سياط الارهاب الديكتاتوري، وقمع المؤسسات الفاسدة المختلفة، ولم تجد طريقاً للخلاص، سوى الانخراط في تلك الثورة، لذلك انتفضت ثائرة وانتصرت وهذا أيضاً صحيح!!

من هنا فان الثورات الكبرى في التاريخ ــ بالطبع باستثناء ثورات الانبياء(ع)، انما حدثت بفعل عاملين متوازيين:

أ ــ عامل الارادة البشرية.

ب ــ عامل الظروف.

●ارادة الانسان تقلب الموازين

ان الارادة البشرية تلعب دوراً رئيسياً في عملية التغيير، اذ لو لم تكن تلك الارادة موجودة لما حدث التغيير، فلو افترضنا عدم وجود المنظمات السياسية والشخصيات القيادية العاملة ضد الانظمة، فهل كان يمكن ان تنجح واحدة من تلك الثورات الكبرى في العالم؟

ولنأخذ من واقعنا المعاصر عبرة ومثالا فهل كان من الممكن للثورة الاسلامية الظافرة في ايران ان تنتصر لو لم يكن الامام حفظه الله موجوداً؟، ولو لم يوجد جهاز المرجعية الاسلامية المنتشرة في أعماق الجماهير في المدن والقرى والأرياف، ثم المنظمات السياسية التابعة لخط المرجعية الاسلامية، التي كانت تقوم بنشر الوعي في مختلف الأوساط الشعبية!!، لولا التضحيات الكبرى. والارادة الحديدية لهؤلاء القياديين، والتي تجلت عبر نضال دام لأكثر من عشرين عاماً، هل كان بالامكان ان يطاح بنظام الشاه المقبور، وان يقوم مكانه النظام الاسلامي..؟ ان اثر القيادة المرجعية وفعالية المنظمات الاسلامية لا تزال واضحة الى الآن.

من جهة اخرى نجد ــ في فترات كثيرة من التاريخ ــ ان المنظمات والقيادات والطلائع الثائرة موجودة، الا أن الثورة لم تكن قائمة مما يدل على وجود شرط آخر غير تلك الشروط المتعلقة بالارادة البشرية.

●الظروف الضاغطة

ان الشروط الموضوعية المرتبطة بحالات اجتماعية معينة، تلك الشروط كانت مفقودة ولا تقل تأثيراً عن وجود القيادات والمنظمات، لان الظروف السيئة هي التي تعبيء الجماهير بالألم، ومن ثم تقوم القيادات بتحسيس الجماهير بذلك الألم فتثور، ولذا من غير الاحساس بالألم لا يمكن أن تتحرك الجماهير!

فالانتفاضة الاسلامية الكبرى التي حدثت في عهد الامام علي(ع) وأدّت الى مقتل الخليفة الثالث ومبايعة الامام علي(ع) خليفة، انما كان سببها ماقام به الحزب الاموي من مفاسد في الدولة، ومحاولته تحويل الحكم الاسلامي من سلطة راشدة الى ملك عضوض مما أدى الى تلك الانتفاضة.

ولكن بعد فترة، وبالذات حين اراد معاوية أن يفرض ابنه يزيد خليفة غير شرعي على المسلمين، وحوّل بالفعل الحكم من سلطة خلافية الى ملك قيصري أو كسروي، لم يكن أحد ليتحرك، حينما قام ذلك الرجل الذي باع دينه ودنياه لمعاوية وقال:ــ خليفة المسلمين هذا (واشار الى معاوية) فان مات فهذا (واشار الى يزيد) والا فهذا (واشار الى سيفه).

اجل لقد سكت الجميع تقريباً..! فما هو الفرق بين الحالتين التاريخيتين..؟

في الحالة الاولى كانت القيادة الاسلامية موجودة متمثلة في الامام علي(ع) مع ثلة من خيرة أصحاب النبي(ص) الملتفين حوله، ومجموعة كبيرة من الذين جندهم الامام(ع) وجندتهم الطليعة الرسالية.

وفي الحالة الثانية كان الكثير من الطلائع المجاهدين والمناضلين الذين انضووا تحت قيادة الامام علي(ع) قد ذهبوا الى الرفيق الاعلى. ولكن كانت القيادة موجودة وممثلة في الامام الحسن(ع) ثم الامام الحسين(ع) مع البقية الباقية من الرساليين الملتفين حول القيادة، ولكن الجماهير ثارت في الاولى، ولم تحرك ساكناً في الثانية.. فلماذا..؟

اذن انها الثورة.. التي ليست فقط بنتاً لارادة الانسان، وانما ايضاً وليدة الظروف. وهذه هي النظرية المتكاملة التي نستطيع ان نفسر بها ماحدث وماسيحدث من ثورات جماهيرية كبرى في العالم.

اما مجموعة الدبابات، اذا احاطت بالقصر الجمهوري واسقطت نظام الحكم،

واقامت آخر محله، فان تلك الحركة ليست بثورة مهما تشدق أصحابها وألصقوا بها صفات واسماء ثورية!(١)

•ثوّار الظروف

هنالك بعض الثوار يشبهون الحشائش أو النباتات الفصلية التي لا تنبت الا اذا توفرت بعض الظروف المناخية الجيدة و بصورة عفوية.

ان هؤلاء يستمرون و يستقيمون أنى استمرت !الظروف الطبيعية، فاذا تغيرت تلك الظروف، نراهم تغيروا هم أيضاً حسب الظروف (الهوى)، فاذا رأوا ان اموالهم ذهبت، والظلم احاط بهم شخصياً او الاقر بين منهم، فاذا بهم يأخذون بأيدي اهلهم و يقولون: «مالنا والدخول بين السلاطين» فهؤلاء هم ثوار الظروف.

والمؤمنون، لا يرفضون امثال هؤلاء اذا ثاروا، وانما يحيونهم اذا أرادوا الدخول في ساحات النصال، و يباركون قيامهم، و يفتحون لهم باب العمل واسعاً. ولكن دون أن يجعلوا منهم ركيزة نضالهم.

•ثوّار القيم

الا ان هناك قسماً اخر من الثوار، تلدهم أمهاتهم ثواراًيرضعون من لبن الثورة،

---

(١) حول هذه النظرية الثالثة التي ذكرناها، يقول (كرين برنتون) الذي اصدر مؤخراً كتاباً حول الثورة:
«ان مدرسة الظروف تعتبر الثورات نمواً طبيعياً غير منظم بذرت بذورها بين الطغيان والفساد وتتحكم تحكماً كاملاً في تطورها قوى خارجة عنها أو على أية حال خارجة عن التخطيط البشري فتعتبر الثورات نمواً حشرياً ومصطنعاً، بذرت بذورها بعناية في تربة يعتني بها بستانيون من الثوار و يسمدونها، وتصل الى مرحلة النضج ــ بطريقة غامضة ــ على أيدي اولئك البستانيين انفسهم، رغم قوى الطبيعة، وعلينا حقاً ان نرفض هذهين الوجهين المتطرفين كليهما لانهما هراء، وان نتمسك بالاعتقاد بان الثورات تنمو فعلاً من بذور يبذرها اشخاص يريدون التغير، وان هؤلاء الاشخاص يتقنون تنظيم الحديقة بمهارة، ولكن البستانيين (اي الفلاحين) لا يعملون ضد الطبيعة، بل يعملون في تربة ومناخ صالحين لعملهم. وان الثمار النهائية تمثل تعاوناً بين الناس و بين الطبيعة.

و يشبون على رفض الباطل، وعلى اساس الاستقامة والايمان باصالة الانسان، لا اصالة الحتميات الاجتماعية، وهذا النوع من الثوار هو الذي تهتم به الشريعة الاسلامية، وتشيد به النصوص القرآنية كما يقول تعالى:

[فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقيّة ينهون عن الفساد في الأرض الا قليلا ممن أنجينا منهم]

—١١٦/ هود—

فلابدّ ان تنشأ حركة رسالية ممتدة على جسد الزمن من آدم عليه السلام الى يوم القيامة، لتبقى شاهدة على التاريخ من أجل الحق، ومستقيمة على الطريق الصحيح. و بالطبع لايستطيع ان يستقيم عليها سوى ثوار القيم، وتاريخنا العظيم يحفل بكثير من هؤلاء الثوار الكبار—رضوان الله عليهم—.

ينبغي ان يكون —عبر التاريخ— ثوار من أجل الله والحق والانسان، لا لأن الضرائب باهضة، ولا لأن الارهاب شديد، بلى، يجب ان يحارب الارهاب، و يعارض الاجحاف الاقتصادي والضرائب ،و يناهض طغيان السلطة، الا أن الثوري الحقيقي هوالذي ينتمي الى الحق، ليبني نظاماً سليماً في المجتمع قائماً على اساس الحق و بامامة امام عادل، حتى ولو لم يعرف الناس فساد الوضع القائم، لان الرسالي يملك مقياساً الهياً، انه بالتالي يرى ان كل انسان يتسلط على رقاب الناس و يتحكم في مقدراتهم من دون هدي الله أو اختيار من الله سبحانه وتعالى، **فهوطاغوت!** سواء ازدادت أم نقصت الضرائب، اشتد الأرهاب أو خف.

●الانسان الرسالي أداة الثورة

مثل هذا الانسان هو الذي تسعى الاحاديث المأثورة لتربيته وتنمية أمثاله في المجتمع. وليت الحركات الاسلامية تنتبه الى هذه المفارقة، فلا تبني بناءها على الرمال المتحركة، ولا ترسم على الماء، وانما تنقش في الحجر، وتبني الانسان الالهي كحواريي

الانبياء والأئمة(ع)،تبني ذلك الانسان الذي لا تغيره الظروف، كالجبل الأشم يتحدى العواصف والقواصف، و بهؤلاء يمكن اقتحام غمار الثورة فاذا سنحت الظروف دخلوا الساحة وفجروا الثورة الكبرى! ولتحقيق هذه الغاية ــ بناء الانسان الرسالي ــ نرى الاحاديث الشريفة تسير في اتجاهين.

●الاول

نحو العقل وتنميته واثارته.

●الثاني

نحو النفس وتزكيتها وتهذيبها، وما أجدر بنا ــ نحن المسلمين ــ اذا أردنا أن نبني شبابنا وننمي عقولنا ونزكي انفسنا، أن نتوجه للزاد المقدس الذي خلفه لنا قادة الاسلام على صورة وصايا وعظات، هي في الحقيقة جواهر الحكمة، وعصارة التجارب الرسالية، تهدي للتي هي أقوم!

ففي وصية الامام علي(ع) لأ بنه الامام الحسن(ع)، يقول:

□(أي بني واني وإن لم أكن عمّرت من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم، وفكرت في أخبارهم، وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم، بل كأني بما انتهى اليّ من أمورهم قد عمّرت مع أولهم الى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضرّه، فاستخلصت لك من كل أمر نخيلة ــ اي ما نخل وصفي ــ وتوخيت لك جميله وصرفت عنك مجهوله، ورأيت حيث عناني من امرك ما يعني الوالد الشفيق واجمعت عليه من أدبك، ان يكون ذلك وانت مقبل بين ذي النقيّة والنيّة، وان أبدأك بتعليم كتاب الله وتأويله، وشرائع الاسلام وأحكامه وحلاله وحرامه، لا اجاوز ذلك بك الى غيره، ثم اشفقت أن يلبسك ما اختلف الناس فيه اهواءهم مثل الذي لبسهم، وكان احكام ذلك لك على ما كرهت من تنبيهك له أحب اليّ من اسلامك الى أمر لا آمن عليك فيه الهلكة. ورجوت أن يوفقك الله فيه لرشدك، وان يهديك لقصدك فعهدت اليك وصيتي هذه واحكم مع ذلك)□

وفي العبارات الاخيرة يريد ان يفهمه عليهما السلام انه حاول ان يوضح له الامور حتى لا يقلد الآخرين، وان لا يتبع أفكارهم، لكي يكون لديه البصيرة الكافية لفهم

عبر التاريخ!

ثـم يـوصي الامـام(ع) ابـنه بعد ذلك ان يأخذ بسيرة آبائه والعاملين الصالحين من السابقين فيقول:

□(فليكن طلبك ذلك ــ العلم ــ بتفهم وتعلم لا بتورط الشبهات وعلوّ الخصومات، وابدأ قبل نظرك في ذلك بالاستعانة بالهك عليه، والرغبة اليه في توفيقك وترك كل شائبة أدخلت عليك شبهة واسلمتك الى ضلالة، واذا أيقنت أن قد صفا لك قلبك فخشع، وتم رأيك فاجتمع، وكان همك في ذلك همّاً واحداً فانظر فيما فسّرت لك وان أنت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك من فراغ فكرك ونظرك فاعلم أنك انما تخبط العشواء، وليس طالب الدين من خبط ولا خلط، والامساك عند ذلك أمثل)□

والامام علي عليه السلام يشرح لأ بنه هنا، ان من أراد أن يتعلم الدين فما ذلك من أجل الجدل والمغالبة، ثم لا يكون التعلم في وقت يكون الرأي فيه غير مجتمع والفكر غير مركز، أي يكون من دون توتر وقلق نفسي، وانما يكون التعلم في وقت الراحة، حيث نفسك خاشعة للحق، مطمئنة اليه متوكلة على الله سبحانه وتعالى، مركزة في الامر.

والامام علي(ع) يورد هنا ــ بايجاز شديد ــ منهجه في العلم، حيث جمع كل الاخطاء التي يمكن ان يقع فيها الانسان أثناء التعلم، فحذر منها، ولو شئنا تفسير كلامه(ع) لكان يقتضي ذلك مؤلفاً طويلا! ثم ان الامام(ع) لا ينسى ان يذكر ابنه بالموت هادم اللذات، ذلك لان من طبيعة الانسان الجهل والاسترسال مع الهوى وعدم المبالاة وعدم تحمل المسئولية! فما الذي يقهر النفس الجموح و يكبح هواها..؟ هو ذكر «الموت» حيث لا موعظة اكبر منه و(**كفى بالموت واعظاً**).

ويحذر الامام ابنه من الغرور العلمي الذي هو آفة العقل و يدعوه الى تقييم الحقائق جميعاً. وعدم ردّ شيء منها بمجرد غرابته عنده او اشكاله في فهمه فيقول عليه السلام:

□(فتفهم اي بنّي وصيّتي واعلم ان مالك الموت هو مالك الحياة، وأن الخالق هو المميت وأن المفني هو المعيد وأن المبتلى هو المعافي وأن الدنيا لم تكن لتستقيم على ما خلقها الله تبارك وتعالى عليه من النعماء والابتلاء والجزاء في المعاد أو ماشاء مما لا نعلم، فان اشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك به وانك أول ما خلقت خلقت جاهلا ثم علمت وما اكثر ما تجهل من الامر و يتحيّر فيه رأيك و يضل فيه بصرك، ثم تبصره بعد ذلك، فاعتصم بالذي خلقك ورزقك وسوّاك، فليكن له تعمدك واليه رغبتك ومنه شفقتك)

● كيف ينمي الرسالي العقل؟

و يستمر الامام علي في نصيحة ابنه الامام الحسن عليهما السلام ليبيّن له صفات الانسان الرسالي، كيف ينمي معارفه وعقله و بالتالي الخصال الحميدة عنده، فيقول:ـــ

□(أي بني تفهّم وصيتي واجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغير ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لنفسك، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم، وأحسن كما تحب أن يحسن اليك، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك، وارض من الناس لك ما ترضى به لهم منك، ولا تقل بما لا تعلم، بل لا تقل كل ما تعلم، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك)□

ولو طبق الواحد منا هذه الوصية على نفسه لرأى كم تتحسن اخلاقه السيئة، والى اي مدى تصبح فاضلة.

ان الآفة التي تترصد الرسالي هو ان يركبه الغرور والاعجاب بما لديه وهو يخالف تنمية عقله وعلمه. يقول الامام علي(ع):

□(واعلم ان الاعجاب ضد الصواب وآفة الألباب فاحذر هذا الزلل)□

و بالمقابل، الخشوع يزيد و ينمي المعرفة.

□(فاذا أنت هديت لقصدك فكن أخشع ما تكون لربك)□

●دور الاحسان في تنمية العقل

العقل ينمو بمقاومة الشهوات الذاتية والجهل الطبيعي عند البشر، والاحسان يساهم في كبح جماح الشهوات واخراج الانسان من قوقعة ذاته، وشح نفسه، ولكي يقدم الانسان على الاحسان الذي سمي في القرآن مرة بأنه عقبة. يحث الامام علي(ع) بأسلوب رائع. حيث يذكره بطريقه الشاق. حيث يقول(ع):

□(واعلم ان أمامك طريقاً ذا مشقة بعيدة وأهوال شديدة، وانه لا غنى بك فيه عن حسن الارتياد، وقدر بلاغك من الزاد، وخفة الظهر، فلا تحمّلن على ظهرك فوق بلاغك، فيكون ثقلا ووبالا عليك، واذا وجدت من أهل الحاجة من يحمل لك زادك فيوافيك به حيث تحتاج اليه، فاغتنمه، واغتنم من استقرضك في حال غناك واجعل وقت قضائك في يوم عسرتك)

اي ان للانسان عسرتين، يوماً في الدنيا و يوماً في الآخرة، والقرض الحسن ينفع في كلا اليومين.

●قوة الارادة تنمي العقل

للوصول الى القمة تعترض الانسان كثير من العقبات التي قد تؤدي به الى الحضيض، وكما العقبة (التي هي طريق صعب في الجبل) التي ان زلت فيها القدم، هوت بصاحبها ألف متر واكثر، كذلك العقبة في الآخرة، لا تزل بصاحبها الا في وادي جهنم، حيث الأفاعي كالتلال والعقارب كالبغال، أعاذنا الله منها. والرسالي لايخاف من ذلك الموقف يومئذ، لانه لا ينفع الخوف يومذاك، وانما خوفه منه الآن، اذ لديه متسع من الوقت، للنجاة من ذلك الموقف، بأن لا يثقل كاهله بما يودي به ساعة عبور العقبة الكأداء، يقول الامام علي(ع):

□(واعلم أن أمامك عقبة كؤوداً ــ مهبطاً بك على جنة أو على نار، المخف فيها أحسن حالا من

المثقل، فارتد لنفسك قبل نزولك، واعلم ان الذي بيده ملكوت خزائن الدنيا والآخرة قد أذن بدعائك وتكفل باجابتك، وامرك أن تسأله ليعطيك وهو رحيم)□

●الدعاء يعصم العقل

والعقل قد يضعف امام عواصف الشهوة، والضغوط فيعصمه الله بالدعاء. وهنا يبدأ الامام(ع) بالتركيز على ضرورة العلاقة بالله، والتخشع له بالمناجاة والدعاء، وقد حث الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين على الالحاح في دعائه فقال:

[وقال ربكم ادعوني استجب لكم]
ـــ٦٠/ غافرـــ

وان من نعم الله على الانسان، أن يأذن له بالدعاء، و يتكفل هو بالاجابة. باستطاعتك المثول بين يدي البارئ الكريم كيف شئت وأنى شئت، بلا حاجب ولا واسطة ولا ترجمان، كما تفعل اذا أردت ملاقاة موظف كبير، ولا الى عريضة وطوابع للكتابة الى أمير، وانما يقف العبد ليناجي الله تعالى بأي لغة كانت، وحتى الأخرس يناجي الله تعالى، بلغة الاشارة، والله سبحانه وتعالى يسمعه، وأخيب الناس، وأخملهم، وأفشلهم هو الذي لا يتضرع بالدعاء. يقول الامام علي(ع):

□(لم يجعل بينك وبينه ترجماناً، ولم يحجبك عنه، ولم يلجئك الى من يشفع اليه لك، ولم يمنعك ــان اسأتــ التوبة، ولم يعيّرك بالانابة، ولم يعاجلك بالنقمة، ولم يفضحك حيث تعرضت للفضيحة، ولم يناقشك بالجريمة، ولم يؤيسك من الرحمة، ولم يشدد عليك في التوبة، فجعل النزوع عن الذنب حسنة، وحسب سيئتك واحدة وحسب حسنتك عشرا وفتح لك باب المتاب والأستيناف)□

من أجل الستر على الفضائح، لم يجشمه الله عناء المثول بين يدي قسيس، للاعتراف أمامه بالذنوب والفضائحــ كما تدعيه المسيحية المنحرفةــ وانما يطلب المغفرة من الله سبحانه وتعالى مباشرة، وفي ذلك درس للرسالي، كيف يلتصق بالله

تعالى، و يعود إليه و يلوذ به عند كل خطوة يظن فيها أنه ابتعد أو انحرف عن الطريق السوي ليحاسب نفسه دون الحاجة الى الخجل أمام توبيخ أو تقريع مسئوليه، يقول الامام علي(ع):

□(فمتى شئت سمع نداءك ونجواك، فأفضيت اليه بحاجتك وانبأته عن ذات نفسك وشكوت اليه همومك واستعنته على امورك وناجيته بما تستخفي به من الخلق من سرّك، ثم جعل بيدك مفاتيح خزائنه فألحح في المسألة يفتح لك باب الرحمة بما اذن لك فيه من مسألته فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب خزائنه)□

انك تستطيع ان تعتذر له عما بدا منك، فيعفو عنك، ولكن بشرط ان تلح عليه في الطلب وتتخشّع له في المسألة، مهما كبرت مسألتك، فان العطية على قدر المسألة، ثم انك مطالب الا تقنط من الدعاء والالحاح في المسألة حتى ولو تأخرت الاجابة، فانك لا تدري الحكمة من التأخير! يقول الامام علي(ع):

□(فألحح ولا يقنطك ان ابطأت عنك الاجابة، فان العطية على قدر المسألة، وربما أخرت عنك الاجابة، ليكون أطول للمسألة وأجزل للعطية،وربما سألت الشيء فلم تؤته وأوتيت خيراً منه عاجلا أوآجلا، أو صرف عنك لما هو خير لك، فلرب أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته، ولتكن مسألتك فيما يعنيك مما يبقى لك جماله و ينفي عنك وباله)□

الانسان الرسالي
بين حب الله وخشيته

● تنصب اهتمامات الرسالة الاسلامية على الانسان، لأنه عنصر الحركة الرئيسي الذي ينشده الاسلام للانسانية جمعاء.

من هنا فان: بناء الكوادر والقيادات الواعية، الى جانب التوعية الجماهيرية هما دعامتا الثورة الحقيقية.

لذلك فان على الامة ان تهتم اهتماماً شديداً ببناء الكوادر، كما ان على المهتمين بمستقبل الأمة ومصيرها الاّ يدعوا فرصة لذلك الا و يغتنموها.

●القادة يصنعون الرجال

لقد قام الرسول الاكرم(ص) والائمة المعصومون(ع) ــ وهم قدواتنا في العمل ــ بدور رئيسي في هذا الحقل، اذ لا تجد منهم أحداً الا و يهتم اهتماماً بالغاً بتربية الرجال من حوله.

فالرسول الاكرم(ص) قضى ثلاثة عشر عاماً يربي الكوادر و يصنع الرجال

و يدرب القيادات لتحمل المسئولية العظيمة التي ابتدأت في المدينة المنورة.

والامام علي(ع) يقول عن النبي(ص):

□(لقد أدّب الله نبيه فاحسن تأديبه وأدّبني رسول الله وأنا أؤدّب المؤمنين)

وها هو خليفة المسلمين وقائد القوات المسلحة وامام الأمة ومربّيها أميرالمؤمنين وزعيم امبراطورية مترامية الاطراف يقتطع من وقته هزيعاً ليأخذ بيد واحد من تابعيه «كميل بن زياد» و يصحر به في الفلاة ليبين له وصاياه المعروفة ليربيه و يربي من وراءه الرجال.

ومرة أخرى يشتري عبداً فيعتقه ثم لايزال يربيه حتى يصبح الثائر الكبير (ميثم التمار) رضوان الله عليه.

ونرى الامام الحسن(ع) يهتم ببناء الرجال حتى آخر لحظة في حياته حيث ينتهز تلك اللحظات الاخيرة قبل أن يزوره ملك الموت ليلقي بوصاياه الأخيرة الى (جنادة بن أمية) تلك الوصايا التربوية المتكاملة المعروفة.

وعلى نفس النهج سار الأئمة (عليهم السلام) في كل زمن، وحسب الحاجة التي تتطلبها المرحلة، اذ قد تقتضي المرحلة بناء القيادات، بينما تأتي مراحل أخرى، تشتد الحاجة فيها الى تعبئة الامة.

فمثلاً: الامام علي(ع) يقضي خمساً وعشرين سنة من عمره الشريف، يبني الكوادر و يهيء القيادات، بينما نجد الخمس السنوات الأخيرة من حياته الفاضلة كانت مرحلة تعبئة الطاقات، ومواجهة التحديات، والعمل الدؤوب على تصحيح المسيرة. بالرغم من انه لم يترك ـــ حتى في هذه المرحلة ـــ بناء الكوادر.

وبينما قضى الامام الحسن(ع) وقته في اعداد الرجال وبناء الزعامات، قام الامام الحسين(ع) وبالذات في فترة امامته بتعبئة الأمة وتوجيهها نحو مجابهة

الاخطار التحريفية وتفجير الثورة ازاء الوضع الفاسد.

وكذلك الامام زين العابدين(ع) يقضي اكثر من ثلاثة عقود من عمره الكريم اماماً وقائداً لا ينفك عن صنع القيادات، حتى ان بعض الروايات تذكر أنه يشتري العبيد، و يقوم بتربيتهم، ثم اعتاقهم في سبيل الله، وتوجيههم لتوعية الجماهير في الاصقاع المختلفة، وان صحّت الروايات فان الامام(ع) كان يقوم بتربية ألف رجل كل عام! وان هذا لعمري عدد هائل جدّاً.

●برامج اعداد الرجال

الا أن السؤال المطروح: ما هو البرنامج الثوري التربوي المتكامل لبناء الرجال..؟

يعيش الانسان وفق نظام متجانس بين أعضائه ونفسه وقلبه وجوارحه، كما يسير هذا النظام وفق قوانين معينة، ولذلك فهو يستطيع أن يصلح أي عطب، و يهذب أي انحراف يطرأ على أعضائه.

فلو ابتليت يدك بقرحة، اعطاك الطبيب الدواء المناسب حيث يكون الدواء من جنس الداء، فالالتهاب لا يجدي معه سوى البنسلين، والضعف تنفعه الفيتامينات التي تقوي الجسم، فلابد أن يستخدم الطبيب الطريق المناسب لعلاج المرضى.

كذلك بالنسبة لروح الانسان، فللروح قنوات معينة. اذا أردت علاج الروح، لابد من السير عبر هذه القنوات الى أن تصل الى المرض الكامن في الروح وتقضي على ذلك المرض. مثلا انه مبتلى بمرض التكبر.. ولو أخذته الى الطبيب النفساني فانه قد يفعل معه شيئاً لم تكن تتوقعه! فهذا المتكبر الذي يحسب نفسه أعلى من الجبال وأقوى من الحديد والموت، يعامله الطبيب بلطف ولين و ينفخ فيه روح الثقة، حتى لتكاد تصرخ فيه انك تزيده بهذا غروراً!! ان الطبيب (العارف) يعالجه بما نزعم نحن: انه يزيده مرضاً.

فالطبيب يخاطبه بعبارات كهذه: أحسنت.. بارك الله فيك.. أنت رجل ممتاز.. أنت شخص قوي ومحترم..وكل الناس يقدرونك، والمجتمع يكرمك و يعتز بك، والله يحبك والمستقبل معك.. وما الى ذلك..

والطبيب بذلك انما يريد أن يعيد ثقته بذاته، ويمدّه بشحنات الاطمئنان النفسي والاستقرار الروحي.

والفارق بينك وبين الطبيب في هذا أنك تنظر الى الاعراض، بينما الطبيب، شخَّص الاسباب وعرف أن سبب الداء، انما كان عقدة الحقارة ومركب النقص، الذي يحاول أن يستره بحجب زائفة من الغرور والكبرياء!

فمعالجة مثل هذا المرض لا تتأتى من محاولة قمع الغرور، واحتقار الكبرياء، أو معالجة ظاهر المرض دون ان تذهب الى «الفيروس» الحقيقي الذي ولّد هذا المرض، وانما تتم المعالجة بمحو العقدة ذاتها «عقدة الحقارة» ومقاومة الاحساس بالضعف في ذاته، وآنئذ يصبح و بشكل عفوي انساناًسو يّاً..

فللنفس البشرية قنوات نستطيع عبرها، ان نعالج أمراضها، والله سبحانه وتعالى خالق الانسان وملهم النفس فجورها وتقواها، هوأعلم بحقيقة الانسان وطريقة معالجته، اذ يقول تعالى:

[ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون]

ـ٨٥/ الواقعةـ

[ونحن أقرب اليه من حبل الوريد]

ـ١٦/ قـ

و يصف الله سبحانه في القرآن الكريم: علاج النفس البشرية، و يؤدب رسوله الكريم(ص) بتلك الوصفات، ويحسن تأديبه، ثم يقوم الرسول الاعظم(ص) بتأديب الأئمة الاطهار عليهم السلام ابتداء من أبيهم الامام علي(ع) (الذي بدأنا معه مرحلة التدبر في وصاياه التربوية الرسالية لنجله الامام الحسن المجتبى عليه السلام، وسوف

نستمر في ذلك)·هنا نشير الى اهم عناصر التربية التي تكون الانسان الثوري وهي:

●اولا: الحب

هناك فرق بين الحب والشهوة، ان الشهوة هي جلب الاشياء الى الذات، وقطف اللذات مما حلا وطاب، والاستفادة منها شخصياً، بينما الحب هو العكس من ذلك فهو عطاء من الذات الى الخارج لمنفعة وخدمة الآخرين. الشهوة: استئثار، بينما الحب: ايثار. الشهوة أخذ والحب عطاء.

الشهوة هي محاولة لافناء الوجود في الذات، بينما الحب هو محاولة افناء الذات في الوجود.

فاذا أحببت أحداً،يعني انك تريد أن تنفعه وتعطيه وتفيده! بينما اذا اشتهيت تفاحة،أو برتقالة،فانك في الواقع تشتهيها بهدف ان تأكلها لتتحول الى جزء من كيانك!

وكذلك الامر بالنسبة لشهوتك في السرير، فانك تريد ان تنام عليه! واذا اشتهيت البيت، فانما تريد ان تسكنه وتحمي نفسك من الانواء! وان اشتهيت السيارة، فلأنك تريد ركوبها، وهكذا بالنسبة للامور الاستهلاكية جميعاً، فانها تنضوي تحت قائمة الشهوات..!

اما حينما تحب الله سبحانه وتعالى والنبي والامام والناس، وتحب ابنك أو أهلك أو أخاك، فانما يعني ذلك: ان تضحي من أجلهم، وتعطي أغلى ما تملك في سبيلهم، وحب الناس هو الاحسان اليهم، والتفاني في خدمتهم، ورفع الحيف عنهم! من هنا فان الفرق بين الأخذ والعطاء بعيد كالمسافة بين الارض والسماء!

والاسلام يربي الانسان على الحب! يقول الامام الصادق عليه السلام:
(وهل الدين الا الحب) وتلى قوله تعالى:

[قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله]

ـ ٣١/ آل عمران ـ

• كيف نزرع حب الله؟

ان الطريقة،التي يتمكن المربي المؤمن، بها زرع حب الله في قلب الرسالي، هي: التذكير الدائم بنعم الله وخيراته ورزقه ورأفته بالعباد وعين رعايته التي تدفع البلاء والنقم. والتأكيد على جمال الله وجلاله وقوته وعلمه ورحمته بصفافته الحسنى جل وعلا.

ومن احب الله فعلاً رغب في لقائه. ولقاؤه القريب يتحقق في المثول بين يديه أثناء الصلاة التي يقول عنها الرسول الاكرم(ص) **(وقرة عيني الصلاة)** واللقاء الدائم حينما يلتقي المؤمن عبر قنطرة الشهادة أو الرحيل الأ بدي.

أحد الصحابة رضي الله عنه حل به الموت، فلم يتمالك نفسه من البكاء،فاجتمع حوله الصحابة وسأله أحدهم: مم بكاؤك يرحمك الله؟.

فأجاب: أني لا أبكي لدنياكم، ولكن لهفي لظمأ الهواجر، وسهر الليالي الطوال!

أجل انه يبكي، لأنه يموت ولن يتمكن من الصيام في لهيب ايام الصيف، كما يبكي لأن الموت سيمنعه من العبادة والتهجد في ليالي الشتاء الطويلة التي يصفها الرسول الاكرم(ص) بقوله:

■(الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه، وطال ليله فقامه)

انه ذاهب الى ربه ومع ذلك يحن الى مناجاته في الاسحار والناس نيام! وهل يدرك لذة المناجاة تلك الا المؤمنون حقاً حيث يرخي الليل سدوله، و يهجع كل حيّ، و يسود السكون الليل، فيتفتح قلب المؤمن لمناجاة الحبيب، يناجي ربه و يناجيه ربه، يناجي ربه بحديث القلوب، و يراه بعيون البصائر، فهذا هو الحب فآنئذ اذا

قطّعت المحب في الله اربأ لم يحن القلب الى احد سوى الله سبحانه! كما قيل على لسان الامام الحسين عليه السلام: في اللحظات الأخيرة من رحلة شهادته الدامية..

فلو قطّعتني في الحب اربأ ... لما حن الفؤاد الى سواكا

ولم يفقد احداً من اصحابه يوم عاشوراء الا وتهلل وجهه واشرقت طلعته البهية، اكثر فأكثر، لانه كان يعلم أنه كلما مضى واحد منهم، كلما اقترب لقاؤه بربه، يعني يقترب من الشهادة، وحينما ذبح ابنه الرضيع على يديه الكريمتين بسهم حرملة من الوريد الى الوريد، أخذ دمه بين كفيه، والقى به نحو السماء قائلا: **(هوّن عليّ ما نزل بي انه بعين الله)**، وحين وقع جريحاً لا يقوى على النهوض راح يجمع التراب تحت رأسه الشريف وشرع يصلي لربه، غير عابىء بما حوله من كتائب الاعداء وهي تموج كالبحر، لا يلتفت لأحد منهم ولكن الى الله سبحانه وهو يقول:

□(الهي رضاً برضاك لا معبود سواك)

وذاك والده الامام علي(ع) يصلي في المحراب وفي فخذه سهم نابت لا يمكنهم ان يخرجوه، فيأتي جرّاح و يشق فخذه ــ وهو في الصلاة ــ ويخرج السهم، ثم يشد مكانه، ويجري الدم في المحراب، و بعد ان يفرغ الامام(ع) من الصلاة يقع بصره على الدم فيتساءل: ماهذا!

واعجباه ياأميرالمؤمنين! لقد أخرجنا السهم من فخذك! قال: **(والله ما احسست بذلك)!!**

وذلك الامام علي بن الحسين زين العابدين واقف يصلي، فتدخل النار وتلتهم جزء من غرفته، والناس مزدحمون، البعض يأتي بالماء والبعض يأتي بالتراب والبعض يستغيث، والامام متوجه الى صلاته، و بعد أن ينتهي و يرى آثار الحريق يسأل: **(ماهذا)** فيجيبوه: يابن رسول الله! ان النيران كادت تلتهم الغرفة، والناس يصرخون

و يولولون، وانت لم تحس؟! فقال: (كنت مشغولا باطفاء نار اخرى)!«اي نار الأخرة».

أجل ان هذا هو الحب، فالمؤمن في سبيل الله يقتحم غمار الحروب والنيران، الا ان جسمه لا يحس الأذى وهو لا يشعر بالالم، لان القلب مشدود بالحق، والعقل مدهوش بالحب، قد اتصل بر باط مقدس مع الرفيق الأعلى!

عابس بن شبيب ــ أحد أصحاب الحسين(ع) ــ ينزع لامة حر به، و يتجرد من ملابسه الحر بية، درعه وخوذته..ثم يتقدم شاهراً سيفه، فينادى: ياعابس هل جننت فيجيب وهو ماض: نعم، حب الحسين أجنني!

هذا هو الحب، وأساس التر بية الاسلامية، تنمية هذا الحب، واذا أحببت الله، أحببت رسوله(ص) وأوليائه، ولا تحب الله الا اذا اتبعت رسوله من دون تعب وتكلف! نحن اذا وقفنا للصلاة، فكأننا نحارب الشيطان، ولكن الذي يحب ر به ينبعث الى الصلاة انبعاثاً، كالسيل المندفع، لان قلبه متلهف للقاء الله.

كنت عند أحد المؤمنين، وقد نام متأخراً في ليل صائف، وقبل أن أغفو أنا، رأيته يفتح عينيه، ثم ينظر الى النجوم، و يتبيّن له: أن الصبح قريب، وان وقت قيام الليل قد ضاق، فهب من مرقده واثباً، وكأن عقر باً لدغته، ثم خف الى الصلاة والتبتل!

والحب ان لم يفعل بصاحبه هكذا أو اكثر، فليس بالحب، ومودة الناس لاسيما الفقراء والمستضعفين ــسوف لا يبيت مبطاناً وحوله اكباد تحن الى القرص! ولا ينام شبعاناً والى جواره عوائل فقيرة، ولا يمكنه أن يستأثر بنعيم الدنيا، وهو يعلم الآخرين لا نعيم لهم!

ومن أحب الناس لا يمكنه أن يفعل ذلك وانما يثور من اجلهم! من دون طمع في شهرة، ولا رغبة في مال، أو من أجل سلطة أو منصب وانما لله!

جاءت امرأة فقيرة الى احد المؤمنين الثائرين من بني هاشم وطلبت منه المعونة

فنظر اليها، وبعد أن أعطاها الميسور، قال لها: « أنت وأمثالك تدفعون بنا الى القتل »! وما مضت أيام حتى خرج ثائراً واستشهد مع اصحابه. فالذين يحترقون من أجل الجماهير المغلوبة على أمرها، هم الذين يحبون الله حقاً ويحبون عباده، بل و يشمل حبهم كل الموجودات. في قلبه مهرجان الحب يتسع لكل مخلوق!

●ثانيا: الخوف

الخوف من النهاية الحتمية، مادامت النهاية غير معروفة الميعاد، فان الخوف منها سيستمر مع الانسان في كل لحظة.

من هنا فان المؤمن يتوقى المحاذير، و يعيش بانضباط تام في حالة عالية من التقوى والخشوع لله سبحانه وتعالى!

سئل الامام الصادق(ع) عن التقوى ما هي فأجاب: ما معناه:

□(**اسلكت طريقاً مليئاً بالأشواك؟** فقال: نعم، قال: (**فما صنعت**)؟ قال: كنت أتقيها! قال: (**فتلك هي التقوى**)!

فالتقوى ان تمشي في العالم وفق خريطة. المتقي في الدنيا كمن يسلك حقلاً من الالغام خلال الحرب، فبمجرد ان يتجاوز الخريطة يحتمل ان يرتفع عن الارض بضعة امتار لينفجر و يتمزق في الهواء!

ولذلك فان الأئمة عليهم السلام كانوا يؤكدون على ضرورة الخوف من الاخرة. دعنا نعود الآن الى وصية الامام علي(ع) لنجله الامام الحسن(ع) ـ التي ذكرنا قسماً منها في الحديث السابق ـ ونستقي منها المنهج الاسلامي في تربية المؤمن الرسالي يقول الامام:

□(**أي بني! اني قد أنبأتك عن الدنيا وحالها وزوالها وانتقالها بأهلها، وانبأتك عن الآخرة وما**

أعد لأهلها وضربت لك فيها الامثال، انما مثل من ابصر الدنيا كمثل قوم سفر نبأ بهم منزل حذب، فأمّوا منزلا خصيباً وجناباً مريعاً)□

● حين نعرف حقيقة الدنيا

يبيّن الامام: أن المؤمن هو من يعرف الدنيا وحقيقتها و يضرب لذلك مثلا..
مثل من عرف حقيقة الدنيا كمثل قوم مسافرين، رأوا مكانهم قفراً، لاماء ولا كلأ، فتحركوا باتجاه مكان آخر حيث الخصب والمياه والمراتع، ثم يقول:

□(فاحتملوا وعثاء الطريق، وفراق الصديق، وخشونة السفر في الطعام والمنام، ليأتوا سعة دارهم ومنزل قرارهم. فليس يجدون لشيء من ذلك ألماً، ولا يرون نفقة مغرماً، ولا شيئاً أحب اليهم مما قربهم من منزلهم)□

انهم لا يعبئون بأتعاب السفر، أو فراق الأحبة، و يهونون الأمر على أنفسهم، بما ينتظرهم من راحة، عندما يصلون مرامهم، وهذا مثال أهل الدنيا العارفين بحقيقتها، فانما هي كالارض القفر، وانما سيجدون أمانيهم هناك في الآخرة، وما هي الا تحمل وعثاء السفر و يصلون!

● لماذا الغرور بالدنيا؟

يقول الامام:

□ ومثل من اغتر بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصب، فنبا بهم منـــزل جدب، فليس شيء أكره اليهم ولا أهول لديهم من مفارقة ما هم فيه الى ما يهجمون عليه و يصيرون اليه)□

وهذا هو مثل من اغتر بالدنيا وركن اليها ونسي الآخرة!

ان هذا المغتر سيفاجأ، حينما يأتيه ملك الموت، بشكل مهيب، يقف على رأسه

وبيده مقرعة من نار و يصيح: أخرج روحك بنفسك، والروح عزيزة و يصعب عليه ان يفارق المال والعيال والأهل والاحبة..؟ الا أن عليه الآن ان يخرج روحـــه هو بنفسه!

أما المؤمن فان الامر مختلف تماماً معه، فملك الموت يأتيه بصورة حسنة، كصديق أو قريب، وربما لايفهمه بأنه «ملك الموت» فيبدأ يحاوره و يزهده في الدنيا، محاولا اقناعه بأنه ملّ منها، و يذكر له الآخرة و يشوّقه لما ينتظره من نعيم لا يبلى، فان أبى ومانع واحتج بأنه سيفارق اخوته المؤمنين، فان ملك الموت آنئذ يكشف له عن النعيم المقيم في الآخرة، و يقول له: انظر! بيتك هناك واصدقاؤك هم اولئك الشهداء والصديقون والانبياء والاولياء وحسن اولئك رفيقا..عندئذ يوافق المؤمن، فتؤخذ روحه.

هذا هو ملك الموت، وعلى الانسان ان يختار الطريقة التي يحب ان يتعامل بها ملك الموت معه.

●منهج الاسلام في طلب العلم

يقول الامام علي(ع):

□(وقرعتك بأنواع الجهالات لئلا تعد نفسك عالماً، فان ورد عليك شيء تعرفه اكبرت ذلك فان العالم من عرف أن ما يعلم فيما لا يعلم قليل فعدّ نفسه بذلك جاهلا)□

فالتقريع بأنواع الجهالات تعيد الانسان الى واقعه، حتى لا يتصور نفسه، قد بلغ الكمال في العلم، فالغرور حجاب كثيف بين الانسان و بين الحقائق..

والعالم هو الذي يذكر نواقصه، والاعمال التي لم يستطع ان يفعلها، اما الاعمال التي انجزها، فانه ينساها، حتى يبقى باحثاً دائماً عن العلم ولا يغتر.

يقول الامام(ع):

▫(فازداد بما عرف من ذلك في طلب العلم اجتهاداً، فما يزال للعلم طالباً، وفيه راغباً، وله مستفيداً ولأهله خاشعاً مهتماً وللصمت لازماً، وللخطأ حاذراً، ومنه مستحيياً)▫

ان العلم والغرور لا يجتمعان، لان المغرور لا يخشع لعالم، ولا يرغب في مزيد من المعرفة، ولا يهتم بمفيد، اما العارف بجهله، والطالب للاستفادة، فانه يخشع للعلماء و يلازم مجالسهم مقتدياً بسيرتهم!

وقد لخص الامام علي(ع) هذا الامر في موضع آخر حيث قال:

▫(الناس فيما يعلمون أربعة:
*** فرجل لا يعلم، ولا يعلم أنه لا يعلم، فذلك أحمق فاتركه.**
*** ورجل لا يعلم، و يعلم انه لا يعلم، فذلك جاهل فعلّمه.**
*** ورجل يعلم، ولا يعلم أنه يعلم، فذلك غافل فنبّهه.**
*** ورجل يعلم، و يعلم أنه يعلم، فذلك عالم فاتبعه.**

و يواصل الامام علي(ع) وصيته:

▫(وقد نبأك الله عنها ــ اي الدنيا ــ ونعتت لك (اوضحت) نفسها وكشفت عن مساويها، فاياك أن تغتر بما ترى من اخلاد أهلها اليها وتكالبهم عليها، وانما أهلها كلاب عاوية، وسباع ضارية، يهر بعضها على بعض، يأكل عزيزها ذليلها، وكبيرها صغيرها، قد اضلت أهلها عن قصد السبيل، وسلكت بهم طريق العمى، واخذت بأبصارهم عن منهج الصواب، فتاهوا في حيرتها، وغرقوا في فتنتها، واتخذوها رباً، فلعبت بهم ولعبوا بها ونسوا ماوراءها)

كنت مرة في طريق خارج المدينة فرأيت على الطريق دابة ميتة قد تعفنت وتفسخت، ورأيت حولها حوالي ثلاثين الى أربعين كلباً يتنازعون عليها! فابتسمت لما رأيت وهتفت، بنفسي هذه الدنيا العفنة الزائلة، والناس يتكالبون عليها، كهذه الكلاب! قد لخصتها أمام ناظري هذه الصورة!!

ان الزهاد يرون الدنيا كهذه الجيفة النتنة، بينما الناس متكالبون عليها، يظنون انهم يحصلون على الخير، هذا ليس خيراً!

□(وليس بخير خير وراءه النار، وليس بشر شرّ وراءه الجنة)!

كما قال الامام السجاد عليه السلام.

يقول الامام علي(ع):

□(فايّاك يابني أن تكون (كمن) قد شانته كثرة عيوبها، نعم معقلة، واخرى مهملة، قد اضلت عقولها، وركبت مجهولها سروح عاهة بواد وعث، ليس لها راع يقيمها، رويدا حتى يسفر الظلام، كأن قد وردت الضعينة، يوشك من اسرع أن يؤوب)□

وهذه الكلمات من ابلغ كلمات الامام(ع) التي يصور فيها باختصار شديد: حالة الناس العابثين اللاهين الغافلين عما ينتظرهم، كيف أنهم كالنعم المعقلة، أي الحيوانات المربوطة، واخرى مهملة متروكة تسرح كيف تشاء في وادٍ شائك، ولكن كما يقول عليه السلام في موضع آخر:

□(الناس نيام اذا ماتوا انتبهوا)□!

● القناعة راحة القلب وخفة الميزان

ثم يقول:

□(واعلم ان من كانت مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان كان لايسير! ابى الله الآ خرابَ الدنيا، وعمارة الآخرة)□

من كان راكباً الليل والنهار فانه الى نهاية اكيدة، و يكفي ان نعلم ان الدنيا فانية والآخرة هي الباقية.. فهل من مذكر؟!

ثم يقول الامام(ع):

□(أي بني: فان تزهد فيما زهّدك الله فيه من الدنيا وتعزف نفسك عنها فهي أهل ذلك وان كنت غير قابل نصيحتي اياك فيها، فاعلم يقيناً أنك لن تبلغ أملك، ولن تعدو أجلك، وأنك في

سبيل من كان قبلك، فاخفض في الطلب، واجمل في المكتسب، فانه ربّ طلب قد جرّ الى حرب، وليس كل طالب بناج، وكل مجمل بمحتاج، واكرم نفسك عن كل دنيّة، وان ساقتك الى رغبة فانك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً، ولا تكن عبد غيرك، وقد جعلك الله حرّاً، وما خير خير، لا ينال الا بشرّ، و يسر لا ينال الا بعسر)□

ان هذه الوصية موجهة لنا قبل اي شيء.. ونحن الذين ربما لم نتّعظ بوصايا الامام علي(ع) وتزهيده لنا في الدنيا.

انه يقول لنا، اذا كان ولابد لكم من الذهاب وراء الدنيا.. فليكن ذلك بلطف، لا لهثاً مستمراً وراءها اسع قليلاً، فاذا حصلت على شيء فاقتنع بما حصلت عليه، وقل الحمدلله، لانك قد تلهث وراء الدنيا و بدل ان تصل الى آمالك، تصل الى حرب! والناس الذين عملوا باعتدال للدنيا، ومتناسباً مع طاقاتهم، لم يبقوا فقراء، عمل عادي، حياة مريحة، وربما يحصل اكثر مما يحصل عليه اللاهث وراء الدنيا، والذي يتعب نفسه من اجلها.

يقول الامام علي(ع):

□**(وان ساقتك الى رغبة** (أي ساقتك نفسك الى رغبة)**فانك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً)□**

فيا أيها اللاهث وراء الدنيا! هل ستنفعك الاموال التي حصلت عليها بعد أن أفنيت جسمك، وتدهورت صحتك في جريك وراء الدنيا؟

لاتعطي جسمك وروحك وكل ما عندك في سبيل المال، وماذا ينفعك الثراء اذا كان جسمك ونفسك في عناء، لا تذوق للراحة طعماً، ولا تغمض بالسكينة جفناً.

ثم يقول كلمته المشهورة في الحرية:

□**(ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرّاً)**

محذراً ومذكراً بان الله خلقك حراً فلا تجعل طمعك يصيّرك عبداً! فخالقك لم

يجعلك عبداً لغيرك، ولكن طمعك هو الذي يجعلك كذلك.

□(وما خير خير لاينال الا بشرّ، ويسر لا ينال الا بعسر)

هذا جانب من منهج الاسلام في تربية الانسان باثارة عقله واقناعه بترك الدنيا، والتفرغ للحياة الآخرة. نسأل الله العلي القدير ان يجعلنا منهم.

الفصل الرابع:

- التربية الاجتماعية أرضية الثورة
- التسلح بالارادة الذاتية لتزكية النفس
- اثارة العقل وسيلة التربية
- مكونات الشخصية الرسالية
- اليقين سبيل الاستقامة
- الحكمة والاجتهاد في شخصية الرسالي
- الثورة الاسلامية وأزمة الحضارة البشرية

التربية الاجتماعية
أرضية الثورة

● مهما اختلفت الآراء حول العوامل الأساسية للثورات والظروف التي تصنعها او تساعد عليها، فان هناك حقيقة هامة لا يمكن انكارها، وهي: ان للتربية الفردية والاجتماعية، دوراً أساسياً في الثورات ذلك لأن «اصالة الانسان» هي محور الثورات لا «أصالة الحتميات».

الانسان هو الذي يقرر ان يصنع واقعه حسبما يرى، و يسعى من أجل ذلك فيصطدم بالعقبات، و يتصارع معها حتى ينتصر عليها، فيصبح «ثائراً»، ونسمي هذه العملية بـ «الثورة» أما اذا خارت عزيمة الانسان، واستسلم للحتميات والظروف المحيطة به، فانه ليس فقط لن يصنع ثورة وحسب، وانما سيصبح حجر عثرة امام أي تغيير أو تطوير.

وكما ان اصالة الانسان محور الأفكار الرسالية، فانها محور التربية، فلولا قدرة التوجيه على تغيير مسار الانسان، ولولا ان الانسان حرٌ في أن يتحدى واقعه الفاسد بقوة التوجيه لانعدمت فلسفة التربية أساساً.

ان هناك نوعين من التربية يؤثر أحدهما في الثورات تأثيراً حاسماً، بينما للثاني

تأثير مساعد:

(١) التربية الفردية.
(٢) التربية الاجتماعية.

• عن التربية الفردية

وهي البرامج التربوية التي تنصب اهتماماتها على تربية القيادات، الكوادر، حيث يقول مؤرخو الثورات: ان القيادات التي توجه الثورة، وبالذات شخصية القائد الأعلى، والمرشد العام للثورة، الذي يعطيها من روحه الوثابة، ومن عقله النيّر، ومن طاقته المتفجرة: الروحَ والنشاط والتخطيط والدفع السريع، ان لها دوراً اساسياً في انتصار الثورات، فالقائد الملهم أحد الشروط الأساسية الذي يجمع عليه كل مؤرخيّ الثورات تقريباً، حتى الذين يؤمنون بالحتميات الاقتصادية أو الاجتماعية، وما اشبه يشيرون الى دور القيادات الكبير بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

• عن التربية الاجتماعية

ان لكل مجتمع من المجتمعات روحاً تسوده، هذه الروح هي خلاصة تفاعلات التربية الفردية لكل فرد في المجتمع، مضافة الى مجموع افكارهم وأنماط سلوكهم وشخصياتهم، وانواع ردود افعالهم اتجاه الاحداث.

ويولي بعض المؤرخين وعلماء الاجتماع، لهذا الجانب أهمية كبيرة، ربما أكبر من حجمه، هناك من بحث وكتب حول روح الشعوب، فبين ــ مثلاً ــ ان الشعب الروسي شعب كسول منضبط وحاد المزاج، والشعب البريطاني شعب خامل الفكر، ولكنه منضبط ويتبع قياداته، وهكذا تراه يبين خصوصيات الشعب الهولندي، أو الصيني، أو العربي،خصوصية عامة تكاد تشمل كل الافراد.

ونحن وان كنا لانوافقهم مائة بالمئة، الا أن كتاباتهم تحتوي على نسبة محترمة من الصحة، اذ أن الروح الاجتماعية هي ــبالفعلــ نتاج الجهود والتصورات التربوية التي يراها كل أب لتنشئة أبنائه، وباجتماع الانماط التربوية المختلفة، تتشكل روح واحدة تطبع ذلك المجتمع بسمة تميّزه عن المجتمعات الأخرى.

والتربية الاجتماعية هي الأرضية التي تنبت فيها بذور الثورة، فان كانت صالحة لنبتات الثورة، نمت وترعرعت بقوة وسرعة حتى النصر، وان كانت غير صالحة لضعفها أو فسادها، لعدم ملائمة الظروف الاجتماعية والجغرافية المناسبة. فان الثورة ليس فقط لا تنمو، وانما تموت في هذا المجتمع، فمثلا يذكر علماء الاجتماع: أن المجتمعات النهرية لا تفكر في الثورة، وانما تتجه نحو الدعة والنظام، الاهتمام بالأستقرار، بينما المجتمعات الصحراوية التي تتجه نحو الصيد والرعي، أو تلك التي تعتمد على التجارة والصناعة، تراها تبادر الى الثورة كلما وجدت حاجة اليها.

• كيف تزرع بذور الثورة؟

الا ان السؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل أن الروح الاجتماعية، وبالتالي التربية هي من صنع الانسان نفسه؟ام هي نعمة إلهية؟ أو طبيعية ارضية حتمية، لاشأن للانسان فيها؟ هل هي ضمن حدود اختيار الانسان وحريته أم هي مفروضة عليه؟

يجيب على هذا السؤال علماء الدين والتربية والاجتماع والفلسفة: بأن التربية عمل اختياري للانسان! فالأب يستطيع أن يربّي ابنه حسب مايشاء، فاشلاً أم ناجحاً، أنانياً أم اجتماعياً، مستأثراً لنفسه أم مؤثراً عليها، شجاعاً أم جباناً، ونمط التربية يخضع بدوره لنمط الثقافة التي يؤمن بها الفرد.

ان التربية الاجتماعية اذن عامل أساسي من عوامل الثورة، وهي من صنع الانسان ذاته، فاذا أردنا أن تتفجر ثورة في مجتمع ما بعد ثلاثين عاماً مثلا فلا مندوحة

من أن نهتم بتربية الجيل الصاعد منذ اليوم كي نحصد ثمار التربية بعد الثلاثين عاماً، تماماً كما لو أردنا أن نأكل الجوز، فاننا لابد أن نزرع أشجارها قبل ثلاثين عاماً.

وهذا أمر طبيعي، اذا أردت للثورة أن تينع، فلابد أن تتعب عليها غرساً وتنميةً حتى تمتد جذورها في كل الأوساط الاجتماعية، وتمتد فروعها سامقة الى أعلى المستويات، ويخطىء الكثير من الثوار الذين يستعجلون النتائج و يريدون أن يزرعوا صباحاً، و يقطفوا مساءً، أجل بامكانك أن تبذر حبوب الفجل اليوم وتقطف أوراقه بعد ثلاثة أسابيع، ولكنك لن تحصل على بساتين النخيل أو الزيتون من هذه العملية اطلاقاً، واذا كنت تزرع الفسائل اليوم وتريد أن تأكل منها بعد شهر أو شهرين فأنت واهم.

لقد قام الامام زين العابدين(ع) بزرع بذور الثورة عبر التربية الرسالية منذ عام ٦١ للهجرة، وظل خمساً وثلاثين عاماً على هذا المنوال ثم جاء ابنه الامام الباقر(ع) ليواصل المسيرة، غرساً وتعهداً، ليفجر بعد ذلك زيد بن علي جزءاً من تلك الثورة، ثم ليستمر الامام الصادق(ع) في الغرس والتعهد، لأن أوان القطف لم يحن بعد، وكان مقدراً ان يقوم الامام الكاظم عليه السلام بعملية التفجير، ولكن لم يفعل، لأن رياح التغيير لم تجر بما اشتهت سفن الثورة.

القضية ليست بسيطة، لأنها قضية بناء ثورة. بامكانك ان تزرع قنبلة هنا فتنفجر في لحظات، أو تقوم باخراج مسيرة جماهيرية، تستطيع ان تفعل ذلك، ولكن تعمل بعمل سريع، وتأخذ نتائجه سريعاً، و ينتهي العمل وتتبخر النتائج.

وهنا سؤال آخر يطرح نفسه يقول: ما هي الأسس التربوية التي نستطيع بموجبها أن نحسب حساباً للثورة؟

● الأسس التربوية للثورة

ان هناك جانبين رئيسين للتربية الثورية هما:

● تربية الفـــــرد الثوري.

● تربية المجتمع الثوري.

ألفـ لو سعى كل أب الى تربية أبنه على الصفات الحسنة التي يأمر بها الاسلام، (والتي سوف نفصلها مستقبلا ان شاء الله) كالشجاعة والاقدام وحب الآخرين والاحسان اليهم، والايمان والاستعداد للدفاع عن الحق الى آخر نفس، والمبادرة، والوعي والذكاء، ومجموعة الصفات الفردية الأخرى، فانه سوف يُصبح عنصراً ثورياً ممتازاً.

باءـ ولكن الأفراد كأفراد لا يثورون، وانما يثور المجتمع حينما يتمتع الأفراد بروح جماعية، فلو تصورنا مجتمعاً فيه مليون شخص، يعيش كل شخص لنفسه و بطريقته الخاصة، لاحتاج ذلك المجتمع الى مليون سنة لتثويره، لأن كل فرد يعيش في حدود ذاته. هل سمعت قصة العصى؟.. حينما حانت وفاته استدعى الأب أبناءه العشرة وناولهم حزمة من القصب، وأمر كل منهم أن يكسروا الحزمة فحاول الواحد بعد الآخر كسرها فلم يستطع، فما كان منه الا أن فك رباطها ووزعها عليهم، لكل فرد قصبته، فكسر كل منهم قصبته بسهولة، ثم قال لهم: هذا مثلكم أنتم اذا اجتمعتم تحديتم الناس جميعاً، والاّ فان اضعف الناس سوف يتحداكم! وهكذا المجتمع الذي يعيش أحاديّاً، فانه لايقدر على الثورة.

انما الروح الجماعية أو الوحدة دعامة اساسية في الثورة، الا أن الوحدة، تخضع للنسب، فقد تبلغ نسبة الوحدة في مجتمع ١ ٪، بينما تبلغ النسبة في آخر ٥٠٪، في حين تبلغ في ثالث ٩٨٪، وهكذا دواليك، والوحدة لا تكفي لثورة المجتمع اذا كانت بنسبة دانية، وانما يجب أن تبلغ نسبتها مستوى عالياً يهيء الظروف للثورة.

اذن لابد ان نربي المجتمع على الوحدة بتنمية الصفات التي توفر التفاعل بين افراد المجتمع، كصفة الاخوة.. والاستشارة.. والنصيحة.. والتواصي بالحق.. والصبر.. والعطاء المتبادل.. والقدرة على تكوين التجمعات الحضارية.. و بالطبع فان تنمية

هذه الصفات ليست هيّنة، وانما هي بحاجة الى برامج تربوية تبدأ مع الانسان منذ الطفولة، بل منذ اللحظات الأولى لولادته!

ونحن بحاجة اليوم الى برمجة تربيتنا الاولادنا على أساس الوحدة، وعلى أساس عدم العزلة عن المجتمع، على أساس الحرية ضمن النظام، والمبادرة مع الانضباط، والتنفيذ وليس الجدل، وتفجير الطاقات، وليس والتبرير.

واذا أردنا لامتنا الاسلامية بعد ٣٠ عاماً أن تعيش بحرية وكرامة واستقلال، وتتحدى القوى المناهضة، فان ذلك لا يتم الا عبر برامج تربوية اجتماعية.

القوى الامبريالية، والقوى الصهيونية، يخططون لاستعمارنا ثم يبرمجون تربية أولادنا على أساس الخضوع لهم! أفلا يحق لنا أن نفكر جدّياً في تربية أولادنا على الثورة ضدّهم..؟!

● كيف تربي اسرائيل أبناء اليهود؟

فتلك اسرائيل ــ الغدة السرطانية والقوة التوسعية التي لا تعتمد سوى قدرتها العسكرية وتنشر خلاياها العميلة، وهيمنتها الاقتصادية والحربية، على كثير من المناطق، ومن ضمنها منطقة البترول ــ تربي ابنائها على الروح العسكرية منذ الصبا، ففي تقرير حول تربية الجندي الاسرائيلي يقول: ان وزارة الدفاع تأخذ الجنود أطفالاً منذ الأسبوع الثالث من ولادتهم لحساب الوزارة، لتنشئتهم على روح الحرب للدفاع عن المطامع الامبريالية العالمية باسم اليهودية والصهيونية والتوراة والدفاع عن الله!

فان كان عدونا يربي أطفاله منذ أسبوعهم الثالث من العمر للاعتداء علينا، وهدم البلاد الآمنة في فلسطين ولبنان ومصر والشام، افلا يجدر بنا أن نعمل مثله، وان نقوم بتربية أطفالنا من نفس العمر لأجل الدفاع عن النفس!

• تعاليم الاسلام في التربية

ان برامج القرآن ووصايا رسول الله(ص) وتعاليم اهل بيته الكرام من الائمة الهداة المهديين تهدف فيما تهدف هذا النوع من التربية.

ان حديثاً كحديث رسول الله(ص) الذي يقول:

■(انما بُعثت لأتمم مكارم الاخلاق)■

لا يتصل ببناء الشخصية الرسالية الثورية وحسب، وانما هو مفتاح التربية الاجتماعية ايضاً، فان المجتمع الذي تتركز فيه النفسية، كعقدة الحقارة، أو الضعة، أو عقدة أوديب وغيرها، لايستطيع أن يثور ضد اعداءه لتفككه وعدم استقراره، كما لا يستطيع أن يثور مجتمع،الأخ فيه لا يصدق مع أخيه ولا يخلص له، ومعظم الأحاديث تحذرنا من النتائج السلبية الواضحة لهذه السلوكيات الاجتماعية!

فقد ورد في الحديث مثلا..

■(اذا تحاسدتم ولي عليكم شراركم..«أو في رواية» غيركم..)■

فهل للحسد علاقة بتولية الآخرين؟ بلى: اذا كان أفراد المجتمع يتحاسدون، و يتنافسون تنافساً غير شريف، يأتي العدو فيأخذهم جميعاً (كما حدث بالفعل في بعض المجتمعات).

أجل ان الانسان الفرد لايمكن أن يعيش مستقلا موحداً لله غير مشرك به، ان كانت نفسه مركزاً للصفات الفاسدة، و بؤرة للخلقيات الرذيلة، فكيف بالمجتمع ان كان كذلك؟!

من هنا نستطيع أن نتبيّن قيمة وصية الامام علي(ع) لابنه الامام الحسن(ع) والتي يطرح فيها برنامجاً متكاملاً لتربية الفرد لابنائه، فقد بدأ الوصية بالحديث عن البرامج العلمية والتعليمية ثم بالتوجيه الى ذكر الموت، ثم ذكر عبر التاريخ باعطائنا

منظاراً تاريخياً، ننظر عبره الى الماضي والمستقبل، ثم تطرق بعد ذلك الى سلسلة من الوصايا الاجتماعية التي لو طبقها المسلمون، وأرجو أن نطبقها ــ لنزلت علينا بركات الله وانتصرنا على الاعداء انشاء الله. يقول الامام علي(ع):

□(ومن خير حظ امرءٍ قرين صالح)□

اليست هذه وصية ثورية؟ الامام(ع) يريد ان يتجمع الصالحون مع بعضهم، وليشكلوا بذلك الخلايا الاجتماعية الرسالية القادرة على التصدي للاوضاع الفاسدة. ثم يقول(ع):

■(فقارن اهل الخير تكن منهم، وباين أهل الشرّ تبن منهم، لا يغلبن عليك سوء الظن، فانه لايدع بينك وبين صديق صفحاً «اي اعراضاً»)□

لأن سوء الظن بين الأصدقاء يزرع بينهم حب الانتقام و يفصم حبل المودة و يفسخ الثقة من بينهم، و بعد ذلك يقول(ع):

■(بئس الطعام الحرام، وظلم الضعيف افحش الظلم، والفاحشة كاسمها، والتصبر على المكروه يعصم القلب)■

من الناس من لايمتلكون الصبر، ولكن عليهم ان يُنمو صفة الصبر في انفسهم بالتصبر واحتمال الاذى فمن احتمل صفة يكاد ان يصل اليها، و يقول الامام(ع):

□(واذا كان الرفق خُرقاً، كان الخرق رفقاً)□

نحن في بعض الاوقات، نحن نحتاج الى ان نثور ونتمرد ونخترق القوانين، كما نحتاج في أوقات اخرى ان نكون هادئين ونتحمل الصعاب، فعملية الخرق أو الرفق، انما هي خاضعة لتخطيط الانسان، لعقله ووعيه و بصيرته وليست لارتجالياته، «ربما كان الداء دواء، وربما نصح غير الناصح وغش المستنصح» فعلى الانسان ان لايسترسل في الحياة، فربما الناصح ينصح، وربما الناصح يغش، وربما غير الناصح ينصح، اذن علينا ان نفكر دائماً، وان لاننسترسل ونشغل عقولنا.

□(وإياك والاتكال على المنى فانها بضائع النوكى)□

فالأحمق هو الذي يمنّي نفسه، أما العاقل فانه يعتمد السعي والحركة، كي لاتقعده أمانيه بالتماطل عن الوصول الى أهدافه الدنيوية والأخروية

□(وزكِ قلبك بالأدب كما يُذكى النار بالحطب، ولا تكن كحاطب الليل وغثاء السيل)□

ان الادب يزيد القلب نزاهة واشتعالاً بحب الحياة والخير، كما يزيد الحطب النار التهاباً واشتعالاً، فحسن الأدب هو الذي يمحو من القلب العقد، وأوساخ الشهوات والأطماع، ليوجهه نحو العطاء والبذل والشعور بالراحة واللذة خلال التعامل بالحسنى، بعكس الأناني الحقود الذي لا يستشعر سوى الضجر الدائم كالجسد القذر مثقل بالأمراض والتعب.. وهنا على المؤمن أن ينتقي من الآداب ما نفع، فما كل مكتوب بنافع. فقد يجمع الحطب في الليل فنجد انه كان مجموعة اشواك في النهار أو كغثاء السيل الذي يصورلنا السيل شيء كثير وعندما نضع يدنا نجده لا شيء. ثم يوجه الامام النصيحة حول الاستقامة في السيرة قائلا:

□(وكفر النعمة لؤم، وصحبة الجاهل شؤم، والعقل حفظ التجارب، وخير ما جربت ماوعظك، ومن الكرم لين الشيم)□

فمن حق المنعم أن يُشكر لا أن يجحد .. اذ أن من الناس من يقول لمن ينعم عليه بشيء انك لم تصنع لي شيئاً انما نفذت الواجب عليك!! وهذا غير صحيح لأنه لؤم!
ان الكرم ليس بالمال فحسب، والذي لا يملك المال قد يملك الأخلاق الفاضلة، والعفو والبشاشة، ثم يقول(ع):

□(وبادر الفرصة قبل أن تكون غصة)□

وهذا أقوى سلاح يمتلكه الثوري اذا امتلك عنصر المبادرة وترك عدوه في دوامة من ردود الفعل، والبعض يترك الفرصة تمر دون اغتنامها، وفوتها غصة، اذ لاتعود اليك.
و يؤكد الامام الفكرة ذاتها بتعبير آخر قائلاً:

□(ومن الحزم العزم، ومن سبب الحرمان التواني)□

بعد ذلك يلفت الامام النظر، الى مسألة هامة قد يتعرض الكثير منا لها،الا وهي التفريط في الزاد، زاد المسيرة حيث لا ننتبه للمأساة الا حين نمد الأ يدي الى اللئام، يقول الامام(ع):

□(ومن الفساد اضاعة الزاد ــثم يقول ــولا تبيّتن من أمر على عذر)■«اي لا تأت عملا تعتذر منه»!

■(ومن حلم ساد، ومن تفهم ازداد، ولقاء أهل الخير عمارة القلب، ساهل الدهر ما ذلّ لك قعوده، واياك أن تطيح بك مطية اللجاج، وان قارفت سيئة فعجل بمحوها بالتوبة، ولا تخن من ائتمنك وان خانك، ولا تذع سرّه وان أذاع سرّك، ولا تخاطر بشيءٌ رجاء أكثر منه، وأطلب فانه يأتيك ما قسم لك، والتاجر مخاطر، وخذ بالفضل، وأحسن البذل وقل للناس حسناً)□

كل هذه الصفات من شأنها أن تخلق الانسان الثوري، ان الانسان المنضبط يكتم غيظه، فيحبب اليه الناس فيسود بحلمه، مع ما يمتلك من ميزات قيادية أخرى، و يزداد قرباً لأصحابه بالتفهم والتقاء أهل الخير، وهو لانضباطه لا يذيع سرّاً ولا يخون من ائتمنه، ولا يترك ما بيده طعماً في أكثر، شهوراً. ولا يقعد عن السعي طلباً لما قسم الله له، ودأبه قول الحسن لمستمعيه.

والمجتمع الذي يتربّى على هذه الأسس التربوية، هو مجتمع يصلح للثورة.

و يتابع الامام تربية نجله الامام الحسن عليه السلام بالقول:

■(وأن تحب للناس ماتحب لنفسك وتكركه ماتكره لها، انك قلما تسلم ممن تسرعت اليه)■

أي لا تتسرع في صداقاتك ومعارفك فاذا أردت أن تتعامل مع الناس فاختبر من تريد صداقته، فاذا اختبرته تعامل معه كي لا تندم فيما بعد.

□(واعلم ان من الكرم الوفاء بالذمم، والصدود آية المقت، وكثرة العلل آية البخل ولبعض

امساكك على أخيك مع لطف، خير من بذل مع جنف(الجور) والتجهم وجه القطيعة)□

أجل ان الامساك مع البشاشة خير من العطاء الذي يستهدف التسلط والظلم، كما أن الصداقة لاتكون بالثرثرة، وانما باسداء الجميل وحسن العشرة والألفة..

□(واحمل نفسك من أخيك عند صرمة إياك على الصلة، وعند صدوره على لطف المسألة، وعند جموده على البذل، وعند تباعده على الدنو، وعند شدّته على اللين، وعند تجرمه على الاعذار، حتى كأنك له عبدٌ)□

وهذه صفات الرسالي ان لايواجه اخطاء اخوته بالمثل، لايحاول ان يتصيد اخطاء اخوته و يسجلها عليهم و يشهر بهم، عليه ان يعذر لهم.. يتلطف لهم.. يصلهم.. كأنه لهم عبداً.. احسب نفسك عبداً لصديقك. وهذه النصيحة هي للجانبين، فانت تحسب نفسك عبداً له، وهو يحسب نفسه عبداً لك، لكي يعيش التجمع حياة الفة ومحبة.

و يذكر الامام بأي نوع من الأخوان يمكن التعامل معه بهذه الطريقة اذ يقول:

□(واياك أن تضع ذلك في غير موضعه، أو تفعله في غير أهله)□

فليس كل صديق جدير بتلك المعاملة فقد تصادف شيطاناً فهل تؤاخيه؟ لنبحث بجد عن صديق ونكتشفه ونتعامل معه بالاحسان والايثار، ولا ننتظر منه ان يكون هو كذلك قبل ان نبدأه بالخير. كقصة ذلك الطفل حيث اعطته امه تفاحة وأمرته بأن يقسمها بينه و بين اخته، تقسيم إبن فاضل حسن الأدب فسألها: ماهي صفة الابن الفاضل الحسن الأدب؟ فقالت: هو الذي يُعطي لأخته القسم الأكبر من التفاحة اذا قسمها بينه و بينها، فما كان من الا بن الا أن اعطى التفاحة لأخته وقال لها: اقسميها قسمة البنت الفاضلة الحسنة الأدب! فهناك من الناس من يريد ان يعطي لصديقه التفاحة ليكون صديقه الحسن الأدب وليس هو.

فهل الصديق أولى بالخير منه؟ لماذا ينتظر الآخرين أن يحسنوا اليه، فالامام يخاطبنا في مناسبة أخرى قائلا:

□(ولا تقل أن غيري أولى بالخير مني)□

ثم يقول في الوصية في صدد اختيار الصديق..

■(ولا تتخذن عدوّك صديقاً فتعادي صديقك)■

وهذا كلام موجه الى من يوزع صداقاته هنا وهناك وعلى صعيد واحد، فيجمع بين الشتات، وقد يكون صديقاً لأطراف متعادين، وكيف يتسنى له ذلك، إلا ان يكون بالنفاق.

□(ولا تعمل بالخديعة فانه خلق اللئيم، وامحض أخاك النصيحة)□

وأما بالنسبة للأخ فلابدّ من محضه النصيحة سواء قبل أم لم يقبل! سواء رضي أم سخط، وافق أن يبقى صديقاً لك أم لم يوافق. ان الصديق هو من أهدى الي عيوبي وأبكاني مَن أجل أن أسعد، لا من يضحكني فأشقى! هكذا تمحض النصيحة..

□(وساعده على كل حال وزِلّ معه حيث زال، ولا تطلبن مجازات أخيك وان حث التراب بفيك، وجد على عدوّك بالفضل فانه أحرى بالظفر، وتسلم من الدنيا بحسن الخلق، وتجرع الغيظ، فاني لم أر جرعة أحلى منها عاقبة ولا ألدّ منها مغبة، لا تصرم أخاك على ارتياب، ولا تقطعه دون استعتاب، ولن لمن غالظك، فانه يوشك ان يلين)■

وهكذا يستمر الامام في النصح والارشاد بما يحفظ للانسان اخوته وأصدقائه، فانهم حتى ولو بدا منهم شيء، فلا يجب أن يحمل على السوء، فان الصديق لا يُفرط فيه بمجرد الخطأ، ولا يسقط من العين لاي عيب، فلا يجوز أن تترك صديقك دون أن تستعتبه وتصارحه، بما فيه من الاخطاء، لأن من الجائز أن تكون أنت المخطيء،

ولدى المصارحة تنكشف الأمور، وتصفو القلوب، فتعود المياه الى مجاريها، أما اذا كان معك غليظاً، فعامله بلطف ولين، مهما كان شديداً فانه —بدوره— يلين معك تدريجياً!

وهكذا يستمر السياق في بثّ النصائح الهامة لوضع البرامج التربوية الاجتماعية التي تدفع الى تلاحم المجتمع ليتحول المجتمع المفكك الأحادي الى مجتمع متماسك مركز متلاحم متفاعل كالكتل الصخرية القوية التي تتحدى الأمواج العاتية.

نسأل الله سبحانه أن يوفق أمتنا الاسلامية لهذه التربية الاجتماعية الالهية لتكون تمهيداً للثورة الحقيقية التي تتبع الرسالة الالهية.

التسلح بالارادة الذاتية
لتزكية النفس

● لـنجاح أية حركة اجتماعية لابد أن تجتمع فيها وتلتف حولها عناصر ناجحة في الحيـاة لأن الحـركـة أو التنظيم، لا يمكن ان تحقق النجاح من مجموعة اناس فاشلين، لأنها ليست سوى اطار تنعكس عليها صبغة الافراد المنتمين اليها.

● متطلبات الانتماء

مـن هـنا فان على كل فرد رسالي، وكل من يريد الانتصار لقضية، أن يكون همّه الاول،ان يكون ناجحاً في الحياة، وفي كافة الحقول، لكي ينعكس هذا النجاح بصورة آلـية على وضع حركته. الفرد الفاشل في العلاقات العامة،والذي لايستطيع ان يكسب الأصدقاء، أو يقنع الآخرين بأفكاره، ولا يملك مفاتيح الاسرار أو مداخل القلوب، ولا يـدري كـيف يدخل البيوت من أبوابها، سينعكس فشله ــ في علاقاته العامة، شاء أم أبى ــ على حركته التي ينتمي اليها.

لـو كـان المـنـتـمـي للحـركـة دائـم المرض، ضعيف البنية، خائر القوى، خامل الاعـضـاء، مـتـوتر الأعصاب، فلا شك في فشله لأنه لن يتحمل عبء الحياة العارية،

فكيف يحمل هم الأمة الذي يثقل الكاهل؟ لابد للحركي من ظهر قوي يتناسب وحمله الثقيل، فماذا ينفع المريض؟ وكيف يتسنّى له تجسيد أهداف الحركة..؟

وهكذا الفرد الذي يفشل في علاقاته الأسرية، ولا يستطيع حلّ مشاكله العائلية مع زوجته، أو أبنائه، أو اخوته، انه سيصبح كلاً على التجمع الذي يؤمن به، و ينتمي اليه، لان أقرباءه وذو يه سيشكون يومياً من تصرفاته وممارساته. وحين يرى الناس في هذا الفرد، وجها من وجوه التجمع، فانهم يحسبون ان كل ابناء التجمع هم على شاكلته، فييئسون منه، و يفقدون ثقتهم فيه، إنهم لا يؤيدون التجمع بسبب نظرتهم لهذا الانسان.

كذلك الفرد الذي لا يستطيع أن يوفق بين وظيفتين أو اكثر، يصبح انتماؤه مشكلة، لأنه لا يجيد الا عملاً واحداً، فاما موظف جيد، أو عامل رسالي جيد، ولو جمع بين الاثنين فانه يفشل، وسوف ينعكس فشله على الخط الذي ينتمي اليه. لأن الرسالي لابد ان يمتلك ابعاداً شتى، كي ينجح، فحتى الفرد العادي لا يمكن أن يكون ذا بعد واحد، لأن للحياة أبعاداً مختلفة، فيكف بالرسالي.

اذن سلوك الانسان الفردي، وقدراته الارادية، حياته كانسان، وكفاءاته التي يمتلكها، كل ذلك ليس بعيداً عن الحركة التي ينتمي اليها، أو التيار الذي يؤمن به. ومتى يكون سلوك الانسان سلوكاً طيباً؟ يكون ذلك اذا كانت لديه صفات معينة ـ جذور هذه الصفات سوف نتحدث عنها فيما بعد ـ اما مظاهر هذه الصفات فهي ما تتحدث عنه الكتب الحياتية عادة، وعلينا أن نعرفها: كيف تعيش؟ كيف تأكل؟ كيف تحافظ على صحتك؟ كيف تتعامل مع نفسك.

● الخير في استمرار العمل

فقد ترى البعض يجتهدون في بداية العمل الى ان تنهار اجسامهم، فلا تبقى لهم

بـقـيـة مـن قـوة لـلاسـتمرار، و يكون مثلهم، كالذي قال عنه الرسول الاعظم(ص):

■(المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى)■

والـمـنـبـت هـو الشخص الذي يجد في السير دون التوقف للراحة في مكان، فهذا لا يـبـقـي لـنـفـسـه راحـة لـكي يواصل المسير، ولا يعطي الفرصة لراحة فرسه، فينهار ولا يستطيع ان يصل الى أهدافه، فلا قطع المسافة الى الهدف، ولا أبقى على فرسه.

والامـام امـيـرالمؤمنين(ع) حينما رأى نجله الامام الحسن(ع) يجدّ في الطاعة قال له:

□(أي بنّي ان هـذا الدين متين فأوغل فيه برفق)□..الله الذي، أمرك بالأكل كذلك [وكلوا واشربوا ولا تسرفوا] ومن أمرك بقيام الليل أوصاك بالراحة ايضاً، وكما أوجب عليك الاهتمام بالشئون الاجتماعية، أمرك بالواجبات الصحية أيضاً..

ونـحـن حين نـتـدبر في فلسفة الكثير من المحرمات في الاسلام، نجد أن السبب في حـرمـتـهـا صـحّـي، كـشـرب الخـمـر، الـذي يتلف الكبد و يهريء الجهاز الهضمي، والـعـصـبـي، وسـائـر أجهزة الجسم، ولعب القمار الذي يمزق الاعصاب، والنجاسات والخبائث يجب الاجتناب منها، لانها تحمل الميكروبات التي تؤذي الجسم، و بالتالي فـان الـتعاليم الاسلامية بما تتضمن من قوائم تفصيلية في المباح، والمحرم، والمستحب، والمكـروه، انمـا تتوخى منح المسلم الرسالي ـالى جانب الروح الايمانيةـ جسماً يتحمل عـبء الـمـسـئـولـيـة في الـعـمـل الاسـلامي، الذي يحتاج الى رجال أقوياء يضعون الغد الأفـضـل، جـسـمـاً يـتحمل عناء العمل لمدة ستة عشر ساعة متواصلة، جسماً قادراً على مـقـاومـة المرض والجـهـد، وربمـا الـتعذيب. اذن من الناحية الصحية على الانسان ان يحـافـظ على صـحته وعلى قوة جسده، ان الصحة ليست الراحة، أو الكسل، وانما تعني ان تـديـر نفسك، اذا جلست على الطعام، فتناول بما ينفع الجسم و يقوي الجسد لطاعة الله، وأداء الواجبات الرسالية، لا للذة، ولا للامتلاء وادخال الطعام على الطعام، فان ذلـك مـفـسـدة للجسم، و يورث الغباء، والبرص، والكسل، كما في الاحاديث. وقد

قال عليه الصلاة والسلام:

■(نحن قوم لانأكل حتى نجوع واذا أكلنا لم نشبع)■

أي لم نمتلىء، وقد روى أحد الاخوة قصة حصلت معه شخصياً قال: كنا مدعوّين الى طعام في بيت أحد المعارف وجاءوا بنوع معيّن من الأكلات الدسمة ضمن المائدة، فقال أحد الجالسين لصاحب له جالس الى جانبه: ان هذا الأكل يضرك فلا تقربه! فردّ عليه قائلا: ان رأسي فداء بطني! فأكل الرجل من تلك الأكلة، وفي الليلة ذاتها دعينا لتشييع جثمان ذلك الرجل! فقد أكل واشتدّ عليه المرض فمات.

و يروى أن الحجاج (الارهابي المعروف) كان يمد السماط، وعليه أنواع الأكل و يدعو الناس لمشاركته المائدة خداعاً للناس، كما يفعل اليوم حكام الأنظمة وسفرائهم في بعض البلدان.. وكان في مائدة الحجاج نوع من الحلوى اللذيذة، فاشرأبت اعناق الجالسين اليه، فقال الحجاج: من اقترب الى هذه الحلوى، يقطع رأسه، فتوقف الجميع، بعد لحظات صمت، تقدم أعرابي الى الحلوى وتوجه الى الحجاج قائلا: اوصيك بأهلي خيراً!! وهجم على الحلوى يأكل بشره.

كلاّ: الرسالي يهيمن على شهوة الطعام في نفسه. الافراط أو التفريط في الأمور مكروه، و«خير الامور أوسطها» فلا اسراف ولا تقتير، ولكن اقتصاد وتدبير.

وكما في الاكل خذ مثلا آخر من الرياضة.. فان الاكثار منها مهلكة للجسد ومصرفة للجهد والوقت، ولكن قليل منها مما يتناسب مع حاجة الجسم، ضرورة يحبذها الاسلام، وقد حث الرسول الأكرم(ص) على الرياضة حينما قال:

■(علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل)■

وعبادياً،لو قام المؤمن بالصلاة الواجبة والمستحبات جميعاً كل يوم احدى وخمسين

.ركعة لما احتاج الى مزيد من التدريبات الجسدية، كما يحث الاسلام على العمل في البيت ومساعدة الأهل وجعل في ذلك التحرك صدقة و بركة. ان البعض حينما يذهب الى بيته يجلس كالامبراطور، ولا يعمل شيئاً من امور البيت.

فلماذا؟ ان تلك الحركة نوع من الرياضة ايضاً، خصوصاً، العاملين في الحقل الثقافي بحاجة الى حركة جسمية.

ومن المسلم به أن الجسم يفقد حيويته بالتدريج ولا يستعيدها الا بالرياضة! وقد لا يحتاج الجسم الى الرياضة في فترة الشباب، ولكن سرعان ما تظهر الشيخوخة والعجز على هذا الجسم حينما يتعدى الأربعين، وبالرياضة المعتدلة يستمر الجسم سليماً، والانسان بحاجة الى العافية الجسدية والقوة في كبره اكثر من ايام شبابه، بل اننا نريد أن نبلغ المائة عام، ونحن في ساحة العمل الاسلامي، فكيف يتسنى ذلك لنا ان لم نعمل لها؟ أولسنا نكرر الدعاء..

•(اللهم اطل عمري في طاعتك)

أجل اطالة العمر نريدها في خدمة الاسلام وفي ساحات المواجهة لا على سرير المرض!

أما الذين لتستهويهم الرياضة حتى تستقطب كل اهتماماتهم، وتستهلك جميع طاقاتهم فانهم يضيعون على انفسهم الوقت، ومجال الخدمة في سبيل الله، وهذا خطأ فادح. ان الاقتصاد وحسن التصرف و برمجة الاوقات هو المطلوب دائماً.

• إقهر القلق وابدأ العمل

هنالك من يعاني من القلق، ولا شك ان القلق يورث الأمراض، كما يورث الكسل والضجر في الحياة الى الدرجة التي يلفت الاسلام النظر الى ذلك و يأمر بالدعاء المأثور:

●(اللهم انّي أعوذ بك من الهم والكسل والحزن والضجر والجبن والفقر والفاقة)

ليستعين المؤمن بربه في القضاء على مشكلة القلق. فالقلق داء يحرم على الانسان طعم النوم المبكر، و يقضي معظم الليل أرقاً مضطرباً، وحين يغشاه النعاس في وقت متأخر من الليل لا يستطيع النهوض مبكراً فيفوته موعد العمل صباحاً، هذا ان لم تفته صلاة الفجر كذلك! ولا شك أن على المؤمن الرسالي أن يكون قدوة لغيره، فعليه أن يكون مبادراً الى العمل وقد قال عليه الصلاة والسلام:

■(بورك لأمتي في سبتها و بكورها)■

وكثيراً ما تفوت الفرص بسبب النوم الى الضحى كما يشير الامام الصادق(ع) لهذا الأمر بقوله:

□(ما أنقض النوم لعزائم اليوم)□

وحين يذكر ــ في رواية أخرى ــ عوامل المعصية، يجعل أولها النوم!!

وفي عملية حسابية بسيطة لو حسبت كم الفرق من السنين فيمن يعيش سبعين سنة، بين من ينام ثمان ساعات كل يوم، وآخر ينام ست ساعات كل يوم، لوجدت بكم سنة يكبر الثاني صاحبه اذ يفرق عنه خمس سنوات وثمانية أشهر وعشرة أيام قضاها الأول في السبات أكثر من الثاني ــ أي نقص من عمره هذا المقدار.

ان النوم عادة، والجسم يعتاد على ما عوّد عليه، وسامح الله آباءنا وأمهاتنا حيث كانوا يأمروننا بالنوم كلما اشتدت أذيتنا عليهم «ليرتاحوا من اذانا»! حتى تعودنا طول النوم، ومن شبّ على شيء شاب عليه، فلابد أن نتغلب على العادة ونقلل من نومنا.

ولكن من جهة أخرى فان من الخطأ الفادح أن يرهق الانسان نفسه و يبقى جسده في حاجة دائمة للنوم مما يتسبب في مشاكل صحية ونفسية، دعنا اذاً نقهر القلق

ونعود انفسنا على القدر المطلوب من النوم.

لقد جاء في الحديث:

■(ما ضعف جسد عمّا قويت عليه الهمّة)■

وهذا يعني ان الجسد لن يضعف طالما ان النفسية مستعدة والهمة قوية! بعض الناس يعتذرون حينما تعرض عليهم أعمال رسالية، أو يكلفون بمهمّه ما، فهي صعبة على نفوسهم قبل أن تكون ثقيلة على اجسادهم.

وخلاصة القول لابد أن ندّبر حياتنا بافضل ما يكون. والكتب التي تبحث في ادارة الانسان لنفسه صحيّاً واجتماعياً وعائلياً واقتصادياً ونفسيّاً ثمينة للغاية لأنها تضيف لقوة ووعي الرسالي، قوة ووعياً اضافياً، وتفتح أمامه سبلاً جديدة لتضاف بالتالي فرصاً أخرى في حساب العمل الاسلامي، لأن نجاح الاعمال، يتوقف على نجاح الانسان الرسالي في حياته الخاصة، هذه الحقيقة التي مافتأ الأئمة الأطهار عليهم السلام يركزون عليها و يبلورونها اكثر بالبرامج التربوية التي يوجهونها عبر نصائح خالدة. ومنها وصية الامام علي(عليه السلام) لولده الامام الحسن المجتبى(ع).

● كيف ينبغي ان يدير الانسان نفسه؟

ففي القسم الباقي من الحديث يركز الامام علي(ع) على جوانب من الأمور السابقة، وهي في الواقع برنامج متكامل للادارة الذاتية ــ حبذا لو طبقناها تطبيقاً حرفيّاً ــ كما كان يفعل أصحاب رسول الله(ص) حيث كانوا اذا سمعوا كلاماً من رسول الله(ص) انتشروا، فيقال لهم الى أين؟ فيجيبوا: لكي نطبق الكلام! فقد كانوا يستمعون الكلام، للعمل لا لمجرد زيادة العلم أو التسلية أو قضاء الوقت، وما أحرانا بالاقتداء بهم في هذا!

يشيرالامام لبعض اسباب الفشل في الحياة فيحذر منها قائلا، ضمن وصيته لنجله المجتبى عليهما السلام:

□(واعلم أي بني: أن الدهر ذو حروف، فلا تكونن ممن تشتد لائمته، ويقل عند الناس عذره وما أقبح الخضوع عند الحاجة، والجفاء عند الغنى)□

فهو يحذره من فعل السيئات كي لا يحتاج الى الاعتذار منها، ثم يذكر النفس التي تخضعها الحاجة، أما عند الاستغناء فهي جافية لئيمة، فعندما يصبح مديراً لا يعرف احداً من اصدقائه بالامس.

ان قيمة الانسان انما تكبر اذا ما كبر هو فوق الشهوات والثروة والجاه والمنصب وكل الماديّات فيقول بهذا الصدد:

□(انما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك، فانفق في حق ولا تكن خازناً لغيرك وان كنت جازعاً على ما تفلت من يديك فاجزع على كل ما لم يصل اليك)□

أي على الانسان أن لا يفكر في الشيء الذي يذهب من يده فانه ليس من نصيبه فلا يطيل في أفكاره ولا يقلق بالتالي ويجزع لأن القلق والجزع يهدمان الحياة.

نحن لماذا نجزع على مائة دينار مثلا ضاعت منا قبل فترة، ولا نستطيع ان ننساها، لنجزع اذن على ملايين الدنانير التي لم نحصل عليها اساساً لانها ليست في ايدينا استعمارها ، فالقضية واحدة.

كانت الهند قبل الاستعمار مقاطعات عديدة وكل مقاطعة تخضع لحاكم مستقل عن الآخر، ولما جاء الاستعمار البريطاني أنهى أولئك الحكام وقام بتصفيتهم بشتى الطرق والحيل. وكان في مقاطعة من تلك المقاطعات أخوان، يحكمانها فتعرضا للطرد من قبل الاستعمار، فكان أحدهما يبكي، بينما الآخر كان يضحك، فما كان من البكّاء، الا ان ابتلي ــ بعد فترة ــ بالجنون ثم ما لبث ان مات، بينما الضاحك صمم

على العيش من جديد، فبدأ حياته ثانية، وابتداءً من الصفر فصار يزاول التجارة ثم تحول الى مؤرخ ثم انتقل الى باكستان وعاش فيها،رشّح نفسه فيها لرئاسة الجمهورية لكنه لم ينجح، الا أنه بقي شخصية محترمة الى أن مات! فانظر كم كان الفرق كبيراً بين الأخوين!!

ثم يقول الامام:

□(واستدلل على ما لم يكن بما كان، فان الأمور أشباه، ولا تكفرن ذا نعمة فان كفر النعمة من ألأم الكفر، واقبل العذر ولا تكونن ممن لا ينتفع من العضة الا بما لزمه فان العاقل ينتفع بالأدب، والبهائم لا تتعظ الا بالضرب، اعرف الحق لمن عرفه لك رفيعاً كان أو وضيعاً)□

ثم يقول(ع) تأكيداً على دفع القلق..

□(واطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين)□

ان الانسان الذي يهتم،دائماً الحزن والقلق والتوتر حتى لو خلت حياته من أي اثارة أو صعوبة، بينما الانسان الذي يقاوم الهم،فان أكبر الهموم لا يغير حياته، والامام هنا يعطي (للمهموم) القلِق علاجين:

- **الأول:** عزائم الصبر.
- **الثاني:** حسن اليقين.

والاول: كما سبق يأتي بالايحاء النفسي، بان القادم اكثر من الذي ذهب، وتعلم الصبر أي تتحمله حتى يصبح سليقة وعادة. والثاني: أن تؤمن أن ما من شيء يحدث في الحياة الا كان وراءه حكمة وهدف. ثم يسترسل الامام ليعطي حكمة قصيرة جامعة مركزة فيقول:

□(من ترك القصد جار، ونعم حظ المرء القناعة، ومن شر ما صحب المرء الحسد، وفي القنوط

التفريط (لأن الذي ييأس يقوم بأعمال متهورة أويتقاعس عن العمل) والشح يجلب الملامة، والصاحب مناسب ـ أي صديقك قريبك نسبيّاً ـ والصديق من صدق غيبه والهوى شريك العمى، ومن التوفيق الوقوف عند الحيرة، ونعم طارد الهم اليقين ـ أي من أيقن بالقضاء والقدر أبعد الهم عن نفسه ـ وعاقبة الكذب الذمّ، وفي الصدق السلامة، وعاقبة الكذب شر عاقبة، رب بعيد أقرب من قريب، وقريب أبعد من بعيد)□

أي لا تظن ان حوادث الزمن كبعضها، فقد تكون الأمور البعيدة في نظرك بعيدة في الواقع، كما أن الأمور القريبة في نظرك، قد تكون قريبة في واقعها ـ هذه النقطة سوف نتعرض لها بالتفصيل فيما بعد ان شاء الله ـ ثم يقول(ع):

□(والغريب من لم يكن له حبيب)□

فمن يملك حبيباً، لا غربة له أنى كان هذا الانسان!

□(ولا يعدمك من حبيب سوء ظن)□

أي مهما كان حبيبك قريباً، فان فيه بالنسبة لك جزء من سوء ظن ولو بمقدار ذرّة.

□(ومن حمى طنى)□

أي من التزم بالحمية فانه سيتجنب الوقوع في المهالك.

□(ومن تعدى الحق ضاق مذهبه)□

فالحق أفسح للانسان من الباطل، ولقد يتصور الانسان العكس الا أن الواقع هو هذا فان كان الكذب منجياً فالصدق أنجى، وانجى، ولو أن امرءً مثلا أراد أن يتسلق جبلاً، و يوجد طريق واحد ضيق للوصول الى القمة ولكنه يتخذ طريقاً آخر يراه اوسع وأسهل، إلا أنه يسقط بعد لحظات من شاهق، لانه انتخب الطريق الوعر الذي حسبه

سهلاًل. فهذا ضاق مذهبه، بل ضاق عندما تحدى الحق.

□(ومن اقتصر على قدره كان أبقى له)□

يحكى أن مجنوناً في مستشفى الأمراض العقلية بالعراق أيام الملكية، كان لا يشكو شيئاً، ومن يراه يظنه عاقلاً، الا ان السبب وراء بقائه في المستشفى أنه ما كان يرضى بمجرد اسمه، وانما كان يطلب من كل من يحدثه و يناديه باسمه أن يضفي عليه لقب ــصاحب الجلالةــ فهذا ما كان يرضى بواقعه! وكم من الناس كصاحب الجلالة هذا، لا يرضى بواقعه، فهو دكتور مثلا، يقول: انا برفسور، هو خريج ثانوية يقول: انه خريج جامعة، وهكذا..

نعم الخلق، التكرم ــاذا لم تكن كريماً أجبر نفسك على الكرمــ ألأم اللؤم، البغي عند القدرة، والحياء سبب الى كل جميل، وأوثق العرى التقوى، وأوثق سبب اخذت به، سبب بينك وبين الله ــ هذه الحبال الارضية لا تنفعك، وحده حبل الله الذي علينا ان نتمسك به ينفعناــ ومنك من أعتبك ــاي ان الذي يعاتبك و يريد رضاك فانه انسان يمن عليك فاسمع كلامهــ والافراض في الملامة تشب نيران اللجاج.. وهذا يعني أنك لو اسرفت في لوم من هو دونك من المرؤسين أو العيال أو الخدم أو حتى الاصدقاء أو كثرت عليهم الأوامر بين لحظة وأخرى لكان هذا الالحاح سبباً في نفورهم وازعاجهم ثم غضبهم، و بالتالي يبدأون المشاكسة والمراددة واللجاج، فالافراط في اللوم والأوامر خطأ يؤدي الى تفرق الناس من حول الانسان.

□(وكم من دنف نجى، وصحيح قد هوى ــإذ أن الاقدار بيد الله وليس بايديناــ فقد يكون اليأس ادراكاً اذا كان الطمع هلاكاً، وليس كل عورة تظهر، ولا كل فريضة تصاب، ــفلربما في بعض الأوقات يكون أجدى للانسان لو تسلح باليأس لان اليأس احدى الراحتين والمزيد من الطمع يورث الهلاكــ وربما اخطأ البصير وأصاب الأعمى رشده، ليس كل من طلب وجد، ولا كل من توقى نجا، وأخر الشر فانك اذا شئت تعجلته)□

كان أحد الحكماء يقول: «اذا أردت أن تثبت للناس بأنك عاقل فقد تحتاج الى

أربعين سنة من العمل الدائب الفعّال والحكيم، أما اذا اردت أن تبرهن لهم أنك مجنون فانك لا تحتاج لاكثر من لحظتين لاثبات ذلك!!

الامام علي(ع) يقول هنا: بان على المرء أن يبعد الشرّعن نفسه ولا ينو يه لحظة، بل يتعجل الخير، لأنه قد يفوت!

□(واحسن ان أحببت أن يُحسن اليك، واحتمل أخاك على مافيه ولا تكثر العتاب فانه يورث الضغينة، ويجر الى البغضة، واستعتب من رجوت اعتابه،قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل)□

أي الجاهل اقطعه، والعاقل صله، ولا تقل هذا صديقي ولا استطيع ان اتركه رغم انه جاهل..

□(ومن الكرم منع الحزم، من كابر الزمان عطب، ومن ينقم عليه غضب، ما أقرب النقمة من أهل البغي، وأخلق بمن غدر أن لا يوفي له)□

لا تصارع الزمان اذا سار نحو وجهة معينة لتقول يجب ان يصير هكذا مثلا، فانك تهلك.

والى هنا نكتفي بهذا القدر من وصية الامام علي(ع) لنستعرض فيما بعد جوانب أخرى من اهتمام الاسلام بالانسان وتربيته له عبر تطهيره من الرذائل والموبقات وأوساخ الدنيا وتوجيهه نحو القيم والمثل العليا واثارة عقله ليعرج في رحلة تكاملية الى الله سبحانه وتعالى.

وخلاصة القول أن كل انسان مسئول عن نفسه لكي يكون ناجحاً في الحياة من جميع الجوانب وكل الابعاد، وعليه تحقيق الوظائف والاهداف التي جعلها الاسلام له سواء باتباع الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة، والروايات التي أثرت عن أئمة الهدى من أهل البيت(ع)، أو الاستعانة على ذلك بالكتابات الحديثة التي تبحث في

-هذا المجال فان المهم بالنسبة للانسان أن يحرز النجاح في الحياة، وبالتالي دار النعيم في الآخرة.

اثارة العقل
وسيلة التربية

●للاسلام وسيلتان لتربية شخصية الانسان الثابتة بهدف الوصول الى تزكية نفسه وتنمية روح التقوى فيها. وكلتا الوسيلتين لا تتمان ألا عبر اثارة عقله، وهما:

أ- توجيه الانسان نحو مصالحه الحقيقية وتحسيسه بها.
ب- هدايته الى الطرق التي تحقق تطبيقاتها الواقعية كل تطلعاته.

فاذا كان الانسان يتطلع نحو المجد والسعادة والفلاح وكلها مصالح، فما عليه الا اتباع برامج السماء، لأنها تحقق له ذلك كله. فبالقرآن يسعد البشر، وبالاسلام يهنئون ،والذكر الحسن، انما هو للمؤمن المجاهد حيث يرفعه الله ومن رفعه الله لم يستطع احد أن يضعه.

●برامج السماء تحقق الطموحات

لاشك ان لكل انسان طموحات معينة وتطلعات ثابتة و يسعى أبدا لتحقيقها، من هنا فان برامج السماء لم تهمل هذه الناحية في الانسان، وانما استغلتها لتكون وسيلتها نحو بناء الفرد المسلم والمجتمع الاسلامي، فالاسلام يقدم للانسان قنوات

.واقعية لتحقيق تطلعاته دون أن يمسها بسوء أو يلغي منها شيئاً، ابتداء من تأمين الخبز، حتى ضمان السعادة الأ بدية.

والاسلام حينما يقول: **(من قام الليل وأوتر قبل الفجر اطال الله سبحانه وتعالى عمره)** فانه يريد أن يؤكد حقيقة يومية هي أن الانسان الذي يتطلع الى طول العمر وسعة الرزق وراحة البال وصباحة الوجه، فما عليه الا أن يتكل على الله و يزيد صلته به و يتحرر من القيود المادية الأ رضية، لأنه ليس بحاجة الى التأمين على حياته أو اجراء العمليات الجراحية للتجميل أو ماأشبه فان الأمور كلها بيد الله تعالى.

والاسلام بهذا النحو انما يؤطر رغبات الانسان وميوله وفق قنوات اسلامية تساعد على توظيف مشاعره وغرائزه، في خدمة الهدف الاسلامي الكبير. فمثلا تستغل الآيات القرآنية غريزة الانسان الجنسية لصب جهوده في الأمور الصالحة حينما تعده بالجنان وحور العين كأمثال اللؤلؤ المكنون، والولدان المخلدين !والحديث يثير مثل هذه الرغبة لكي يوجهها الوجهة السليمة حيث يقول:

■(من صادفت عينه وجه امرأة حرام ثم لم ينظر اليها كتب الله له حورية يتزوجها في الجنة)■

وكم هي شاقة ومغرية حياة اليوم لاسيما بالنسبة لشباب المسلمين الذين أجبرتهم الظروف على العيش في البلاد الغربية، بلاد الفتنة والفساد والأغلال، ان لهؤلاء الشباب رصيد صخم من الحور العين عند الله اذا ما اتقوا، والتزموا بتعاليم الاسلام واسترشدوا بالاحاديث التي تعتبر دعائم وأصول في الفكر الاسلامي، يقول الامام علي(ع):

□(ومن رجى الآخرة سلى عن الشهوات، ومن خاف النار صبر على المصائب)□

ان لذة الدنيا ــ مهما طالت ــ فانية، ومصائبها ــ مهما عظمت ــ تافهة، اذا ما قورنت بجنان الخلد أو جحيم الآخرة، وعليه فان العاقل هو من لم يستجب لنداء

الغرائز فوراً و بالطرق الغير مشروعة، لأنه من فعل ذلك فان آخرته ستكون و بالاً عليه، اذ انه يستطيع أن يلبي رغباته عبر البرامج الالهية، و يضمن بذلك سعادة الآخرة الأ بدية مهما اعترضه من المصائب التي تنجيه من النار!!

والاسلام اذ يثير في الانسان شهوة الجنس أو المال أو الملك أو السلطة أوالشهرة فلكي يدعوه للصبر ليجني هذه اللذائذ في الدار الآخرة، حيث لا يشوبها كدر ولا يدانيها نعيم الدنيا، فللمؤمن نعيم لا يقاس بالمسافات، وانما بمسير السنين كأن يملك حدائق فيها القصور و بين القصر والآخر مسيرة سنة! اضافة لما يحبوه الكريم من خدم وحور عين وولدان مخلدون يأمر فيهم و ينهى كالملك تماماً، وهم لأمره طائعون لا يخالفون أمره ولا يتقاعسون عن خدمته ولا يخونوه في خاصّته، وكل هذه المصالح والغايات والطموحات الكامنة في نفس الانسان انما تثار ليفهم ان تحقيقها بشكل كامل وأبدي انما يكون في الآخرة وما عليه الآن الا استثمار طاقاته وجهوده في سبيل الله ليحصل على أمانيه.

● الرسالة تثير دفائن العقول

اذا كانت الرغبات والشهوات تثور بفعل قوة النفس، فان في كيان الانسان قوة أخرى لا تحتاج الى تزكية وتوجيه كالنفس، وانما هي بحاجة الى اثارة وتنبيه! وهذه القوة هي (العقل).

وقد كان من أهم أهداف الرسالات والرسل عليهم الصلاة والسلام، انما هي اثارة العقول كما يقول الامام علي(ع):

□(ليثيروا دفائن العقول)□

بعد أن تراكمت عليها الخرافات والأساطير والجهل، فقد قام الأنبياء(ع) بازالة

الحجب عن العقول وتفجير الينبوع المضيء لدى الانسان حتى يكمل عقله. ومتى كمل العقل لم يعد صاحبه ليفكر في الدنيا والمادة كهدف، وانما يبحث عن أفضل ما يأنس به حتى يجده في (الله) سبحانه وتعالى، فيخلد الى الجمال المطلق والقدرة الكاملة والحب الأعلى، إله العالمين وحبيب قلوب الصادقين.

ومثل هذا الانسان العاقل الحر الذي سما على الشهوات وترفّع عن المادّيات، انما يخاطب الله عزّوعلا بما خاطب الامامُ زين العابدين(ع) رب العباد حين قال:

□**(الهي ان قوماً عبدوك خوفاً من عقابك** (لانقاذ أنفسهم من النار)**فتلك عبادة التجار، وان قوماً عبدوك لانك أهل للعبادة فتلك عبادة الأحرار..)**□

ان الذين كملت عقولهم،من الأحرار،لا يعبدون الله لكي يذهبوا الى الجنة، و يتمتعوا بحور العين، أو للحصول على الأكل اللذيذ من لحوم الطير والفاكهة، فهم في شغل شاغل عن هذه اللذات بلذة أكبر هو الجلوس في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فيطلبون الجنة لأن فيها رضوان الله، ولأن الله يحبهم و يريدهم أن يكونوا هناك ــ حيث يقوم الباريء عزّوجل ــ كما جاء في الحديث، بارسال رسالة يومية الى كل مؤمن في الجنة يقول فيها «**من الحي الخالد الى الحي الخالد**» وهذه منّة وصلة من الحي القيوم لكل مؤمن في الجنة لأن هؤلاء كانوا يشغفون في الدنيا بصلاة الليل حيث يتصل القلب بالرفيق الأعلى.

أما الجنة والنار فهي شيء ثانوي بالنسبة لهؤلاء العارفين المحبين الأحرار..
ان الامام علي(ع) يناجي ربه قائلا:

□**(الهي ان كان رضاك أن أدخل النار فذلك رضاي)**□
وأي مرتبة أعلى من هذه المرتبة؟!

ان اثارة العقل وتنميته حتى يغمر النور الالهي قلب المؤمن، انما هي وسيلة أخرى

لتربية الشخصية الرسالية ـ لذلك فان كتب التراث الاسلامي غنية بالبرامج التربوية في هذا الصدد، ولكن قبل استعراضنا لوصية خالدة في هذا المضمار لابد من الاشارة الى فكرة قد تكون مفتاحاً لفهم الوصية.

هل بامكانك أن ترى عينك؟ لو فتحت عينيك أو اغمضتهما لأدركت أنهما وسيلتك للنظر، ولكن كيف ترى عينيك ذاتهما وبماذا تراهما..؟

انك حينما تتطلع الى المرآة ترى وجهك وعينيك،أليس كذلك؟ أي انك ترى عينيك بعينيك ذاتهما ولكن بواسطة المرآة، و ينطبق هذا المثل على العلم، فأنت تعلم بأنك تعلم، انما بعلمك لا بجهلك، ولكن بوجود واسطة أخرى، هذه الواسطة هي المعلومات التي تختزنها، كعلمك بطلوع الشمس أو غيابها، وعلمك بلون الثياب التي ترتديها وعلمك بأنك في غرفة بيتك أو في فصل الدراسة أو الشارع، وهكذا...، فانك تطمئن الى أنك رجل عالم لأنك تعلم بوجودك ووجود الأشياء من حولك، فوجود المعلومات هو كوجود المرآة. والرجل الذي يعلم، ولا يعلم أنه يعلم، انما هو كالنائم الذي يحتاج الى تنبيه، فهناك من ينام وعيناه مفتوحتان فيرى الاشياء حوله ولكنه لا يرى أنه يرى حتى ينتبه و يدرك أنه كان يرى الأشياء الموجودة أمامه. وهكذا عبر المعلومات الموجودة، يستطيع أن يطمئن الى أنه يملك العلم والمعرفة.

هذا من ناحية، ولكن من ناحية أخرى فانك قد تنظر الى المرآة فلا ترى عينيك لانك تريد أن تراقب منظراً خلفك، كالحال مع سائق السيارة حينما ينظر في المرآة الخلفية التي أمامه ليتبيّن المشاهد التي خلفه، وهكذا بالنسبة للعالم قد تحجبه المعلومات وما يريد أن يعرفه عبرها عن حقيقة علمه، لذلك فان بعض الفلاسفة القدماء قد وقعوا في هذا الخطأ اذ قالوا: ان الانسان لا علم له..بالرغم من انهم كانوا يعلمون، و يتصرفون في الحياة كأي عالم بالأمور التي يؤديها كل انسان من أكل وشرب وحركة ومع ذلك يقولون أن الانسان لا علم له! لأن العلم الحاصل بالمعلومات يحجب الانسان عن العلم الحقيقي! كما ان المخلوقات تحجب الخالق عن الانسان

أحيـانـاً. وهـكذا الأمر بالنسبة لعلاقتنا بالنور، فحينما نغرق في الضوء ننساه بعد فترة ولا نـتـنـبـه الى أن الـشـمـس مصدره الا اذا غابت الشمس وخيّم الظلام. واذا تأملنا الأشيـاء الجـمـيـلـة حـولـنـا نـنسى أن العين هي سبب الرؤية ولا نتنبّه لذلك الا اذا أصـيـبـت بـالـرمد. وهكذا بالنسبة للعقل الذي ندرك به الاشياء ونستنتج به المعلومات الجـديـدة مـن المـعـلـومـات المـخزونة، ولا نتنبّه لوجود العقل ذاته، الا اذا أثير! أي اذا تساءلنا مع انفسنا كيف عرفنا هذا الشيء؟ ومن أين جاء لنا علم هذا؟ كيف فهمنا أن (٢×٢=٤) ومـن أخـبـرنـا بـه؟ لاشـك أنـه الـعـقـل. اذن فـانـا عـاقـل.

جـاء أحـد المـاركسيين الى عالم من علمائنا فسأله: كيف تثبت لي أن التناقض محـال؟ فـرد عـلـيه العالم ماذا تقول أنت؟ فأجاب الماركسي: انني أقول أن التناقض لـيـس محـالا. فردّ عليه العالم: وأنا أقول أن التناقض محال، فقال الماركسي: اثبت لي ذلـك.. فـقـال الـعـالم: لا ضرورة للاثبات،فأنا في قولي على حق، وأنت في قولك على حق..!!

فـسـأل المـاركسي مـتـعـجـبـاً: وكيف يكون ذلك وقول كل منا نقيض للآخر!؟ فابتسم العالم وسأله: ألست تقول أن التناقض ليس محالا..!؟

لـقد أثار العالم عقل الماركسي الذي يعلم عقليّاً أن التناقض محال! ولكن حجب الضلال كانت تمنعه من الاعتراف به.

●مع الامام الكاظم(ع)

بـعـد هـذه المـقـدمـة الـفـلسفية نبحر مع الامام الكاظم(ع) في رائعته الخالدة، وهو يوصي هشام بن الحكم قائلا:

□(ياهشام: ان الله تبارك وتعالى بشّر أهل العقل والفهم في كتابه فقال:

[فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب]

والالباب هي العقول يثيرها القرآن هنا ليؤمن الانسان بعقله بعد أن يثق و يطمئن لوجوده.

□(ياهشام بن الحكم: ان الله جلّ وعز اكمل للناس الحجج بالعقول، وأفضى اليهم بالبيان، ودلّهم على ربوبيته بالأدلاء)■

فقال:

[والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض، لآيات لقوم يعقلون]

يستمر القرآن في اثارة العقل عن طريق النظر الى السموات والارض والطبيعة من حولنا، والامام الكاظم(ع) يركز على هذه المعاني القرآنية:

□(ياهشام قد جعل الله عز وجل ذلك دليلا على معرفته بأن لهم مدبراً)□

□ فقال

[وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون]

(وقال):

*[حم * والكتاب المبين انا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون]*

□(وقال):

*[ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً و ينزل من السماء ماء فيحي به الأ رض بعد

موتها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون في الآخرة]*

□(ياهشام: ثم وعظ أهل العقل ورغبهم في الآخرة..لأن من يدرك منزلة عقله لا يهمله بل يستخدمه حتى يرى به المستقبل) فقال:

[وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون]

□(وقال):

[وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون]

أي أفلا تستخدمون عقولكم؟؟ و يضيف الامام قائلا:

□(ياهشام: ثم خوّف الذين لا يعقلون عذابه) فقال عز وجل:

[ثم دمرنا الآخرين وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون]

□(ياهشام: ثم بيَّن ان العقل مع العلم، لأنه وزيره ومن جنوده والعلم يقوي العقل) فقال:

[وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون]

أي العلماء فقط هم الذين يدركون هذه الآيات والأمثال و يعونها.

□(ياهشام: ثم ذمّ الذين لايعقلون) فقال:

[واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون]

□(وقال):

[ان شرّ الدوابّ عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون]

□(وقال):

[ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولنّ الله، قل الحمدلله بل اكثرهم لا يعقلون]

□(ثم ذمّ الكثرة) فقال:

[وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله]

□(وقال):

[ولكن أكثرهم لايعلمون]

[وأكثرهم لايشعرون]

لفقدهم الاحساس.

□(ياهشام: ثم مدح القلة) فقال:

[وقليل من عبادي الشكور]

□وقال:

[وقليل ماهم] *[وما آمن معه الا قليل]*

وهذه القلة طبعاً مع العقل، لأن الله سبحانه أعطى للناس الأكل والشرب والنوم، كل يأخذ حسب الرزق المحتوم له، الا العقل فبالرغم من أنه قوّة واحدة في كل البشر الا أنه مشروط بعمل الانسان. (الذي لايستفيد من عقله الا بمقدار ما تبقي منه

حجب السيئات وارتكاب الموبقات) لذلك فالقليل، هم الذين يستفيدون من عقولهم بشكل جيّد، كما يريده القرآن، لأن القليل منهم هو الذي يبقى نظيفاً من الدنس! ثم يواصل الامام:

□(ياهشام: ثم ذكر أولي الألباب بأحسن الذكر وحلاّهم بأحسن الحلية) فقال:

[يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً وما يذّكر الا أولوا الالباب]

□(ياهشام) ان الله يقول:

[ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب]

□(يعني العقل) وقال:

[ولقد آتينا لقمان الحكمة]

□قال: (الفهم والعقل)

ياهشام: ان لقمان قال لأ بنه: «تواضع للحق تكن أعقل الناس، يابني ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيه عالم كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها الايمان، وشراعها التوكل، وقيّمها العقل، ودليلها العلم وسكانها الصبر»)■

و يا له من مثال رائع، جامع يشبّه الانسان في الحياة بالسفينة في البحر، ولكن أي سفينة هي؟ انها سفينة التقوى وحشوها الايمان والاستقرار، والتوكل على الله هو الشراع الذي يحركها و يوجه مسيرتها، لأن بالتوكل تزداد ثقة الانسان بنفسه فتسمو تطلعاته نحو الأرقى والأبعد، ثم يكون العقل قيّمها ورئيسها، والعلم دليلها ومرشدها، والصبر سكانها الذي يوازن سيرها، و يبلغها مرادها، وهكذا يكون

«الصبر مفتاح الفرج» للانسان. يواصل الامام الكاظم(ع) وصيته قائلا:

□(ياهشام: لكل شيء دليل، ودليل العاقل التفكر)□

لأن التفكر يثير العقل ويحركه..

□(ودليل التفكر الصمت)□

لأن الثرثار لا وقت عنده للتفكير، وفي الحديث:

■(اذا رأيتم المؤمن الصموت فادنوا منه فانه يلّقى الحكمة)■

ثم يقول:

□**(ولكل شيء مطية)** أي مركوب **(ومطية العاقل التواضع)** يلج به القلوب و يدخل البيوت بحسن الاستقبال والترحاب، عكس الجاهل الذي يطرد من كل مكان لتكبره وعجرفته **(وكفى بك جهلا أن تركب ما نهيت عنه)**

■(ياهشام: لو كان في يدك جوزة وقال الناس: في يدك لؤلؤة. ما كان ينفعك وأنت تعلم أنها جوزة، ولو كان في يدك لؤلؤة وقال الناس: انها جوزة. ما ضرّك وأنت تعلم أنها لؤلؤة؟!)■

فماذا يفيدك كلام الناس لو كانت عندك ورقة نقدية من فئة الألف دينار مثلا وقال الناس انك تملك ديناراً واحداً فقط، هل يتحول كذلك؟ ولو كنت تملك بالفعل ديناراً واحداً، ولكن حسبه الناس ألفاً هل يفيدك هذا؟ كلا! لا تسمع كلام الناس اذا كان يناقض الواقع، وانما إتبع عقلك وحسب! ان المجاهد المتقي العالم هو من كان عند الله كذلك لا عند الناس.

كان أحد العلماء الأفاضل ينصح تلامذته بقوله: «اني أخاف أن يراني الناس

يوم القيامة وملائكة العذاب تأخذ بناصيتي، فماذا اصنع والناس تحسبني رجلاً عالماً عظيماً وتقياً!!؟

اذن فعلى المرء أن يبادر بمحو اسمه من قائمة الأشقياء ليضاف الى قائمة السعداء، عليه أن لا يحسب لما يقول الناس عنه، فان المجاهدين الصادقين لاتأخذهم في الله لومة لائم، واكثر ما يدخل الانسان جهنم هو أن يصبح أذناً.. همه ان يعرف ماذا يقول الناس، فيعمل لترضيتهم طوعاً لكلامهم حتى ولو كان على حساب المبادىء!! أين العقل اذن، ولم لاتتبع هديه؟ و يستطرد الامام في وصاياه ليذكي نار العقل لأتباعه و يدعوهم لترك كلام الناس وتقليدهم، لأن فقدالعقل مذلة وعبودية حتى ولو كان فاقد العقل حراً!

□(ياهشام: ما بعث الله أنبياءه ورسله الى عباده الا ليعقلوا عن الله، فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة لله، واعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلا،وأعقلهم ارفعهم درجة في الدنيا والآخرة)■

□(ياهشام: ما من عبد الا وملك آخذ بناصيته، فلا يتواضع الا رفعه الله، ولا يتعاظم الا وضعه الله)□

أي من قال «انا» ونظر الى عطفه، واعتدّ بنفسه واختال، وتعالى وتكبر، فان الله يضعه في المجتمع، لان المغرور كالطائر كلما ارتفع صغر في أعين الناس، أما المتواضع الخاضع لله وللمؤمنين والعزيز على الكافرين فان الله يرفعه، وفي هذه الفقرة تزكية للنفس من الغرور، فالامام رغم تركيزه هنا على اثارة العقل الا أنه لم يغفل تزكية النفس لتنمية الشخصية الرسالية في المحتمع!

■(ياهشام: ان لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة، وأما الباطنة فالعقول)■

■(ياهشام: ان العاقل الذي لايشغل الحلال شكره ولا يغلب الحرام صبره)■

نزول القرآن، ذلك لأننا:

(١) لا ننظر الى مصلحة الانسان الآن وفي هذا الوقت بالذات، وانما نراعي ان تستمر المصلحة معه الى آخر عمره.

(٢) لا ننظر الى مصلحة الانسان وحده وانما مع الآخرين.

(٣) لا ننظر الى مصلحة الانسان في الدنيا فقط، بل وفي الآخرة ايضا.

وهنا تتبلور قضية اخرى وهي «الارادة الثورية» فهذه لا تصنعها فكرة المصلحة المؤقتة، لأن هناك فجوة لم تستطع النظريات المادية ـ بالرغم مما مارسته من خداع ذاتي، وبما أقحمته من معان غير مفهومة ضمن كلمات شائعة ـ ان تردمها، فاذا كانت مصلحتي هي الهدف فكيف اضحي من اجلها؟!

اذا كنت سأثور من أجل المصلحة المؤقتة الخاصة فأموت قبل الوصول اليها، فلماذا أثور اذن؟ ان هذا يشبه تماماً من يغري انساناً بالانتحار مقابل مبلغ كبير من المال! اذا كان يرغب في المال فعلام ينتحر اذن؟

اذا اراد المال فانه لا ينتحر، واذا أراد ان لا ينتحر فانه لا يحصل على المال، انه «الدور» كما يسميه الفلاسفة، بالنظرية الماركسية التي تجعل من المصلحة الذاتية إلهاً، سرعان ما تفشل في اقناع اتباعها بالتحرر والثورة،لأنه ان مات خسر كل شيء فعلام يضحي اذن؟

●خلود الشهيد ـ أم فناء المادة!

فلسفة الشهادة معدومة في المذاهب المادية ولا يمكنها ان تنمو هناك، بينما المسلم الذي يؤمن بانه يعمل من أجل الخير والحق وإن جزءاً بسيطاً من هذا الخير والحق موجود في الدنيا والجزء الاكبر ينتظره في الشاطيء الآخر من الوجود (الآخرة) هذا المسلم لا يهمه ان يقتل أو يموت، وهذا امر بارز في الادب الاسلامي الذي يقدس

● **الثالثة**

«**وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه**» فالعبرة دليل الخشوع، باب للتقوى.. فالمرء خلف الجنازة يتأمل، يعتبر، يقرأ القرآن ويناجي ربه بالدعاء، و يفتح قلبه بعبرة تضيء دربه، ولكن ما ان يعود لبيته ويحس الجوع و يفتش عن الخبز فانه ينسى العبرة، واذا كان يحسد أحداً من الناس فانه يحرق بذلك تلك العبرة و يُطفيء نورها.

وهذه الخصال الثلاث تماماً كباقي فقرات الوصية، ليست نصائح لهشام وحسب! وانما هي لنا، قبل أي انسان آخر، لأنها موجهة للرساليين الأحرار، وهي اساليب ضمن البرامج الاسلامية لتربية الشخصية الرسالية.

مكونات الشخصية الرسالية

●هنـالـك جانبان لشخصية الانسان، ظاهر وخفي، والجانب الخفي هو الذي يحدد الملامح الظاهرية في الشخصية.

وحسب التعبير القرآني..

[قل كل يعمل على شاكلته]

ــ٨٤/ الاسراءــ

أي على نيّته وصبغته وصياغة شخصيته الداخلية، أو كما يقول الامام علي(ع):

□(المرء بأصغريه: قلبه ولسانه)□

و بالطبع فان قلب الانسان هو جوهر شخصيته الخفية.

والرسالي محور الحركة الرسالية، هو قطب الرحى لكل ثورة اسلامية، وحجر الزاوية في بناء الأمة لأن شخصيته الداخلية تتميّز بمجموعة من الصفات التي قد لا يتوصل الى عمقها المحلل النفسي، الا أن نصوص القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، بالاضافة الى التجارب الشخصية تحدد جانباً من ملامح الشخصية الرسالية

لترسم لنا هدفين:

أ ــ معرفة ملامح الثورة الاسلامية وهدفيتها.

ب ــ اكتساب تلك الملامح عبر التربية الفردية أو الحركية.

● الهدف الأول

فان بعض الحركات الاسلامية التي تريد أن تحقق قيم الاسلام، تتعامل مع القضية بارتجال، فهي تجهل المكونات الشخصية للداعية المسلم، فينتهي ذلك الى تورطها في اقتباس الأفكار والبرامج التربوية والحركية من الشرق حيناً ومن الغرب حيناً آخر. ولذلك فهي تسقط في أخطاء فادحة لا يرضى بها الاسلام.. مثلا إذا اراد الحزب الغربي أن يفجر طاقات أبنائه في تحرك سياسي او اقتصادي، يتوسل لذلك بمبدأ التناقض والصراع والتنافس غير الشريف، فيذكي الصراع الطبقي، وصراع الأجيال، كما يعمق الهوة بين الحكام والمحكومين، و يثير الاحساس بالذاتية في الأفراد ليشجع الجميع بهذا الاسلوب الى التقدم والسبق.

وفي ساحة العمل الاسلامي يحاول بعض الموجهين الحركيين اقتباس ذات الأسلوب، فيحرك الآحاسيس المادية والنعرات الذاتية التي يرفضها الاسلام في نفوس تابعيه وافراده، وما ان تنصرم الأيام الا و يصبح الصراع والتنافس بذاته هدفاً، وتصبح الغاية هو الوصول الى بعض المكاسب المادية، وقد بلغ الأمر بالبعض في هذا المجال الى اختلاف الصراع بغية تفجير طاقات أفراده، رغم عدم وجود مبرر للصراع.

أن أهداف الاسلام سامية، وغاياته رسالية، فان نحن ربينا أبناءنا على هذه الأسس الجاهلية من اثارة النعرات المادية وجعل الذاتية محوراً للتحرك اليوم، فاننا غدا لا نستطيع تطبيق القيم الاسلامية في واقع الامة.

● بين الغاية والوسيلة

ان الفرد الذي لم تحركه سوى الاحاسيس الجاهلية لا يستطيع تطبيق حكم الله، لأن أساس تربيته كان خاطئاً، تماماً كالخطأ الذي وقعت فيه جماعة من القوميين العرب، اذ زعموا ان القومية العربية ستكون الخطوة الأولى نحو الوحدة الاسلامية، لأن العرب اول من حمل لواء الاسلام فشكلوا دولة مترامية الأطراف، وحينما أذكوا روح القومية، تورطوا فيها اذ لم يستطيعوا أن يقيموا الوحدة العربية فضلا عن الوحدة الاسلامية، ففرقوا المسلمين ولم تتحقق أهدافهم وانتهت حركتهم اما الى قومية يمينية غربية، أو الى قومية يسارية شرقية! ذلك لأن الوسيلة الخاطئة ما كانت لتؤدي الى الهدف المنشود، فليس المهم ان تختار الغاية الشريفة، وانما المهم أن تختار الوسيلة الصحيحة الشريفة أيضاً، لتضمن وصولك الى الغاية بسلام، وقد قيل مرة لصدام «يخشى أن لا تصل الى القدس ياصدام فان طريقك يصل بك الى واشنطن» وذلك حينما تشدّق الطاغية: بأن طريق القدس يمر عبر طهران! وقد تحقق ما قيل له اذ أدّى به الطريق الذي سلكه الى أحضان الرجعية العربية ومن ثم الى واشنطن.

وان كان هدف تلك الحركات سامياً لأنهم فعلا كانوا مؤمنين بالله ورسوله وشريعته فقد كانت وسيلتهم خاطئة اذ لم تكن لتؤدي بهم الى الغاية التي ينشدون، حيث ان التمسك بالاساليب الجاهلية والنعرات الذاتية والفئوية الضيقة أو الحزبية النزقة، لا يمكن ان تؤدي الى بناء العنصر الرسالي المنشود، وان هذه الحركات ستقف غداً عاجزة عن تجنيد شباب الامة لتطبيق الاسلام بالتضحية بأنفسهم من أجل الأهداف السامية.

كان أحد المنتمين لحركة اسلامية يقول في معرض انتقاده للاساليب التربوية التي اتبعتها تلك الحركة.

ان محور تربيتنا لأبنائنا كان خاطئاً! لأننا كنا نربي أفرادنا على أساس ضرورة

الا بقاء على أنفسهم، وكأنهم «تحف مقدسة» تحت شعار «الابقاء على الكوادر»، بينما شاهدنا فيما بعد كيف انتصرت الثورة الاسلامية بسبب أسلوب تربية الثورة لأ بنائها حيث كان قائماً على اساس التضحية والفداء والبذل والعطاء! وكان محورها قائماً على فلسفة الشهادة، وليس على محور «بقاء الذات» او اساس ﴿

[ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة]

ـ١٩٥/البقرةـ

لقد قام البعض بتحريم الجهاد ضد اسرائيل بحجة ان ذلك يؤدي الى التهلكة، والى فقدان العناصر الجيدة، وهذه هي النتيجة الطبيعية للتربية القائمة على الاسس الذاتية، والاساليب الجاهلية.

● العطاء هدف التربية الرسالية

من هنا كان من الواجب علينا ـ كحركات اسلامية ـ أن نربي أبناءنا منذ اليوم الأول على أساس التضحية في سبيل الله والذوبان في بوتقة الهدف الأسمى وهو مرضاة الله سبحانه وتعالى، بعيداً عن اي تمحور حول الذات، ومن دون تكريس لصنمية التنظيم اوالاشخاص.

وبديهي ان الله سبحانه لا يرضى بالشريك..

[ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء]

ـ٤٨/ النساءـ

ويقول في حديث قدسي:

●●((من عمل لي ولغيري جعلت عمله كله لغيري))

فالله جل جلاله، عزيز جبار متكبر لا يقبل بالشريك أبداً.. فكيف نعمل لله من

جـهـة ولأنـفسنا، أو جماعتنا، أو حركتنا من جهة اخرى؟ ان هذا العمل محبوط يرفضه الله.

وقد يـتـسـاءل الـطـيبون من أولئك المشرفين على بعض الحركات الاسلامية التي أشرنـا الـيـهـا قـائـلين: ان لـم نـحـرك جماهيرنا بالعصبيات والنعرات الذاتية و باثارة الصراعات والتناقضات، فكيف نحركهم وندفعهم للبذل والعطاء..؟

ويمكـن الاجابة على هذا السؤال من خلال العودة الى رحاب الله والنبي لنغترف مـن المعين الصافي، ونكتشف الديناميكية التي تطبع الشخصية الرسالية، وكيف يأمر الله سـبحانه وتعالى بتربية الشخصية الثورية اعتماداً على الاساليب الرسالية، وكيف شـهـد الـتـاريخ الاسـلامـي أولـئـك الـذيـن امتطوا صهوات جيادهم والتهموا الفيافي الـشـاسـعـة لـيـبـلغوا أقصى المعمورة نشراً لكلمة الله واعلاء للواء الاسلام خفاقاً لتلهج بعدها الشعوب «لا اله الا الله، محمد رسول الله».

فـهـل كـان تحرك أولئـك الأ بـطـال الـفـاتحين نـابـعـاً مـن العصبيات القبلية أو الـطـمـوحات الجاهلية؟ كلا. انما كانت الأهداف السامية والتطلعات الرسالية وراء اندفاعهم اذ كان هدفهم الله سبحانه..

[ما كان لله ينمو]

• الهدف الثاني

انـه لـيـس بـخـاف انـنـا ــ كـعـناصر اسلاميةــ لم نتلق تر بيتنا الاولى على أيد اسـلامـيـة، وانما على أيد لم نخترها وفي ظروف لم ننتخبها، فأول ما تلقينا تر بيتنا في الـبـيـت والبيئة، وفي ظل ظروف غير رسالية، بل في ظروف التخلف والجهل والتبعية

التي كانت ترزح مجتمعاتنا تحت وطأتها، وأكاد اقول انها كانت بعيدة عن الاسلام ١٠٠٪ لولا القشرة الاسلامية التي كانت تظلل شعوبنا، ثم تلقفتنا المدارس التي صاغ الاستعمار برامجها التعليمية لتتخرج الأجيال الصاعدة مجبولة على الرضوخ للارادة الاجنبية والقبول بالواقع الاليم..!

من هنا فاننا لانستطيع الاعتماد على ما نحن عليه من التربية، اذ قد نملك من الرؤى والخلفيات ما يتناقض مع الرؤى الاسلامية، ولو كنا تربيّنا بارادتنا نحن كما يريد الاسلام لما اخترنا غيرالحق، ولكان لنا حق الادعاء حينئذ بأنناعلىالحق الا ان الأيدي الأخرى هي التي ربتنا، وما كلها بنظيفة وطاهرة، ولا كل النوايا التي خلفها صادقة، فلنتجرد من ماضينا التربوي ولنقف في هذه المرحلة لنعيد النظر في ذواتنا ورؤانا ومكوّناتنا الداخلية والخارجية، ثم لنراجع أنفسنا مرة أخرى ونقارن ما نحن عليه من التربية بالبرامج التربوية في الاسلام، ولتكن لدينا الشجاعة الكافية لتحديد ما لم يتطابق منها مع القرآن والمفاهيم الاسلامية، ولنفعل ذلك الآن طالما في الوقت متسع، والفرصة أمامنا سانحة، والا فاننا لانستطيع العمل غداً:

[حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون * لعلي اعمل صالحاً فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون]

ـ٩٩/ ١٠٠/ المؤمنونـ

●الفرصة باقية

ان الاقدام على التغيير الذاتي نحو الأصلح لا يحتاج سوى عزيمة وقّادة، ولحظة تصميم حاسمة، كي نصحح مسيرة سبعين عاماً أو اكثر خلال ساعة تفكير وتأمل فيما عساه ان يصلحنا، و يصحح أوضاعنا وطريقة عيشنا، ويجعل خطانا تسير وفق هدى الرسالة، لقد جاء في الحديث الشريف:

■(تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة)■

وهذا دليل على أن الفرصة لا تزال أمامنا كي نصحح رؤانا ومكوناتنا الشخصية، وهذا الحديث الشريف ينسف ادّعاء من يقول لقد فات الأوان ولا نستطيع الآن تغيير عاداتنا التي نشأنا عليها!

ان القرآن يؤيد الحديث حيث يقول تعالى:

[ليلة القدر خير من ألف شهر]
ـ٣/ القدرـ

فاذا كانت ليلة واحدة هي خير من عمر انسان يربو على الثمانين عاماً، فلننتهز الفرصة اذن، ولنختر من ليالي العمر التي تتكرر علينا كل عام (ليلة القدر) كي نعلن فيها ثورتنا على الذات والانضواء تحت التعاليم الاسلامية لنصوغ رؤانا من جديد اقتباساً من هدى القرآن الكريم، عسى الله أن يوفقنا لذلك، لا سيما وان ليلة القدر تمتاز بأنها «يفرق فيها كل أمر حكيم».

بعد توضيح هدفي التوجيه الاسلامي في بناء الشخصية الرسالية سنبدأ في استعراض المكونات الذاتية للشخصية الرسالية، وهي كالآتي:

• اولاً: التطلع وقوة المسيرة

ان أولى المكونات الذاتية في شخصية الرسالي، ومن أبرزها هي سمة التطلع نحو الأسمى واستهداف الأمور السامية، وعدم القبول بصغريات الأمور، لان الرسالي انسان يحترم نفسه، وأهدافه أسمى من الأهداف الزائفة.

ولا غرو اذا كان الرسالي يتصرف بهذه الروحية، فالقرآن الكريم يركز على قيمة الانسان المؤمن وكرامته وأفضليته على أكثر المخلوقات حيث تركز البصيرة القرآنية على قدر الانسان، حينما يقول تعالى:

[لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم]

ـ٤/ التين ـ

وقوله تعالى:

[ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا]

ـ٧٠/ الاسراء ـ

كذلك يعرف الرسالي قدر نفسه حينما يستمع الى قول الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي الشريف:

●●((عبدي أطعني تكن مثلي أقول للشيء كن فيكون وتقول للشيء كن فيكون))

وحينما يسمع الحديث الشريف:

■(خلقنا للبقاء لا للفناء)■

وحينما يسمع الامام علي في الشعر الذي ينسب اليه:

أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

ثم تتجلى البصيرة القرآنية للرسالي في الحديث الشريف..

■(انك فوق ما تتصور، ولو عرفت نفسك وما أودع الله في نفسك من الامكانات والقدرة لما احتجبت بالماديات عن ربك)■

فالله سبحانه وتعالى يقول:

[سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق]

ـ٥٣ / فصلت ـ

ومن وصل بيقينه أعلى درجات اليقين، أحس أنه لم يخلق لهذه الدنيا، وأن نفسه انما هي ثمن الجنة..

أنفاس عمرك اثمان الجنان فلا تشري بها لهباً في الحشر يشتعل

ان الرسالي يستطيع ان يجيّر لحظات الحياة في حسابه غداً قصوراً وحدائق وحوراً في الجنان.. فاذا كانت كلمة «سبحان الله والحمدلله ولا اله الا الله والله اكبر» تبني له القصور، وتغرس له الاشجار، كما ورد في الحديث عن الرسول الأكرم(ص). فلن يتخلى المؤمن الرسالي عن تكرار هذه الكلمة الخفيفة في اللسان الثقيلة في الميزان!! انك تغرس بكلمة واحدة من هذه التسبيحة العظيمة، شجرة لك في الجنة، أفلا تحب أن يكون لك ملكاً في الجنة؟؟ فلعل الله سبحانه وتعالى يوصلك الى الجنة بعنوان شجرتك فيها.ان كلمة(سبحان الله والحمدلله ولا اله الا الله والله اكبر) مدد الملائكة في بناء قصور المؤمن الذي يتلفظ بها.

انـنا حينما ننظر الى فرص الحياة بهذه الرؤية الرسالية فاننا لا نفكر فيما ضاع أو يضيع علينا من الفرص وحسب، وانما نتطلع نحو تعويض مافات ونجدّ في السعي نحو الله، زاهدين في الدنيا بلا كلفة أو تصنّع، وانما قناعة بأن ما عند الله خير وأبقى، أما ركائز التطلع فهي:ـ

●أ ـ نعيم الخلد

ان الرسالي يترفع عن الدنيا و يتطلع الى الآخرة، لأن الدنيا زائلة فانية أما الآخرة فسرمدية باقية، وما الدنيا الا جسر يقودنا اما الى الجحيم ـ والعياذ بالله ـ أو الى النعيم الذي تتحقق فيه كرامة الانسان، من هنا فان الرسالي هو من يتحسس كرامة نفسه فيعمل لما يحقق تلك الكرامة في الدارين، فهو يتطلع نحو الأفضل على طول الخط.

يُروى ان النبي عيسى المسيح(ع) خرج مع ثلاثة من أتباعه الى الصحراء، وفي الطريق مرّوا بكنز من ذهب،فاستأذنوه في استخراجه فلم يحبذ ذلك لهم، وقال: ان الكنز في الآخرة أبقى،فأصروا عليه، فتركهم ومضى لشأنه، فعملوا حتى استخرجوه وقد نال التعب والجوع منهم فطلبوا من أحدهم أن يذهب الى المدينة و يشتري لهم طعاماً ثم يتقاسموا الكنز، فذهب ليأتي بالطعام فحدثته نفسه أن يدسّ السمّ لصاحبيه ليغنم الكنز كله لنفسه ففعل ذلك، وما ان أتى بالطعام حتى وثب عليه صاحباه فقتلاه،اذ كانا قد تآمرا عليه في غيابه، أن يقتلاه و يستأثرا بالكنز دونه، فلما أكلا الطعام خرّا ميتين هما أيضاً.

اما المسيح(ع) فانه واصل طريقه، فالتقى بشاب فلم يعرفه بأنه عيسى بن مريم(ع) وانما رأى عليه سيماء الصالحين فسأله: أيها الرجل انني أريد أن أتزوج ابنة الملك فهل تستطيع أن تدلني على ذلك؟ فقال له عيسى(ع): انا لها،فأرشده الى طريقة مكنته من الزواج من بنت الملك الذي ما كان له ولد سواها، فما لبث الملك أن مات بعد أيام، فآل الأمر لذلك الشاب اذ أصبح ملكا، و بعد ايام دخل عليه المسيح(ع) فلما رآه الشاب الملك اخذه اليه واجلسه الى جانبه ثم سأله: بالله عليك كيف تستطيع ايصالي الى هذا المنصب (الملك) ثم لاتفعل ذلك لنفسك، وانما ترضى بما أنت فيه من ثياب رثة وبلا مأوى، خشونة في الملبس وجشوبة في المطعم؟ فقال عيسى(ع): أرأيت ان أتوك بطعام شهي طازج، واتوك بخبز يابس، هل كنت تختار الخبز أم الطعام؟ فقال بل الطعام! فقال المسيح(ع): فان الدنيا بالنسبة لي كذلك الخبز بالنسبة لك! فسأله الملك الشاب: وهل يوجد غير الدنيا؟! فأجاب: الآخرة ونعيمها المقيم، فردوس وجنان وروح وريحان ورضوان الله تعالى! و..و.. فقال: فأنت العاقل وأنا المجنون كيف أصنع بالملك، وأين تذهب أنت وما تصنع وكيف تتعبد للحصول على الآخرة؟ قال فان رغبت فيها فهلمّ معي! وأخذه من يده وذهب الى حيث قتلى الكنز ورأى كيف أنهم ماتوا فدعا الله تعالى فأحياهم وسألهم خبرهم والشاب يسمع، فقال المسيح(ع): من أجل كنز زائف زائل قتلتم أنفسكم؟ ان الكنز الحقيقي هو مع هذا الشاب حيث ترك الملك وانطلق لله!

أجل ان الكثير من الملوك تركوا أملاكهم وممالكهم في سبيل الله لأنهم عرفوا بأنهم أسمى من المادة؟

●ب ـ التوكل

ان طمع الانسان لاحدّ له، فان وصل الى القمر طمع في الوصول الى المريخ، ولو ملك الارض رمى بطرفه نحو السماء طمعاً!

وهذه هي طبيعة الانسان ان استسلم لرغباته وشهواته يظل أبداً مريضاً منهوكاً. الا ان المؤمنين يتغلبون على شهواتهم ويحطمون في نفسياتهم روح الطمع، لكي تنمو بدل ذلك في ذواتهم روح التطلع، اما غير المؤمنين فسرعان ما يخبو التطلع في نفوسهم، وذلك حينما تخيب مساعيهم فتتحطم آمالهم و يسيطر اليأس عليهم. بينما المؤمن لا يعرف اليأس اليه سبيلا، و يظل بمنأى عن القنوط لما يمتلكه من ملاذ حصين هو التوكل على الله سبحانه وتعالى، اذ كلما استبدّ به اليأس ارتمى في حصن التوكل فتنقشع عنه غيوم الاحباط والقنوط و يتجدد الأمل و يتجدد معه العزم والنشاط والسعي متطلعاً لوضع أفضل وعمل أقرب لرضا الله سبحانه، و بذلك تبقى شعلة التطلع وهاجة في قلب المؤمن!

●ج ـ وان سعيه سوف يرى

هنالك قناعة لدى المؤمن هي أن كل حركة من حركاته او سكنة من سكناته مرصودة له لا تتبخر ولا تنتهي بل هي مسجلة له أو عليه

[وان ليس للانسان الا ماسعى. وان سعيه فسوف يرى. ثم يجزاه الجزاء الأوفى]

ـ٣٩، ٤١/ النجم ـ

و يقول الله سبحانه وتعالى:

[والله معكم ولن يتركم اعمالكم]

ـ٣٥/ محمدـ

فلن يقطع ربنا عزّوعلا عمل الانسان، ولن يفوّت عليه مثقال ذرة من عمله..

[فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره]

ـ٧/ الزلزلةـ

من هنا اليأس لا يدرى كيف يتسلل الى المؤمن، والخوف من الفشل لا يستطيع أن ينال منه، لأن المؤمن يدرك أن أعماله لن تذهب سدى، حتى ولو لم تثمر أو لم تظهر النتائج في حياته، فما على المؤمن الا أن يعمل، أما النتيجة فهي عند الله، ومادام العمل محفوظاً فان النتائج الآنية، مثل الربح أو الخسارة، النصر أو الهزيمة، ليست مهمة في الدنيا، بل حتى الهزيمة لا يسميها الاسلام كذلك، وانما يسميها (احدى الحسنيين ــ النصر أو الشهادة) فقد جاء في القرآن الكريم:

* [قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن تنربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده]*

ـ٥٢/ التوبةـ

فالشهادة للمؤمن حسنى والمحظوظ من ينالها.

[واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين]

ـ١٣/ الصفـ

فالمؤمن يصل الى هدفه سواء في العاجل أو الآجل، لانه يؤمن بان الله معه، وعنده يقين بالمستقبل ذلك اليقين الذي يدعم أساس التطلع في نفسه، و يرسّخ الايمان بالآخرة والذي هوبدوره يذكي روح التطلع في نفس المؤمن!

وقد يتبادر الى الذهن سؤال يقول: ما هي ضرورة التطلع لتكوين الشخصية الرسالية؟

والواقع ان التطلع ضروري ليس للرسالي وحسب، وانما للانسان كانسان فوق سطح هذا الكوكب، اذ لولا التطلع الذي حدا بالانسان الى اقتحام الأهوال وركوب الأخطار لظل ذلك الانسان البدائي يرمي بنفسه في ظلام الكهوف كلما داهمته الوحوش المفترسة.

وقد ورد في الحديث الشريف:

■(المرء يطير بهمته كما يطير الطائر بجناحيه)■

استطاع الانسان بالهمم العالية ان يصل الى القمر بعد أن ظل آلاف السنين يتغزل به و يناجي فيه معشوقته و يقدمه اليها هدية في أشعاره، فخيالات الشعراء تحولت الى تطلعات عند العلماء، وتطلعات العلماء تحولت الى خطوات الرواد فوق سطح القمر، اذ فتحت المجال للانسان ان يرتاد الفضاء الأ رحب لما بعد المريخ.

ومازال التطلع وراء الانسان وهو يجوب اليابسة و يطوف البحار و يقتحم المجاهيل حتى يحقق اهدافه المنشودة، و يذكر التاريخ أن أديسون قام باثنتي عشرة الف تجربة لكي يخترع المصباح الكهربائي وفي النهاية أفلح.

فالهدف العالي أساسه التطلع، كما ان الهدف السامي وقود الصعود وقوة تدفع الانسان للعطاء والسعي والعمل. وما أجمل الرواية المنسوبة للامام(ع) حيث يقول:

□(ما ضعف بدن عمّا قويت عليه الهمة)□

فانك ان ملكت هدفاً سامياً وهمة عالية استطعت الوصول اليه مهما كان بدنك ضعيفاً، أما لو خارت عزائمك فان كل شيء ينتهي!

● د ـ الترفع على المؤثرات المادية

كنتيجة حتمية للتطلع نحو الأفضل ونحو ما عند الله سبحانه وتعالى، فان ميزة أخرى تتولد عند الانسان الرسالي هي سموّه فوق الظروف البيئية والمؤثرات المادية والحتميات الهزيلة.

فالرسالي لا يخشى الظلام ولا يرهب الليل ولا يخاف الوحوش ولا يتهيّب الأنواء في الحر والبرد ولا يتشاءم من الوقت بأيام منحوسة وما الى ذلك، وانما يقتحم الأهوال والصعاب غير عابىء بالرياح الهوجاء ولا حافل بالمرض أو الألم، لأنه يرى نفسه فوق المؤثرات الطبيعية والمادية ولا يعوق تحركه عائق طبيعي مهما صعب! أما غير المؤمن من الناس فانه يخشى أقل الأشياء صعوبة أو ضرراً، كما يقول الحديث الشريف:

■(من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء)■

فكل شيء صغير عند المسلم الحقيقي، حيث كبر الخالق في قلبه فصغر ما سواه في عينيه، فهو لا يعرف الا الله، واذا ذكر الله عنده وجل قلبه وخشعت نفسه واقشعرت بشرته، وأما ماعدا الله فانه لايهتم به الا بما ذكره الله سبحانه، فبالترفع عن الدنيا والاعتدال في الأمور والتوكل على الله سبحانه وتعالى لا يهاب المؤمن أحداً، بل يهابه كل أحد ومادام كذلك فانه يتحرك بين الناس و يتعامل مع الجميع باعتدال لأنه لا ينطلق من مركب نقص، بل واثق بنفسه وعمله.

اما أولئك الذيليون الطفيليون فانهم أتباع كل ناعق يدورون مع كل محور وكالريشة في مهب العاصفة تتطاير في كل اتجاه فانهم ممن لا ايمان لهم! بعكس المؤمن الذي لا يخضع لغير الله، ولا يبدل صورته ووجهه كالحرباء مع كل وجه، فيوماً بعثي، ويوماً شيوعي، وآخر رجعي وامريكي وروسي.. وسلسلة تبدأ ولا تنتهي من التقلبات!

لقد رأينا في واقعنا المعاصر كيف بدّل بطل القادسية الأمريكية اتجاهه فمال مع الرياح الشرقية بعد أن يئس من الرياح الرجعية، لقد أطلق الشيوعيين واستخدم السلاح الروسي واليوغسلافي وتحالف مع اليسار..؟ (ولم يكفه ذلك بل مال اليوم مع الرياح الصهيونية الاسرائيلية بكل صراحة). فهل يفعل المؤمن الحقيقي مثل ذلك؟ محال! ان للمؤمن هيبة لأنه لا يهاب شيئاً الا الله. يدخل المؤمن على الملك فلا يتأثر لأنه لم يدخل على أحد سوى عبد من عبيد الله!

[ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين]

ـ٨/ المنافقونـ

[ان اكرمكم عند الله أتقاكم]

ـ٣/ الحجراتـ

لا أغناكم ولا أقواكم!!

وعجيب أمر المؤمن في حين يدخل على الملك دون أن تطرف له عين، و يتكبر على المتكبرين لأن ((التكبر على المتكبر تواضع)) تجده يتواضع مع المساكين واليتامى كأنه يستحي منهم، وهذا خلق رفيع، فان ترفعه على الماديات والمتغطرسين لا يجعله ينسى مسئولياته تجاه الناس العاديين.

وهكذا نجد ان تواضع المؤمن من جهة واستعلائه على الحتميات المختلفة والمتكبرين من الناس من جهة أخرى تجعله لا يهاب ولا يخشى احداً سوى الله، مما تخلق منه شجاعاً مقداماً رياديّاً مبادراً خلاقاً قادراً على الابداع في شتى المجالات.

اليقين سبيل الاستقامة

• ثانياً: اليقين

من أبرز المكونات الذاتية للشخصية الرسالية هو اليقين، وهو ليس حالة منفصلة عن المؤثرات الشخصية والتربوية الأخرى فهو نتاج جزء من البرنامج التربوي الاسلامي وبدوره له نتائج أخرى.

وان كان من نتائجه العديدة الاستقامة والصبر وتحدي الصعاب وتحمل الأذى، فانه لم يحصل للمؤمن الا نتيجة لطائفة من الحقائق الاعتقادية والتي يجب على الانسان ان يكتسبها و يتحلى بها و يأتي في مقدمة هذه الحقائق الاعتقادية.. «الايمان بالقضاء والقدر».

وتعتبر هذه العقيدة أصلاً جوهرياً في أصول الدين وحجر الزاوية بالنسبة للمؤمن في تشييد حصن اليقين، كما أنها عقيدة راسخة ورشيدة للمسلمين.

وليلة القدر التي انزل فيها القرآن الكريم وجعلها الله أفضل من ألف شهر، كما جعلها الله مناسبة تمر على المسلم مرة كل عام، واذا ما وفق في اغتنامها والعروج الى

الله فيها عبر الدعاء والعبادة واحياء الليل بالذكر والصلاة. ان هذه الليلة لأكبر مذكر للمؤمن بواقع القضاء والقدر في حياة الانسان، اذ في ليلة القدر يفرق كل أمر حكيم فهي ليلة التقدير وتفريق الأمور من الله سبحانه وتعالى لعباده.

والايمان بالقضاء والقدر عقيدة اساسية تنبع من الايمان الحق بالله سبحانه وتعالى وهو ايمان يتدرج عبر ثلاثة مراحل:

●المرحلة الأولى

الايمان بأن الله سبحانه هو الخالق لهذا الكون حيث خلقه ابداعا من غير مثال سابق ولانموذج مماثل،وأنشأه من غير تقليد ولاممارسة لغوب، ولاعلاج تجربة.

●المرحلة الثانية

الايمان بأن الله خالق الخلق، انما أبدع الكون بهدف محدد ولحكمة بالغة فلم يخلقه عبثاً ولم ينشئه لغواً، ولم يبدعه باطلا، يقول الله تعالى:

[أفحسبتم إنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون]

ــ١١٥ــ المؤمنون ــ

و يقول تعال:

[الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم و يتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار]

ــ ١٩١/ آل عمران ــ

و يقول عز من قائل:

[اولم يتفكروا في أنفسهم ماخلق الله السموات والارض ومابينهما الا بالحق وأجل مسمى وان كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون]

ـ٨/ الرومـ

فلم يكن الخلق لعبا ولا لهوا ولاباطلا..

[لو أردنا ان نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين]

ـ١٧/ الانبياءـ

ان الله جل ذكره لايلهو، ولايلعب، ولايخلق شيئا عبثا باطلا.. ولو شاء لاخذ عباده بألوان العذاب، ولكنه سبحانه رؤوف بالعباد، رحيم كريم سبحانه وتعالى عما يصفون علوّاً كبيراً.

ان هذا الكون عقلاني في خلقه ومكوناته، وكل شيء فيه انما هو لأجل، ومن أجل هدف أسمى، اذ تتدرج الاشياء في الاهداف، كما تتدرج في الأسباب، و يقول تعالى:

[وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون]

ـ٥٦/ الذارياتـ

فالهدف الاسمى والأعظم ان يخضع الكون ومافي الكون لرب الكون، و ينقاد له طاعة واداء للدور الذي خلق من أجله.

ولو تأمل الانسان في الكون وما يحو يه من المخلوقات، الكبير منها وما تناهى في الصغر، لما استطاع ان يحكم على شيء من هذه الموجودات بعدم جدوائيته وهدفيته، فلكل شيء مايبرر وجوده.

و يروى في هذا الصدد ان أحد الطغاة كان يتمشى في حديقة قصره فوقع بصره على نوع من الحشرات فاستصغر شأنها، وتساءل: لماذا خلق الله هذه الحشرة؟! و بعد

فتـرة ابتلي بـالـتـهـاب في أنـفه،فقد على اثرها حاسة الشم، فجيء له بطبيب، وبعد معـايـنته وصف له نوعا من الحشرات تؤخذ فتعصر ثم توضع في فمه وأنفه حتى يشفى باذن الله سبحانه.

وحـيـنما جيء له بالحشرة لم تكن سوى تلك التي تساءل واستخف بها وقال: لم خلقها الله!!

كما يحكى ان بهلول دخل على هارون الرشيد الذي خاطب سحابة ذات يوم:

«شرّقي أوغرّبي فأنى ذهبت سيأتي اليّ خراجك»

دخـل عـلـيـه واذا بـذبـابـة تـزعجه فبادره الرشيد قائلا:ـــ **لماذا خلق الله الذباب!**

فأجابه البهلول على البديهـة: «ليذل الله بها أنوف الطغاة والمستكبرين!..

فسكت هارون ولم يحر جوابا!

أجل لقد خلق الله كل شيء لهدف، مادياً كان أو معنوياً.

والـيـوم اسـتـطـاع الـعـلـم ان يـتـوغـل قـليلا في عالم الطبيعة، ويعرف الكثير عن خـصـائـص المـخلوقات في هذا الكون ويكتشف ان لها صلة من قريب أو بعيد بوجود وبقاء الجنس البشري.

فـالـكـثير مـن الحـشـرات على اخـتـلاف انـواعها تقوم بعملية تطهير ذاتي للأرض ولولاها لتعفنت الكرة الأرضية وفسدت الحياة فوقها واستحالت.

وهـكـذا البحار والمحيطات فهي الأخرى لولا وجودها لانعدم الماء الذي هو سبب الحياة ولاستحال بقاء الحياة في الأرض.

وكذلك الأشجار والغابات لولاها لانعدم الأوكسجين وأنعدمت الحياة..بل أكثر مـن ذلـك ان الـتـفـاحـة الـصـغـيـرة لهـا علاقة بالنجوم السحيقة البعيدة في المجرات السماوية.. فكل شيء يتصل بالانسان،وحياة الانسان تتعلق بكل شيء في الوجود.

وهـذه الحقائق هي حديث العلم في هذا الزمن، فنظرية تطور الأنواع قد اكتشفت جـانـبـاً فـقـط مـن هـذه الحـقـيـقـة، اذ الأحـيـاء درجات مختلفة فهي متدرجة من حي صغير لايزيد عن خلية واحدة الى حيّ أكبر وأكثر تعقيداً، الى الانسان سيد الاحياء في المخلوقين،عبر سلسلة متكاملة لاينفصل بعضها عن بعض.

●المرحلة الثالثة

الايمـان بأن الله سبحانه وتعالى حينما خلق الخلق لم يتركه سدى ولم يهمله وانما هيمن عليه..

يقول تعالى:

[الرحمن على العرش استوى]

ــ٥/ طهــ

و يقول تعالى:

[ثم استوى على العرش يُغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً]

ــ٣/ يونســ

فـربـنـا سـبحانه وتعالى مهيمن على الكون لا تصدر فيه حركة الا بأمره ولايتحرك شيء فيه الا بإرادة مباشرة منه سبحانه،وقد جاء في القرآن الكريم:

[وأشرقت الأرض بنور ربها]

ــ٦٩/ الزمرــ

[الله نـور السـمـوات والارض مـثـل نـوره كـمـشـكـاة فـيـهـا مـصـبـاح،المـصـبـاح في زجاجة،الزجاجة كأنها كوكب درّي يوقد من شجرة مباركة]

ــ٣٥/ النورــ

و يقول تعالى:

﴿ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا﴾

ــ٤١/ فاطرــ

فهذه العقيدة اذن تعني الاعتراف لله سبحانه وتعالى بالهيمنة المباشرة على الكون في كل الشؤون خلقا وتوجيها واستمرارية، وبكلمات أخرى تتلخص هذه العقيدة في معنى «بسم الله» حيث تعني الاستعانة بالله والاتصال بنوره واذنه وارادته، وكل شيء في الكون انما كان و يكون بمشيئته.. ففي الدعاء المأثور:

(ومضت على ارادتك الأشياء فهي بمشيتك دون قولك مؤتمرة وبارادتك دون نهيك منزجرة)

ــدعاء الفرج للحجة(ع)ــ

ولاشك ان من ضمن هذه الاشياء ارادة الانسان التي هي من أسمى ما وهب الله له.. فقد منح الله الانسان العقل والروح والنعم ووهب له مابين ذلك الحرية والاختيار حيث تجسدهما ارادته، حينما يختار ان يتحدى الضغوط جميعاً و يقاوم كل الحتميات الخارجية المادّية، أو يختار الاستسلام لها!!

وقد جعل الله سبحانه وتعالى مشيئته بذلك بعد مشيئة الانسان، **ولا أقول أنها** تابعة لمشيئة الانسان ــ سبحان **الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ــ فان مشيئة الله لا** تعلل، وانما هوسبحانه **شاء ان يجعل مشيئته بعد مشيئة الانسان.**

أي اذا اردت الجنة، اراد لك الجنة، وان اردت النار أرادها **لك! اشئت أن تكون** في أعلى علـيين جعلك كذلك، وان شئت أن تكون **أسفل سافلين شاء لك ذلك!** **فحيث يشاء الانسان** جعله الله له.

وليس الانسان بإله حينما جعل الله مشيئته العليا المطلقة **بعد مشيئة الانسان،**

وانما هـذه المـيزة هي الأمانة التي عرضها الله على السموات والارض والجبال فأشفقن وأبين أن يحملنها فحملها الانسان وكان ظلوماً جهولا،لانه لم يؤد حق هذه الامانة.

و بهذه الامانة أصبح الانسان أرفع شأناً من الملائكة،ان كان من الذين أدوا حق هـذه الامانة ،والحديث يذكر ان المصطفى(ص) حينما بلغ وجبرائيل سدرة المنتهى في رحـلـة المعراج توقف جبرائيل، فقال له الرسول الأعظم (ص) تقدم ياأخي جبرائيل فـقـال: لوتقدمت لاحترقت وانما أنت تفضل، فتقدّم الرسول(ص) واقترب حتى كان قـاب قـوسين أو ادنى،وذلك بفضل ارادته الحرة،فانه (ص) تحدّى الضغوط كلها وقاوم الشهوات واغراءاتها بارادته وعقله، فوهبه الله هذه المنزلة.

وهـل اسمى وأكبر من هذه النعمة التي منَّ الله بها على الانسان؟ ومع ذلك فان الحقـيـقة ان هذه المشيئة وهذه الارادة لاتخرج عن مشيئة الله ولا تنفصل عنها وليست الا بها.

[وماتشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين]

ـ ٢٩/ التكويرـ

فـكـل شيء خاضع لارادة الله وهيمنته، ولايستطيع الانسان ان يفرّ من قبضة الله فـلـيـس الانـسـان بـإله،ولانصف اله ولايمكنه ان يتحدى الله، ومتى كان ذلك، لجهله وغـروره، سلبه الله كل امكانياته وسلط عليه أضعف مخلوقاته فيقتله بالشرقة أو بحشرة أو بداء لايدري السبيل للخلاص منه!

●القضاء والقدر

تـلك هي المراحل الثلاث التي تنتج في مجموعها الايمان بالقضاء والتسليم بالقدر، والـقـدر مـشتق من التقدير والقدرة فكل شيء مقدر من الله بحكمة بالغة، وكل شيء

مخلوق بقدر ولهدف معيّن لايتعداه الى غيره.

ولو نظرنا الى واقع الانسان لوجدنا ان عمره يقع ضمن معدل يتراوح بين الستين والسبعين.

والطفل حين يولد يبلغ وزنه حوالي ثلاثة كيلوغرامات، ثم لايلبث ان يصبح ستين أو سبعين والبعض يفوق وزنه المائة كيلوغرام. وطوله يبلغ المتر وثلاثة أرباع المتر وقد يصل البعض الى المترين أو أكثر قليلا.. ولكن هل رأيتم انساناً أثقل من الفيل أو أطول من النخلة؟ كلا..

وبالطبع ان الأمر لايعدو ذلك بالنسبة للموجودات الاخرى كالأشجار والنباتات فكل بذرة تبذر أو حبة تغرس أو فسيلة تشتل، انما تتوفر لها نفس الظروف من التربة والمواد الغذائية والماء والضياء والهواء، الا ان بعضها يصبح نخلة باسقة ممتدة في الفضاء، بينما لا يستطيع البعض الآخر ان يرتفع عن الارض قدر ذراع وانما يحبو و يزحف، والاولى تثمر تمراً، بينما الاخرى لا تعطي سوى الباذنجان.

فلماذا هذا التنوع في الصفات والعطاء رغم وحدة الظروف وتشابه المحيط؟ انه تقدير العزيز العليم فالله قد خلق الطبيعة هكذا ان تسمق اشجار الاثل والسرو، و يتسلق العنب والدباية، بينما يزحف القرع والبطيخ! فيما يندس البطاطس في التراب!!

●القدر استراتيجية ثابتة

فهذه هي الطبيعة وهذا هو معنى القدر.. ان الاشياء تسير وفق المخطط العام للكون. فكل شيء مقدر تقديراً بدقة وانضباط في المجرات الى ان يصل الى الذرات، فمثلا ذرة الزئبق او اليورانيوم من أثقل الذرات، بينما ذرة البوتاسيوم من الذرات

الخفيفة جداً، اما ذرة الهيدروجين فهي أخف الذرات جميعاً، فلماذا هذا التنوع والاختلاف..؟ فهذه ذرة وتلك ذرة، ولكن الالكترونات كماالبروتوناتهي في كل ذرة بمقدار معين، يقول تعالى:ـ

[وكل شيء عنده بمقدار]

ــ٨/الرعدــ

[ان الله بالغ أمرهقد جعل الله لكل شيء قدراً]

ــ٣/الطلاقــ

●الارادة تحاور القضاء

ان الكون وما فيه خاضع للقدر، ولكن أهم أقدار الله في الكون هو القضاء، ان القضاء جزء من القدر .. ولاأدري لماذا يقال «القضاء والقدر» بينما حسب التسلسل ينبغي ان يقال «القدر والقضاء» ولكن ربما لان الانسان في كثير من الاحيان يتعامل مع القضاء أكثر من تعامله مع القدر..

فمن القدر، السنن الكونية الثابتة التي لا تتغير! وبعضها سنن لا يصل اليها العقل، وبعض منها يستوعبها عقل الانسان.

ومن القضاء أن سعي الانسان المرتبط بطبيعة حياته وتحركه ونتيجة لها، حيث يقول سبحانه:

[وأن ليس للانسان الا ماسعى]

ــ٣٩/النجمــ

يروى ان الامام علي (ع) كان جالساً تحت جدار معوج يكاد ان ينهار فقال له أحد أصحابه ياأمير المؤمنين ان الجدار معوج! فنهض الامام من مكانه وجلس الى جدار آخر سليم، فما لبث ان انقض الجدار الاول فسأل أحد الحاضرين قائلا: أمن قدر الله تفر..؟ فأجابه الامام قائلا:

□(نعم فررت من قدر الله الى قضائه)□

أجل ان الجاذبية الارضيـة سنـة كونية من قدر الله ولكن الارادة التي يمتلكها الانسـان يستطيع ان يغير و يبدل و يتصرف في هذه السنة الكونية بقضاء الله،بحيث يتفادى القدر، فقد قضى الله ان الكون يتبدل و يتغيّر حسب مشيئة الانسان، فاذا شاء استطاع ان يغيّر القضاء فمثلا جاء في الروايات ان صلة الرحم تزيد العمر،وقطعها يقصم العمر، فاذا كان مقدراً للانسان ان يعيش ٦٠عاماً، فوصل رحمه أصبح ثمانين عاماً، او العكس اذا قطع رحمه نقص عمره من ستين الى اربعين عاماً..

وكذلك الظلم يبتر العمر، وصلاة الليل تطيله! وهكذا فالقضاء قد يغلب القدر.
ومن قدر الله ان النار تحرق، ولكن من قضائه ان تصبح برداً وسلاماً على ابراهيم.
ومن قدر الله ان تكون المسافة بين مكة والمدينة ثابتة، ولكن من قضائه ان يستغرق المسافر اسبوعاً مشياً على الأقدام، او ساعة واحدة في الطائرة.!

ان الكون قائم على أساس القضاء والقدر ! فأما القدر فلا تستطيع ان تتحداه، وأما القضاء فبامكانك تغييره!

ان طولك وحجمك وقوتك ولونك قدر، فهل يمكن ان تتحداه..؟

انك لا تستطيع ان تحدد نسبك ولا وقت ولادتك، لان هذا من القدر. فالأفغاني أفغاني وعليه محاربة الروس، لانهم يحتلون بلاده، والفلسطيني فلسطيني وعليه ان يقاوم الاحتلال الاسرائيلي والتدخل الامريكي شاء أم أبى فهذا قدر لا يُتحدى.

ولكن هنالك قضاء منحه الله لك حسب نياتك، وبسبب أفكارك المتلاحقة واختياراتك المكثفة وقراراتك المتتالية.

وكما جاء في الحديث

■(وعلى قدر نياتكم ترزقون)■

و يقول الباريء عزوجل:

[ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً]

ـ٩٦/ مريمـ

[ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم]

ـ٨/ لقمانـ

*[ومن يتق الله يجعل له مخرجاً * و يرزقه من حيث لا يحتسب]*

ـ٢،٣/ الطلاقـ

فهذه القضايا هي من القضاء،فبسبب افعالك وقراراتك الصحيحة اوتيت حسناً، و بسبب قراراتك الخاطئة أصابك السوء، ففي الدعاء المأثور «**وا كفنا شر ما قضيت فانك تقضي ولا يقضى عليك**»

وفي الحديث:

■«**بالصدقات تدفع البلوى**»■

والدعاء والصدقة عملان يمكن ان تكف بهما شر القضاء!!

ومتى ما آمن الانسان بأنه واقع بين محوري القضاء والقدر، ومحكوم بهما، خاضع لقوانينهما، وهوبين التسليم بالقدر وحسن التصرف في القضاء، فانه لايجزع ولايشك ولايقلق، فاذا ماأصابه خير قال هذا قضاء الله فشكره، واذا ما أصابه سوء لم تتوتر أعصابه، وانما حمد الله واستغفره، اذ ان ماحل به قد يكون كفارة لما أذنب، وقد يكون بالفعل ماأصابه من سوء انما جاء لأسباب بعيدة لايدركها، كأن يريد الله ان يختبره فيمحص ايمانه و يزيده ثوابا ويحط أوزاره، وأما ان تكون من نفسه هولأهمال تجاه نفسه أو جسده أو لظلم قام به أو لعدم توفيقه بالدعاء أو الصدقة و بالتالي نتيجة تصرفاته.

[ما أصابك من حسنة فمن الله، وماأصابك من سيئة فمن نفسك]

ـ ٧٩/ النساء ـ

[وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم]

ـ ٣٠/ الشورى ـ

واذا بلغ الانسان حد اليقين في ايمانه عرف انه لن يصيبه الا ما كتب الله وقضى له بقدرته المطلقة وحده، وماقضاء الله الا لان الانسان نفسه اراده بقرارات سابقة قد لاينتبه اليها.

فهذه العقيدة تظهر للانسان عقلانية التدبير في هذا الكون فلا يخشى مايحدث. كما لايجهل الكون وما يرجي عليه من صروف الليالي والايام وحينئذ لايتأثر بالضغوط لانه يؤمن بأنها اما قدر واما قضاء!

وقد اشاد القرآن بالموقنين اذ قال:

[وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون]

ـ ٢٤/ السجدة ـ

وقد ورد في الدعاء المأثور عن الرسول الأعظم(ص) تفسير اليقين، حيث يقول:

■(اللهم اني اسألك ايمانا يملأ قلبي. ويقينا صادقا حتى أعلم انه لن يصيبني الاما كتبت لي، ورضّني من العيش بما قسمت لي)■

فاليقين كما هو واضح من مقطوعة الدعاء هو الوصول الى درجة من اليقين الصادق والاطمئنان بأن الله سبحانه هو خالق الكون ومدبر الامور جميعاً وفق حكمته.

●تجلي اليقين

ولليقين تجليات في قلب المؤمن وتجسيد في واقعه ففي القرآن الكريم:

[واعبد ربك حتى يأتيك اليقين]

ـــ٩٩/ الحجرـــ

وفي رواية عن جابر بن عبد الله الجعفي يقول: سألت أباعبد الله الصادق(ع) عن اليقين ما هو؟

فقال: □**(ياأخا جعف: ان الايمان أفضل من الاسلام، وان اليقين أفضل من الايمان، ومامن شيء أعز من اليقين)**□

فالانسان المؤمن اذا وصل الى مرحلة يعرف فيها انه مامن شيء في الكون الا وفق خطة مرسومة سلفاً فانه لاينزعج، وانما يملأ حياته وقار الايمان.

لقد وصل رسول الله (ص) الى درجة من اليقين بحيث قال لعمه ابي طالب بعد ان أغراه مشركو قريش بشتى المغريات:

■**(والله ياعماه: لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان أترك هذا الأمر ماتركته حتى يظهره الله، أوأهلك دونه)**■

هذا هو اليقين الصادق.. يقول الامام أبو جعفر الباقر(ع):

□**(انما هو الاسلام، والايمان فوقه بدرجة، والتقوى فوق الايمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة)**□

فالامام يبين هنا درجات الدين من الاسلام فالايمان فالتقوى فاليقين الذي هو أعلى مراتب الدين.

فسأل الراوي: فأي اليقين؟ فأجاب الامام بقوله:

□(التوكل على الله والتسليم له..)□

فبالتوكل والتسليم لايخاف الانسان شيئاً اذ يعلم ان كل شيء متصل بالله اتصالا وثيقاً، بل يقتحم الامور والصعاب، لان الانسان لايخاف من الله فهو اللطيف الرحيم، ولامن تقديره فهو العليم الحكيم، وانما يخاف من ذنوبه وسيئاته.

كما جاء في الحديث.

■(ولا يخافنّ أحد الا ذنبه)■

فان لم يذنب أمن وأطمأنّ، فالله لايعاقب الا المسيئين، وآنئذ ينتزع الخوف من قلب الانسان، وانتزاع الخوف من قلبه يعني تفجير طاقاته تماماً كما تتفجر القنبلة اذا ماتم انتزاع الصاعق منها..

فالانسان،الذي من طبيعته الخوف عادة مايكون محدود النشاط والفعاليات، فهو يخاف المستقبل و يتهيّب الناس، ويخاف من الفشل ومن الطبيعة ومن الموت فالخوف أمامه ويحيط به من كل جانب فكيف لايكون مشلولاً وتكبله قيود الخوف من كل شيء؟

أما الذي بلغ درجة اليقين فانه لايخاف شيئاً حتى الموت، لأنه يعلم ان الموت لن يحن الا في أجله، واذا جاء فلا راد له ولامفرّ منه، وهذا معنى التوكل على الله بالتحرر من الخوف بجميع أشكاله، والتسليم لله في كل ماقضى وحل بالانسان.

ثم يتابع الامام في تفسير اليقين:

□(والرضا بقضاء الله والتفويض الى الله..)□

فهو القبول بما قسم الله من الموت والحياة والرزق، والاقتناع بما أوتي من خير وشر دون الاعتراض على الله او انتقاد الأقدار او التساؤلات التي تبدو وكأنها ردّ على الله سبحانه فان تلك الانتقادات قواصم تقصم ظهر الانسان لأنها ضد التسليم بأمر الله، انما مثل هذا كمثل من يضرب بيده صخرة فتنكسر، ثم يصرخ متألماً لماذا الصخر لايلين؟

ان الاعتراف بالكون وقوانينه هو الرضا بقضاء الله والتفويض له، كما جاء في القرآن الكريم:

[فستذكرون ماأقول لكم وأفوض أمري الى الله، ان الله بصير بالعباد]

ـ٤٤/ المؤمنـ

والتفويض هو ان تثق بالله وتتوكل عليه وتعمل ولا تسأل عن النتائج.

وفي بيان آثار اليقين ونتائجه يقول الامام ابو عبدالله الصادق(ع):

□(من حسن يقين المرء ان لايرضي الناس بسخط الله)□

وهذه أولى بوادر اليقين ونتائجه الاجتماعية، وكما أشرنا في بداية الموضوع ان من نتائج اليقين الاستقامة في الحياة وتحدي الضغوط لأن المرء حين يعلم ان أموره ليست بيد هذا او ذاك من الناس، فان اهتمامه آنئذ ينصب على جلب رضا الله، ولايطلب رضا الناس اذا كان فيه سخط الله! ثم يقول:

□(ولايلومهم على مالم يؤته الله..)□

فهو لايحسدهم ولايتطلع الى ما بين أيديهم من الخير وانما هو مشغول بنواقصه وعيوبه كي يتلافاها..

و يضيف الامام:

□(فان الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا يردّه كراهية كاره، ولو ان أحدكم فرّ من رزقه كما يفرّ من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت.. ان الله بعدله وقسطه جعل الروح والراحة في اليقين والرضا، وجعل الهّم والحزن في الشك والسخط..)□

وفي حديث يرو يه الامام علي(ع) عن النبي(ص) قال:

□(لايجد عبد طعم الايمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطأه، وأن ما اخطأه لم يكن ليصيبه، وان الضار والنافع هو الله عزّ وجل)□

و يقول الامام في موضع آخر:

□(الأيمان على أربع دعائم، العدل والتوحيد والصبر واليقين..)□

وفي واقعة صفين فيما كان الامام علي(ع) ذات يوم يعبيء الصفوف كان معاو ية مستقبله على فرس له، يتأكّل تحته تأكّلا ــ أي كان يتفجر غيضاًــ والامام علي على فرس رسول الله «المرتجز» و بيده حر بة رسول الله متقلداً سيفه ذا الفقار، فقال رجل من أصحابه، له:

أحترس ياأمير المؤمنين فاننا نخشى ان يغتالك هذا الحاقد فقال عليه السلام:

□(لئن قلت ذاك فانه غير مأمون على دينه، وأنه لأشقى القاسطين وألعن الخارجين على الأئمة المهتدين، ولكن كفى بالأجل حارساً،ليس أحد من الناس الا ومعه ملائكة حفظة يحفظونه من ان يتردّى في بئر اويقع عليه حائط، اويصيبه سوء، فاذا جاء أجله خلّوا بينه وبين مايصيبه، وكذلك أنا اذا حان أجلي انبعث أشقاها فخضب هذه من هذا ــوأشار الى لحيته ورأسهــعهداً معهوداً ووعداً غير مكذوب)□

فلم يكن يعبأ بما يتر بص به معاو ية له.

ان لليقين علامات سلوكية.. كالشجاعة والاستقامة والبطولة والرضا وعدم التأثر

والاستفزاز، وعدم الفزع او القلق او الغرور او السخط على ماأوجب الله سبحانه وتعالى.

كما ان من علاماته السلوكية التبتل الى الله عزّ اسمه، والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، لانه من استولى عليه اليقين فانه بلا شك موقن بالموت والحساب والمعاد، واثق بأن الامور بيد الله سبحانه و به تتصل الاسباب.

وحول هذه النقاط يروي اسحاق بن عمار عن أبي عبدالله الصادق(ع) انه قال:

□(ان رسول الله(ص) صلى بالناس الصبح فنظر الى شاب في المسجد وهو يخفق و يهوي برأسه ــأي من النعاســ مصفر اللون، قد نحف جسمه وغارت عيناه في رأسه فقال له رسول الله: كيف أصبحت يافلان؟فقال:«أصبحت يارسول الله موقناً» فعجب رسول الله من قوله،فقال له: ان لكل يقين حقيقة، فما حقيقة يقينك؟ فقال: «ان يقيني يارسول الله هو الذي أحزنني وأسهر ليلي، وأظمأ هواجري ــ أي اصوم الايام الهجير شديدة الحرّــ فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها حتى كأني أنظر الى عرش ربي وقد نصب للحساب وحشر الخلائق لذلك وأنا فيهم وكأني أنظر الى أهل الجنة يتنعمون في الجنة و يتعارفون، على الارائك متكئون، وكأني أنظر الى أهل النار وهم فيها يعذبون مصطرخون، وكأني الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي» فقال له رسول الله: (هذا عبد نوّر الله قلبه بالايمان) ثم قال له: (الزم ما أنت عليه) أي أنك وصلت الى درجة عالية جداً من الايمان واليقين فأبق عليهاــ فقال الشاب: «أدع الله لي يارسول الله ان أرزق الشهادة» فأنا وصلت الى ما وصلت اليه من اليقين، ولكن بقيت مرحلة أسمى الا وهي الشهادة.

.وقد قال رسول الله:(ان فوق كل ذي برّ برّ حتى يقتل المرء في سبيل الله، فاذا قتل في سبيل الله فما فوقه من برّ..)

فدعى له رسول الله، فلم يلبث ان خرج في بعض غزوات النبي(ص) فاستشهد مع تسعة نفر وكان هو العاشر.

الحكمة والاجتهاد
في شخصية الرسالي

● ثالثاً: الحكمة ومنهجية التفكير

يأتي ضمن المكونات الذاتية الاساسية للشخصية الرسالية: الحكمة ومنهجية التفكير، وبالتالي التخطيط السليم.

ومن الطبيعي أن يتصرف الناس في قضاياهم الحياتية بشيء من الحكمة، إلا أنهم في مسيرة حياتهم العامة لا يملكون استراتيجية كليّة ولا أهداف محدودة لذلك فهم يفتقرون الى الحكمة في ذلك مما يجعلهم عبيداً لهذا يوماً، وعبيداً لذاك يوماً آخر.

والمؤمن كيّس فطن وحكيم، لان الحكمة جزء من مكونات شخصيته الرسالية، ولكن السؤال كيف..؟

١ ــ المؤمن ينظر بنور الله

يقول الله سبحانه تعالى:

﴿ان في ذلك لآيات للمتوسمين﴾

ــ ٧٥/ الحجر ــ

يعني للذين يتوسّمون في نظرهم فيعرفون سمات الأنبياء، وعلامات الأشياء ومن خلالها يدركون حقائق الأمور و يسبرون غور المسائل ليصلوا الى عمق القضايا، لان الايمان أساساً هو (التوسم)، والنظرة العميقة والتدبرية للاشياء والحياة. كيف عرفت الله ولم آمنت به في حين كف الآخرون؟ وما الدافع وراء جحود الكافر..؟

ومما لاشك فيه ان النظرة السطحية للأشياء دون الاعتبار والتفكر، هي احدى الموانع التي تحول بين الكفر والايمان، فالمؤمن حين يرى الشمس يتساءل عن خالقها ومدبرها، واذا رأى القمر تساءل عن مجريه، وهكذا بالنسبة للرياح والفلك والجبال والسماء والأرض وما فيها من دابة أو طائر لايراها، الا و ينفذ ببصيرته الى حكمة خلقها، والسنن التي تجري فيها و بالتالي يستدل بها على أن نفسه ليست بيده! يقول الامام علي(ع):

□(عرفت الله بنقض العزائم وفسخ الهمم)□

أما نظرة غير المؤمن فانها نظرة قشرية جامدة لايستطيع أن يحدد المرض عبر الاعراض ولا يتبيّن عدوّه من خلال الملامح، كما لا يستطيع اكتشاف الحقيقة الكامنة وراء العلامات!

وهذا يعني ان المؤمن ما كان ليؤمن بالله لولا نفاذ بصره عبر بصيرته بالاعتبار من الأمور والتأمل في واقعها لاستنباط حقائقها، فهذه الطريقة هي التي توصل المؤمن الى الايمان وترسخ ايمانه، كلما رأى آية أو علامة جديدة.

فان افتقر المؤمن ازداد ايمانه، وان استغنى ازداد عمله وتقواه، وان مرض أو شفي أو قوي أو ضعف، فانما تزيده تلك الحالات قناعة ورضاً بأمر الله وقضائه، وكل الأحوال والظروف تهديه الى الله حتى يصل الى الدرجة التي يقول معها.

□(ما رأيت شيئاً الا ورأيت الله قبله ومعه وبعده)□

ومادام الأمر كذلك فانه بالنسبة للطبيعة يتوسم ماوراءها ليكتشف الحقيقة من

علاماتها. وانما يستطيع ذلك بنور الله سبحانه وتعالى..

٢ـــ التفكر آية المؤمن

والمؤمن حكيم نتيجة لتوجهاته العليا وسيطرة التفكر عليه، اذ تتولد الحكمة من خيوط التفكير. ولذلك فهو لا يلهو، وانما هو دائم الانشغال بالتفكر في السماء والأرض والطبيعة والخلق، في المجتمع والناس والأهل والنفس والأمة والمستقبل والماضي والحاضر، في التغلب على المصاعب وعوامل الهدم، والتفكير الجاد في ما يدفع المسيرة الى الامام، في عوامل البناء والتقدم والاعداء والمعارك والتحرير والاستقلال.

انه لا ينشغل كالكافر في توافه الأمور: في اكله وشربه وملبسه وفرجه، أو يقضي الوقت لاهياً عابثاً لتعبئة الفراغ وقتل الوقت، أو تمضي الأيام عليه قلقاً مضطرباً متوتر الأعصاب مما يحطم قدراته و يستهلك طاقاته و يتلف أعصابه، وانما يصرف جهوده نحو البناء! وقد ورد في الحديث الشريف قوله(ص):

■(اذا رأيتم المؤمن صموتاً فادنوا منه فانه يلقّى الحكمة فيفجر الله ينابيع الحكمة في قلبه)■

لأنه غير مشغول بالتوافه وصغائر الأمور. فان البال اذا انشغل بمسألة تافهة لا يستطيع أن يستوعب شيئاً آخر، فما جعل الله لرجل من قلبين في جوف واحد، ولو أنك وضعت ابريق الشاي على النار حتى يغلي ثم أخذت هذا الكتاب بين يديك فانك ستجد نفسك ـــ ولا شك بعد عدة صفحات ـــ لم تستوعب تماماً ما قرأت لأن بالك مشغول بالابريق فوق النار.

وهكذا بالنسبة للمسائل الأخرى كهموم الدَيْن أو التجارة أو.. أو.. فان هذا العقل المنصرف نحو قضايا هامشية لا يستطيع في هذه الحالة أن يستوعب الأحاديث والحقائق العلمية، لأن الفهم آنئذ يستعصي، اما المؤمن فانه يأبى أن ينشغل بهذه الأمور التافهة لأنه لا يهتم بالدنيا لزهده فيها قلبياً لا تصنّعاً وتكلفاً، لذلك يتفجر

قلبه حكمة، و يضيء عقله بنورها فيتضح أمامه الطريق.

٣ــ أسمى درجات التفكر

حينما يتفكر المؤمن فانه لا يختار أي موضوع للتفكر، وانما يختار أسمى الدرجات بحيث ان الامام(ع) يصف عبادة أبي ذر بأنها لم تكن سوى التفكر.. اذ يقول:

□(كان اكثر عبادة أبي ذر التفكر)□

فما هذا التفكير..؟ لاشك انه من النوع الذي يقول عنه رسول الله(ص):

■(تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة)■

أجل ان العبادة ليست بطول الصلاة والقيام وكثرة الصيام، وانما يكفي أن يتفكر المؤمن ساعة كي تكون تلك الساعة أفضل من عبادة سبعين سنة!

وقد سئل الامام علي(ع) عن نوع هذا التفكر فأجاب:

□(اذا طاف المؤمن على البيت الخربة وقف يتساءل: أين أهلك وبانوك..؟ ويمر على البلاد المهجورة أو المهدمة فيتساءل عن ساكنيها أين حلوا أو ارتحلوا؟)□

فقلبه يضرب في الماضي بحثاً عن سنن التاريخ، ثم يستنبط منها القوانين الالهية في الطبيعة والاجتماع حتى يصل الى عمق فلسفة الحياة ليكتشف بعد ذلك ماهية الدنيا فيلقي عن نفسه أغشية الجهل كالغرور والوهم والخرق والحماقة. وليفهم حقيقة الدنيا بأن «**الدنيا تغرّ، وتضر، وتمرّ**» فهي من بعيد تبدو للمرء كالياقوتة البراقة، فاذا دنا منها وجدها حجرة حمراء تكوي، ثم لا تلبث أن تشيح بوجهها عنه لتسلبه كل محاسنه!!

فالمؤمن على هذا النحو يستدل بما كان على مايكون، وبما مضى على مايأتي، فالذي جرى للاولين من السنن سيجري على اللاحقين دون أدنى شك، وهذا هو عمق

التفكر المطلوب الذي تعادل منه الساعة سبعين سنة أو اكثر من العبادة..

٤ ـ التفكر فريضة قرآنية

حينما يحث الاسلام المؤمنين على التفكر فانه لا يطلب من المؤمن أن يهتم بأموره الشخصية والعائلية فحسب، ولا يطلب منه الاهتمام واشغال الذهن بمسائل الآخرة فقط، بل يطالبه بالتحرر من نطاق الذاتية ليشمل تفكيره المجتمع، والأمة، بل العالم البشري، وكما يهتم لآخرته يهتم لدنياه فلا ينشغل بالقضايا العبادية مثلا عن القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية.. فيضرب في الآفاق البعيدة تماماً، كما يهتم بظروفه الخاصة والقريبة.

وهنالك العديد من النصوص الاسلامية التي تطلب من المؤمنين مباشرة التفكر والسياحة في الارض طلباً للعبرة والتدبر واستخلاص عِبر التاريخ من سيرة الأمم السابقة.

فالله سبحانه وتعالى يقول:

﴿كذلك يبيّن الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ❁ في الدنيا والآخرة﴾

ـ٢١٩، ٢٢٠/ البقرةـ

وفي تفسير هذه الآية تقول بعض الروايات ان نهاية الآية تأتي بعد كلمة الآخرة، وحتى من يتأمل قليلا في القرآن الكريم يتبين كيف ان كتاب القرآن والمهتمين بخطوطه و بشئون الوصل والفصل قد بيّنوا أنه خلال القرآءة، يجب أن تكون متواصلة رغم وجود علامة انتهاء الآية، فالقضية اذن ان «في الدنيا والآخرة» تتعلق بـ (تتفكرون) أي ان تفكيرهم لا يقتصر على الامور الأخروية، وانما حتى في الأمور الدنيوية ومن يفهم الآخرة ومتطلباتها لاشك يفهم الدنيا، وكيف يتصرف فيها فليست الدنيا والأخرة منفصلتين، وانما هما وحدة واحدة توجد عتبة في مقدمتها، يعني

بعد أن تجتاز جزءا من مقدمتها عليك أن تخطو عتبة أخرى هي «الموت» لكي تستقبلك الساحة برحابتها.

[كذلك يبيّن الله لكم الآيات]

يعني العلامات، أي حينما تتوضح لنا العلامات فان علينا ان نتفكر فيها..

[لعلكم تتفكرون]

و يقول سبحانه:

[قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين]

ـ١١/ الانعام ـ

وهنا يأمر ربنا سبحانه وتعالى بالبحث العملي سعياً وتنقيباً وتحصيلاً و ينهى عن الجلوس في الابراج العاجية والتفكر من فوق، بماذا جرى..؟ وكيف جرى..

وانما اذا أردنا أن نفهم ماذا جرى وكيف، فعلينا التحرك في آفاق الارض.

وفي آية أخرى:

[فاقصص القصص لعلهم يتفكرون]

ـ١٧٦/ الاعراف ـ

فهنا يشير الله سبحانه وتعالى أن الهدف من التاريخ هو التفكر والوصول الى عمق الحقائق..

ثم يقول تعالى في موضع آخر:

[أو لم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون]

ـ١٨٥/ الاعراف ـ

أي أن الهدف من تحصيل العلوم الطبيعية هو الوصول الى عمق الحياة وفهم الحقائق فعلى المؤمنين ان يكثروا التفحص والنظر في ملكوت السموات والارض..

و يقول تعالى:

***[ان في ذلك لآيات للمتوسمين *وانها لبسبيل مقيم *ان في ذلك لآية للمؤمنين] ***

ـ ٧٥،٧٧/ الحجر ـ

وقد سبقت الاشارة الى هذه الآية في بداية الموضوع.. فالقرآن يستمر في هذا النحو من الحث على التفكر والتدبر واستخدام الذهن فيما يفيد الانسان والمجتمع والعالم بأسره بالتفكير الجدّي فيما هو صالح، وان عجز الانسان ان يرحل الى الآفاق فلينظر الى نفسه وما انطوى فيها من المعاجز والعبر.

يقول تعالى:

***[سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم انه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد] ***

ـ ٥٣/ فصلت ـ

أما الأحاديث التي تتحدث عن ذلك فهي الأخرى كثيرة ومتواترة .. ففي الرواية التي يؤكد فيها الامام علي(ع) وجوب ايقاظ القلب وتنبيه العقل بالتفكير وما يحتاج في ذلك الى ارادة وتصميم نجد فيها جوانب مختلفة تتعلق بايقاظ الاحساس واشعال الوجدان يقظة واعتباراً.

يقول الامام(ع)

□(نبّه بالتفكر قلبك، وجاف عن الليل جنبك ـ أي لا تنم كل الليل ـ واتق الله ربك)□

وجاء في حديث آخر:

□(أفضل العبادة امعان التفكر في الله وفي قدرته)□

وفي حديث ثالث:

□(طوبى لمن كان صمته فكراً، ونظره عبراً، وكلامه ذكراً، وسعى وبكى على خطيئته وسلم الناس من لسانه ويده)□

و يروي عن الامام الصادق(ع) انه قال:

□(الخير كله في ثلاث خصال: النظر والسكوت والكلام. فكل نظر ليس فيه اعتبار فهو سهو)□

بمعنى اذا رأى الانسان أوساخاً في الشارع فليذكر بأن النظام حق، وان النظافة من الايمان وليعتبر مما يرى، واذا ما شاهد حادث اصطدام سيارتين فلينظر اليه بعبرة لا على اساس أنه قضاء وقدر فحسب، وانما عن الأسباب حيث أخل السائق بقانون المرور أو أحد أنظمة السير، وهكذا في مختلف القضايا.

□(وكل سكوت ليس فيه فكر، فهو غفلة، وكل كلام ليس فيه ذكر فهو لغو، فطوبى لمن كان نظره اعتباراً، وسكوته فكراً، وكلامه ذكراً، وبكى على خطيئته، وأمن الناس شرّه)□

٥ ــ التفكر يهدم الحواجز

حينما يطلق المؤمن العنان لعقله بالتفكر بحثاً عن الحقيقة فان الحواجز تنهار امامه، والحجب تتمزق، فهو لا يعترف بالاغشية، وانما يخترقها سعياً وراء الهدف، بينما تقف الغفلة حاجزاً بين الكافر ومراده وتأتي بعدها الشهوة حجاباً آخر اضافة الى غشاوة الجهل.

واذا أراد المؤمن أن يقيّم أمراً من الأمور عرضه على عقله وتحدى كل الحواجز والعوائق وسلط عليه أضواء الفكر السليم ثم يعطي رأيه فيه دون تلكوء، أو خوف من تهديد بالضرب، أو الشتم، أو القتل.

فهو يفكر بعيداً عن الخوف، أو الحب والكراهية، و بكلمات أخرى يتجرد من كل العلاقات المادية، ثم يقيّم الحوادث.

وعلى سبيل المثال.. فأنا كمسلم أتمنى أن تنتصر جيوش الاسلام، وكل القوى الاسلامية، وتهزم كل قوى الكفر والالحاد والاستكبار العالمي ــ ان شاء الله تعالى ــ.

ولكن لا يكفي هذا وحده، اذ انه لا تدرك الغايات بالتمني ولا بالحكم على الاشياء، وانما تدرك الغايات و يصح الحكم على الحوادث باستقاء المعلومات الصحيحة واعتماد الوقائع بذاتها، فالنظام الفاسد لن يسقط لأني اكرهه، وذاك الخائن لن يموت بمجرد غضبنا عليه، والعدو لن يعدم لمجرد انني لا أحبه. (ما كل ما يتمنى المرء يدركه، تجري الرياح بما لا تشتهي السفن).

فالمؤمن اذن عند تقييمه للحوادث، لا ينطلق من الحب والبغض والشهوة، أو الغفلة والجهل، وانما يقول الحق و يتبع المنهج الاسلامي السليم في التفكر ليصل الى جوهر الحقيقة:

●رابعاً: الاجتهاد

بقي أن نستعرض اجتهاد المؤمن في أداء العمل كعنصر ذاتي في مكونات الشخصية الرسالية. فالمؤمن لا يكتفي بشيء من الاعمال، وانما يختار أفضلها، هذا من ناحية الكيف. أما من ناحية الكم فانه لايقوم بجهد مبتور، ذي بعد واحد، وانما يحرص على أن يؤدي اكثر ما يمكن من العمل، و يقوم بأكبر قدر من الاعمال المختلفة.

اما دوافع المؤمن الرسالي نحو الحركة والعمل فهي تتلخص فيمايلي:

•أ ـ تحطيم الاغلال

فالمؤمن يتحدى كل العقبات التي تعترض طريقه في السعي والتحرك، لأنه أعدّ لكل عدوّ سلاحاً،فالجبن أعدّ له التوكل، والخوف استعان عليه بالثقة بالله وبالمستقبل، ومغريات الدنيا استعد لها بقوّة الارادة ونعيم الآخرة، ولوم اللائمين ومدح المادحين أو الأغلال الاجتماعية الأخرى تسلح ضدها باليقين، فلا يخاف في الله لومة لائم، كما لا يثنيه مدح المادحين عن الاعتراف بعيوبه ونقائصه.

فالمؤمن بطبعه كالنور حيث طبيعته الارشاد والانتشار والاضاءة، وقد جاء في الحديث أن طبيعة الانسان نوريّة!

فمن طبيعة الانسان الحركة، وان الاغلال التي ختمت على اعناق الناس هي التي اركنتهم الى الجمود، فلما جاءت رسالة الاسلام وضعت عنهم هذه القيود.. يقول الله سبحانه وتعالى:

[الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحلّ لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم]

ـ١٥٧/ الاعراف ـ

فاذا تخلص المؤمن من أغلاله عاد كالنور دائم الحركة لا يكل، ولا يمل،ولا يكسل، ولا يفشل.

• ب ـ كيف نتقي سوء المصير؟

فالمؤمن ملتهب القلب مشتعل اليقين يقظ الضمير وصاحب حاجة، إنه مشغول باتقاء النار لنفسه وأهله وذويه يقول تعالى:

[يا ايها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة..]

ــ٦/ التحريمــ

فهو دائماً يرفع يديه بالدعاء ضارعاً الى الله سبحانه وتعالى:

[ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار]

ــ٢٠١/ البقرةــ

و يظل أبداً كالملدوغ وكالملاحق الذي تطارده السباع فيجهد نفسه الى أن يصل الى مأمن يقيه شرّ الهلكات، فهكذا يتحرك المؤمن.

[واعبد ربك حتى يأتيك اليقين]

يروي زيد بن علي عن ابيه الامام زين العابدين عليه السلام، فيقول:

((كان أبي يصلي الليل الى الفجر، فاذا أصبح الصباح يذهب الى فراشه حبواً)).. لان ساقه لا تحمله فقد استهلكت طاقتها في الوقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى، لأنه يبحث عن شيء، فقلبه متوهج.

اما غير المؤمن فانه يكسل و يبرر نومه طول الليل، بأن الملائكة ستصلي عنه، و يتقاعس عن الجهاد و يدّعي بان الله ورسوله سيكفيانه، و يندد القرآن بأمثال هؤلاء حيث يستنكر مقالة بني اسرائيل لموسى:

[فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون]

ــ٢٤/ المائدةــ

فغير المؤمن يبرر تهرباً من العمل، و يكذب ان طُلب منه عمل و يسمي ذلك كذباً ابيض، و يكسل ثم يدّعي المرض أو الصداع أو النسيان أو يتذرع بمختلف المعاذير المختلفة وغير الواقعية.

ان المؤمن لايعتذر، لأنه لا يخطىء، ولا يكذب، ولا يغدر، ولا ينكث، فهو مقيّد بقيم.. ومجتهد في العمل لانه هادف، ثم هو لايريد أن يأكل حراماً، وانما يحاسب نفسه على اللقمة من أين وكيف جاءت؟

●ج ـ النزاهة ومحاسبة النفس

ان المؤمن لا تجذبه الشهوات عن أهدافه، ولا تلهيه نفسه عن آخرته فهو نزيه ودقيق في تصرفاته، حول نومه وأكله وصلاته ومكان صلاته، لا يريد أن يدخل الغضب في شيء من أعماله فيحبطها، أو أكله ولباسه فيحرقه.

يروى ان داود(عليه السلام) الذي كان نبياً ملكاً، كان يطوف في ولايته متنكراً يتعرف احوال عماله ومتصرفيه، فاستقبله جبرائيل ذات يوم على صورة آدمي، وسلَّم عليه، فرد داود السلام، وسأله قائلا: ما سيرة داود؟ فاجاب جبرائيل: نعمت السيرة لولا خصلة فيه. قال: وما هي؟ اجاب جبرائيل: انه يأكل من بيت مال المسلمين، فشكره وأثنى عليه وقال: لقد اقسم داود انه لا يأكل من بيت مال المسلمين، فعلم الله سبحانه صدقه، فألآن له الحديد، كما قال تعالى:

﴿وألنّا له الحديد﴾
ـ ١٠/ سبأ ـ

فكان داود النبي يصنع الدروع و يبيعها و يقتات منها.

هكذا يتصرف الملك داود الذي يحق له شرعاً أن يأكل من بيت المال. اما ملوك اليوم فانهم يأكلون بيوت المال ذاتها، و يسرقون العباد والبلاد ارواءاً لشهواتهم ونزواتهم الشيطانية.

وكثير من فقهائنا رضوان الله عليهم كانوا يعملون، اما بالزراعة أو الخياطة أو البيع والشراء، و يقتاتون عن هذا الطريق. وكان الجميع يحرصون على محاسبة أنفسهم

كـي يـفـدون على الله نزيهين. ان هؤلاء العظماء لايأكلون من بيت المال رغم ان لهم الحق في ذلك، ولكنهم يتعففون و يتحرجون فيعمل واحدهم ليلاً أو نهاراً ليحصل على قوته وقوت عياله وأثاث منزله و يردد في ضميره.. «فاز المخفّون»!

بـيـنـمـا الآخر غير المؤمن، يقول: (الحلال ما حلّ باليد) ويملأ بطنه ناراً من أموال الـيـتـامـى أو مـن أمـوال الـسلاطين وحكومات الجور بالتزلف اليها ومن أموال الغش والغدر والخيانة والاحتكار والعياذ بالله.

فلنلتزم بالقرآن وآياته البيّنات في العمل الصالح،ولنستضيء بما جاء في الأحاديث الـنـبـو يـة والـروايـات المـنسوبة لأهل البيت عليهم الصلاة والسلام، ولنجعل أوقاتنا مـعـمـورة بـذكـر الله سـبـحـانه وتعالى وجوارحنا مشغولة بالصالحات من الأعمال فان الباقيات الصالحات.

ولـو طبـقنا على أنفسنا هذه الصفات وتحلينا بالخصال الاربع التي ذكرناها هنا لبناء الشخصية الرسالية لأصبحنا كما يريد الاسلام.

الثورة الاسلامية
وأزمة الحضارة البشرية

● تسعى الثورة الاسلامية لبلوغ أهداف محددة وثابتة، وقد يطرح في هذا المجال **سؤال حول ماهية هذه الأهداف؟**

وعادة يسعى المتحدثون الى المبادرة بالاجابة على مثل هذا السؤال ببيان صلاحية الانظمة الاسلامية وتعداد ميزات التشريع الاسلامي القضائي والاقتصادي والسياسي والاجتماعي، واثبات عدم صلاحية النظم الأخرى وما فيها من ثغرات وهنات.

الا أننا نرى أن الحديث قد أشبع في هذا المجال بما لا يدع مجالاً لجديد، ولهذا فاننا نتجه اتجاهاً آخر للاجابة على سؤال: ما هي الأهداف التي تسعى الثورة الاسلامية لبلوغها وتحقيقها..؟

ونريد أن نجيب عليه اجابة فلسفية لا تتصل بتشريع أو قانون معين، وانما تنحو نحو توجيه كافة القضايا التي لها صلة بهذا الموضوع لتحديد الخطوط العريضة للثورة الاسلامية وأهدافها السامية، وقد يستغرق هذا البحث الفصول الباقية من هذا الكتاب.

●أزمات العالم المعاصر

هناك حقيقة لابد من الاشارة اليها قبل التوغل في موضوعنا، وهي أن عالم اليوم يعيش أزمات حادة تحولت الى أمراض مزمنة في جسد البشرية، واستعصى حلها على النظم(١) القائمة، وفشلت كل الجهود في استئصالها، كأزمة العدالة الاجتماعية أو الظلم الاجتماعي الذي ساهمت كل النظم الأرضية، وكثير من المؤسسات والمدارس الاجتماعية لوضع الحلول والاطروحات لعلاجها ولكن دون جدوى.

وهناك أزمات الحروب المتفجرة هنا وهناك، والتي تهدد العالم أجمع بحرب كونية تستخدم فيها الرؤوس النووية التي لاتبقي ولاتذر، ومازال العالم كلما حاول التخلص من حرب الا وتورّط في أخرى حتى أصبحت الحرب وصمة عار في جبين الحضارة المادية الحديثة.

اما الأزمة الثالثة فهي مشكلة التخلف الذي مازال يعاني منه الانسان بشدة في معظم بقاع المعمورة، والذي يسهم بدوره في خلق العديد من المشاكل والأزمات الجانبية الاخرى.

والازمة الرابعة هي مشكلة «الفراغ الروحي» الذي ترك بصماته واضحة حتى في المجتمعات التي تعتبر نفسها متقدمة جدّاً!

والسؤال الذي يبرز في هذا المضمار هو: هل تستطيع الثورة الاسلامية أن تعالج أمراض البشرية اليوم وأزماتها..؟ أي هل تستطيع أن تعيد التوازن والثقة لانسان الجاهلية الحديثة؟ وهل تستطيع القضاء على التخلف المزمن..؟ وهل بامكانها أن

---

(١) لقد درج أسلوب الصحافة اليوم على استعمال كلمة الأنظمة للتعبير عن الحكومات القائمة لذلك استخدمنا كلمة (النظم) للدلالة على النظريات المعمول بها في عالم السياسة والاقتصاد والاجتماع الخ...

تنهي الحروب كظاهرة مدمرة تهدد البشرية بالفناء..؟ واخيراً هل في مقدور الثورة الاسلامية أن تضع حداً للظلم الاجتماعي، وأزمة العدالة القائمة في مجتمعات اليوم..؟ ان الاجابة على هذه الاسئلة الحائرة تشكل القسم الأكبر من الاجابة على السؤال الاول حول أهداف الثورة الاسلامية، لذلك فان الاجابة عليها تفرض علينا أن نحدد كل واحد من هذه الأمراض ثم نحدد كيفية معالجة الاسلام له بشكل تفصيلي.

ومن دون معرفة عمق المأساة في كل قضية، لايمكننا أن نعرف كيف تتم معالجة الاسلام لكل قضية، وبالتالي كيف يستطيع الاسلام أن ينقذ الانسان مما يعاني اليوم..! ولابدّ من ذكر بعض الحقائق الهامة هنا:

●الحقيقة الأولى

ان الاسلام في معالجته لأي قضية من القضايا لايعتمد على جانب واحد من جوانبه، أو بعد واحد من أبعاده فهو لايملك تشريعاً محدداً لقضية بعينها، بل حتى لو ملك مثل ذلك فان هذا لا يعني أن لايشرك الأبعاد الأخرى في علاج هذه القضية، وبكلمة اخرى ان الدين والتشريع الاسلامي كل لايتجزأ ولاينفصل بعضه عن بعض، ولو فعلنا ذلك لكنا كمن لايعمل بالاسلام أصلاً، فقد قال الله سبحانه وتعالى:

[أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا، ويوم القيامة يردّون الى أشدّ العذاب]

ـ٨٥/ البقرةـ

ذلك ان الاسلام وهو يعالج أزمة التخلف في البلاد النامية، مثلا وهو مرض شامل مزمن ومتجذر في كل دول العالم الثالث، فانه لايتعامل معها بتشريع واحد أو كلمة واحدة، وانما يتعامل معها بكل مناهجه العقلية، وتربيته السلوكية وقوانينه الاجتماعية وتشريعاته الاقتصادية والسياسية الخ...

فمشكلة التخلف في الواقع ليست مشكلة واحدة، وانما هي آلاف المشاكل، وانما

اطلقت كلمة «التخلف» مجازاً للتعبير عن مجموعة المشاكل التي يعاني منها البلد المتخلف، وكما أن الصداع أحياناً ليس وجعاً واحداً في الرأس يُعالج باقراص «الاسبرين» وحسب، وانما هو نتاج ضعف عام في الجسم كله يجب أن يعالج ببرنامج غذائي وطبي متكامل، وكذلك التخلف يجب أن يعالج في البلاد النامية ببرامج الاسلام كافة لأن كل جزء من الاسلام يعالج ناحية في التخلف، وبالمجموع يعالج المجموع.

فالتخلف الثقافي مثلا يعالجه الاسلام بتوجيه الأفراد للعلم والبرامج التثقيفية الخاصة والعامة وتوجيه المجتمع للتمحور حول العلم واحترام العلماء.

والتخلف الاقتصادي يعالجه الاسلام بالتوزيع العادل للثروة، وفك القيود عن نشاطات الانسان وطاقاته وتوجيهه نحو السعي، ثم سن القوانين التي تبحث قضايا التنمية والاقتصاد زراعياً وصناعياً وتجارياً!

والتخلف الصحي يعالجه الاسلام بمئات القوانين التي تعالج جسم الانسان سواء منها ما كان وقائياً أو علاجياً بشكل فردي أو اجتماعي..الخ.

فالاسلام ككل يعالج التخلف ككل، وليس جزء من الاسلام يعالج ناحية من التخلف، فعلاج جزء من التخلف لا يعني تخلص البلاد من التخلف عامة.

فاننا نجد في بعض البلدان مثلا تقدماً صحيّاً، الا أنها ترفل في أغلال أخرى من التخلف كسكان جبال القوقاز ــ على سبيل المثال ــ فهم أطول الناس عمراً في العالم، ولكنهم مع ذلك لايعتبرون من الشعوب المتقدمة، وانما هم في حظيرة العالم الثالث. فالتخلص من أحد أعراض المرض لايدل على استئصال المرض.

اذن فلابد من الاسلام كله لمعالجة الأزمة كلها!

● **الحقيقة الثانية**

اننا لا نحتاج الى كثير من العناء لتبيان أن الاسلام شيء، والمسلمين والمنتمين

اليه ــ في الواقع ــ شيء آخر، اذ لا يمكن لأحد أن يقيس الاسلام بممارسات المسلمين ــ كما يحلو للبعض أن يفعل ــ لاسيما الغرب ــ فتطبيق المسلمين لكل التعاليم الاسلامية غير موجودة في عالمنا الاسلامي من جهة، ومن جهة أخرى لا يمكن أن يتحقق ذلك بين عشية وضحاها، اذا ما أردنا تطبيقها بكل نزاهة واخلاص.

وان كنا نذكر هذا فيما مضى، فاننا اليوم نعيد التذكرة بهذه الحقيقة بمناسبة قيام حكومة اسلامية في ايران، مع وجود كثير من المشاكل التي ورثتها من الحكومات السابقة، ومع وجود المجتمع الذي لا تزال فيه رواسب عديدة من العهد الجاهلي الشاهنشاهي المقبور.

وامام الأمة طريق طويل حتى تتمكن من تطبيق كافة القوانين والتعاليم القرآنية في ظل هذه الحكومة، ثم قد يجوز لنا بعدئذ ان نقيس الاسلام بهذه الحكومة أو هذا المجتمع، أما الآن فعلينا أن نفهم الاسلام من خلال القرآن الكريم ومن خلال الأحاديث الثابتة عن رسول الله(ص) لأن الأول لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والثاني لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى! وأما البشر فانهم يخطئون عمداً، أو سهواً الا من عصمه الرحمن وكان نبيّاً واماماً، فان البرنامج القرآني المتكامل بمقدوره أن ينقذ البشرية، ونستطيع أن نثبت ادعاءنا هذا من خلال التقييم الموضوعي للقضية، وليس من خلال تقييم ذاتي لها! ففي التاريخ تجارب لتطبيق الاسلام تستطيع أن تكون تجارب محدودة بالنسبة لتلك المرحلة التاريخية والظرف التاريخي، وبالنسبة لتلك الشريعة التي طبقت في ذلك الظرف وعالجت مشاكل المجتمع ذلك اليوم.

وهذا هو المنهج العلمي الصحيح في فهم كل مبدأ أو قضية، اذ يكفي من الرصيد العملي للاسلام تجربة الرسول الأعظم(ص) وتجارب الصدر الاسلامي الاول، بمعنى اذا قلنا ان الاسلام يقضي على الفقر أو يبني المجتمع الموحّد المتماسك فنضرب على ذلك مثالا مما جرى في الجزيرة العربية حينما طبق الاسلام فيها بأمانة واخلاص على يد القائد الفذّ، وكيف استطاعت الجزيرة الفقيرة المفككة الأوصال أن تقفز مرة

واحدة خلال فترة قياسية من وهدة الفقر والفاقة، وحضيض التمزق والصراع الى مستوى مناسب من العيش الرغيد والرخاء والقوة الذاتية الناجمة عن وحدة الصفوف وتلاحم الأيدي، وهذه التجربة تكفي لاثبات قدرة الاسلام على فعالية قوانينه وصلاحيتها.

اما اذا أردنا أن نأخذ على الاسلام مافعله المسلمون سابقاً أو ما يفعلونه اليوم بما يجري في هذه البلاد أو تلك، فان ذلك بعيد عن الموضوعية و يدخل ضمن المؤثرات اكثر مما يدخل ضمن نطاق البحث العلمي الدقيق.

● الحقيقة الثالثة

هي أننا حين نقول بأن الاسلام يعالج هذه المشكلة، أو تلك فان كلامنا هذا يشبه الى حد بعيد قولنا بأن الطبيب الفلاني يستطيع أن يعالج المريض الفلاني..! لأن هناك شرطاً عقلياً غير مذكور في الكلام، اذ لا يذكر عادة، وانما تكتفي بالمشورة على صاحبك أن يذهب الى أخصائي العيون مثلا لعلاج عينيه والشرط العقلي الذي لاتذكره هو انه يستطيع علاجه اذا ما قام باتباع نصائح الطبيب والعمل بكل التعليمات التي وضعها له والأدوية التي كتبها علاجاً لعينيه فان لم يفعل ذلك، فما جدوى ذهابه الى للطبيب، وماذا يمكن الطبيب أن يفعل آنئذ؟

وهكذا الأمر حينما نقول أن الاسلام يعالج مشكلة الانسان، فان هذا القول لا يعني أن الاسلام ليس سوى قرآن كريم يوضع في الجيب أو نتلوه كما نتلو جريدة الصباح دون اتباع تعاليمه، وانما يعني أن نطبق الاسلام على أنفسنا فنلتزم بمبادئه وقيمه ثم يتحول بالنسبة لنا الى برامج، نصب فيها اهتماماتنا وحيويتنا ونشاطاتنا ونطبقها عبر تحركاتنا وجهادنا، وآنئذ يمكن لنا القول بأن الاسلام كفيل بحل مشاكلنا والقضاء على أزماتنا وانقاذنا والبشرية جمعاء مما يكبلنا من الأغلال والقيود.

وفيما يلي من الفصول سنحاول ان شاء الله الاجابة على كيفية معالجة الاسلام

لـكـل أزمـة مـن أزمـات الحـضـارة الـراهـنة، وبالتالي تحديد أهداف الثورة الاسلامية السامية.

الفصل الخامس:

- كيف يعالج الاسلام مشكلة التخلف؟
- الاستقلال منطلق التقدم الرسالي
- برنامج الاسلام للتقدم الحضاري
- الحضارة الاسلامية من أجل الانسان(١)
- الحضارة الاسلامية من أجل الانسان(٢)
- كيف يعالج الاسلام مشكلة الحرب؟

كيف يعالج الاسلام مشكلة التخلف؟

● الاسلام ومشكلة التخلف

● حاولت البشرية أن تقفز على المشاكل التي تواجهها وان تقضي على الأزمات الحضارية التي تعانيها بمختلف الوسائل والتحديات فلم تفلح، بل ازدادت انتكاسات البشرية وتراكمت مشاكلها دون التوصل الى مخرج.

ومع نهاية القرن الرابع عشر و بداية القرن الخامس عشر الهجريين وجدت البشرية نفسها أمام سؤال كبير هو: أما آن الأوان للتخلص من هذه الأزمات؟

ولكن الانسان ينسى باستمرار أنه هو نفسه سبب الأزمات، اذ لايلتفت الى أنه قد انحرف في المسيرة مما أدى الى كثير من المفاسد والشرور وظهور المآزق والمشكلات، فالله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ظهر الفساد في البرّ والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾

ـ ٤١/الروم ـ

ونحن نطرح سؤالاً آخر: هل هنالك علاج لمشاكل الانسان فوق الأرض أم خلق الانسان ليجر معه الويلات و يذوق العذاب في الدنيا قبل الآخرة..؟ وهل خلق الله الانسان ليرحمه، أم ليعذبه؟.

و بالنسبة لنا نحن المسلمين، فاننا نرى ان هناك برنامجاً ومنهاجاً سماو ياً لرحمة الانسان اذ ما جاء رسول الله (ص) إلا رحمة للعالمين، وما نزل الكتاب إلا هدى و بيّنات للذين آمنوا، وما التقوى إلا مخرج للانسان من المشاكل كلها، وان دين الله أوسع وأبعد جداً من كل المشاكل التي تعترض الانسان، وان الدين قادر على ان يقود سفينة البشرية في عصر الجاهلية الحديثة، والذي بدأت فيه أمواج القنابل الذرية والحروب النوو ية تهدد العالم بالفناء رغم المظهر الذي يغلف هذه الجاهلية بغشاء رقيق من العلم الذي يغر و يضر.

ونحاول في الصفحات القادمة ان نجيب على السؤال السابق باذن الله تعالى، علماً بأننا لاندعي احاطة الموضوع بحثاً لأنه بحاجة الى دراسات مطولة، ولكن حسبنا ان نطرق الباب لنضع الخطوة الأولى في هذا الطريق ثم يأتي الباحثون والمفكرون الاسلاميون ليكملوا النهج بحوله تعالى.

• التخلف مأساة حضارية

من أعقد المشاكل وأبرزهافي عالم اليوم هي مشكلة التخلف التي تبدو أكبر من غيرها، فالعالم ــ اليوم ــ ينقسم الى عالمين هما: عالم متخلف وعالم متقدم، وكما يقسمه المراقبون الدوليون الى «الشمال» تعبيراً عن العالم الغربي المتقدم و «الجنوب» تعبيراً عن العالم المتخلف.

واليوم لم تعد الحواجز القائمة بين البشر حواجز طبيعية كالجغرافيا واللغة والدين والعنصر، وانما أصبحت (التكنولوجيا) سبباً للتقارب او التباعد بين المجتمعات.

فاذا كانت الروابط ـ التي تقرب الشعوب والدول لبعضها ـ تتمثل سابقاً في الحدود الجغرافية واللغة والدين والعنصر، فان هذه الروابط اليوم لم يعد لها قيمة تُذكر، اذ لم تعد الشعوب المتقاربة جغرافياً أخوة مثلاً، ولا حتىٰ نظراء لبعضهم. !

وعلى سبيل المثال نجد أن أمريكا الجنوبية بالنسبة لأمريكا الشمالية أبعد عنها من اليابان التي يفصلها عنها المحيط الهادي أكبر المحيطات في العالم!! والسبب في ذلك أن المصلة التي تربط اليابان بامريكا الشمالية هي صلة (التقدم التكنولوجي) وليس التقدم العام في كل الميادين، بينما لايوجد بين الامريكيتين غير صلة الجغرافيا، ولاشك أن الأولىٰ أعمق وأمتن من الثانية في عالم اليوم.

كما نجد أن جنوب افريقيا واسرائيل أقرب الى الدول الأوروبية الغربية من الدول الأوروبية الشرقية أو من بعضها لبعض! لأن الصلة الجغرافية او الدينية لم تعد حاسمة وذات تأثير.

فاليابانيون والاسرائيليون لايتحدثون الانجليزية، ولا يذهبون الى الكنائس أيام الأحد من كل أسبوع، ولايعتقدون بالبابا القابع في الفاتيكان، ومع ذلك فهم أقرب الى أوروبا الغربية وأمريكا، من المسيحيين في الهند مثلاً أو المسيحيين الأفارقة. !

ونفس المقياس يمكن أن ينطبق على اللون والعنصر فهذه الصلات هي الأخرىٰ لم تعد اليوم قائمة في العالم بقدر ما لصلة التقدم عموماً، من تأثير في تقارب الدول المتقدمة. !

● لعبة الوفاق وتقسيم الغنائم

هذا جانب من الحقيقة، أما الجانب الآخر فانه بالرغم من انقسام العالم الى المعسكرين الغربي والشرقي، فاننا نستطيع أن نجزم مؤكدين بأن القوىٰ العظمىٰ التي تقدمت علمياً وصناعياً وعسكرياً باتت تحرص على مصالحها وتقوم بلعبة الوفاق

الدولي لتقسيم مناطق النفوذ في العالم، وللعمل ضد مصالح الشعوب المستضعفة والفقيرة.

لذلك فانهم يبادرون الى الاجتماع في مجلس الأمن والاتفاق مثلاً على ادانة ايران، حينما بادرت الجمهورية الاسلامية باتخاذ خطوتها الجريئة لتحرير الشعب العراقي من بطش الظلم العفلقي الغاشم، فأدانت الدول العظمىٰ ما أسمته (بالتدخل الايراني في العراق) في حين أنهم لم يبادروا ــ قبل ذلك ــ الى ادانة بقاء القوات الصدامية المحتلة في الأراضي الايرانية لمدة تزيد على ٢٤ شهراً.. لماذا..؟ لأن مصالحهم تلتقي في مواجهة الزحف الاسلامي وابقائه داخل حدود ضيقة.

ومن يستطيع ان يقول أن الولايات المتحدة غير راضية عن غزو الاتحاد السوفيتي لأفغانستان، أو أن الاتحاد السوفيتي ليس موافقاً حتى النخاع على الاحتلال الأسرائيلي للبنان.

لقد باتت هذه القضايا بديهية لفرط وضوحها، فهم يتفقون على اقتسام الغنائم قبل أن يبدأوا بالفعل استلابها.

من هنا فان المعسكرين الذين يمكننا أن نقسّم العالم ضمنهما بصورة واضحة فهما معسكر الشمال والجنوب.

فالأول: يتمثل في الدول المتقدمة الصناعية و يشمل محور اليابان ودول أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية والاتحاد السوفيتي وحلفائه.

والثاني: يتمثل في بقية دول العالم التي تقع خارج هذه المحاور.

وأما حول التسمية التي أطلقوها على الدول المتخلفة وشاعت في لغة الصحافة والاعلام، حينما راحوا ينعتونها بالدول الناشئة والجديدة و بالذات لفظة «النامية» فان من الواضح أنهم يتلاعبون بالألفاظ والتعابير كيلا نشعر بعمق المأساة والتخلف، ولانتساءل عن سبب تقدمهم وتخلفنا، ولا تتحول الهزيمة النفسية اذا ما تحسسناها الى

دافع يفجّر فينا روح التحدي والرفض للواقع المزري، مما يجرنا نحو الثورة والتغيير من أجل الحرية والخلاص والاستقلال، لذلك أوجدوا لنا تعبيراً مهذباً عن الفقر والتخلف، وقالوا: «الدول النامية».

• المقاييس الجامدة والجزئية

لو كان في هذه الدول (النامية) تحرك ونمو، فاننا لانستطيع ان نقيس حالات «التخلف والتقدم» بقياسات جامدة أو جزئية، أي لانستطيع ان نقيس الحالة في بلدنا دون مقارنتها ببلد آخر أو البلدان الأخرىٰ لأن حدّ القياس في هذه الناحية مفقودة.

لنضرب مثالاً لذلك لكي تتوضح الفكرة، أننا حينما نركب سيارة تسير بسرعة ثمانين كيلومتراً في الساعة، فاننا نعرف مقياس السرعة ــ والذي يُسمىٰ حد القياس ــ وهو أن السيارة التي تسير بسرعة صفر كيلومتر في الساعة تُعتبر واقفة، بينما أي سرعة أخرىٰ فوق الصفر يعني أن السيارة تتحرك، بينما في مقياس التخلف والتقدم نحن لانملك مثل هذا المقياس الثابت، هذا من جانب ومن جانب آخر فاننا اذا ركبنا السيارة وسارت بنا بسرعة ثمانين وابتعدنا من المكان الذي كنا فيه لاشك أننا قد تقدمنا عن ذلك الموضع بعد ثلاث ساعات بمسافة كبيرة، إلا ان السيارة الأخرىٰ التي تحركت معنا من نفس النقطة و بسرعة مائة وعشرين كيلومتراً في الساعة فانها قطعت مسافة أكبر مما قطعناه في نفس الفترة.

و بلغة الأرقام فاننا قطعنا (٢٤٠) كيلومتراً، في حين ان السيارة الثانية قطعت (٣٦٠) كيلومتراً، ولو أردنا أن نقطع نفس المسافة أي (٣٦٠) كيلومتراً فاننا نحتاج لساعة ونصف أخرىٰ من السير، وعندئذ تكون هي قد قطعت (١٨٠) كيلومتراً أضافية، أي قطعت مسافة كلية قدرها (٥٤٠) كيلومتراً!! فهل نستطيع اللحاق بها بهذه الصورة و بهذه المفارقة؟. بالطبع لانستطيع بل حتى لو زدنا نحن سرعتنا حتى

صارت مثل سرعتها أي (١٢٠) كيلومتراً في الساعة فان الفارق بيننا يظل (١٨٠) كيلومتراً مهما قطعنا من المسافات، إلا اذا خففت هي من سرعتها أو زدنا نحن في سرعتنا.. أليس كذلك..؟ هل نملك مثل هذا القياس بالنسبة لحالات التقدم والتخلف في المسيرة الاجتماعية والحضارية؟ بالطبع كلا، ولكن نستطيع أن نقارن بين دولة وأخرى.

فاذا كانت الدول المتخلفة تحظى بنسبة عالية من الأمية مثلاً، فان بعض الدول المتقدمة قد احتفلت منذ زمن بعيد بموت آخر أمي من شعبها.. فاذا ما أستطاعت أن تتغلب هذه الدول المتخلفة على الأمية فتقضي عليها مثلاً، فان تلك الدولة المتقدمة قد استطاعت أن تجعل كل شعبها بين جامعي وفني وخبير متخصص.

● الاهتمام بالجوهر.. لا المظاهر

ان المقياس المستعمل اليوم بين الدول،مقياس خاطيء لأنه يهتم بالمظهر دون الجوهر.

يقولون ان الدول المتخلفة هي التي تبلغ نسبة الأمية فيها نسبة عالية أو ريفها غير مكهرب، أو تنتشر فيها الأمراض والأوبئة لعدم وجود المياه الصالحة للشرب، أو لتدهور الوضع الصحي والطبي فيها، أو هي البلاد التي تعتمد على الزراعة في اقتصادها أو لايزيد الدخل الصناعي عن ٣٠٪ من دخلها العام، فهل هذه السمات والمظاهر هي المقياس الحقيقي فعلاً لمعرفة التقدم والتخلف؟ أم هي مقاييس خاطئة؟

ان هذه الأمور ليست هي المقياس، فالأمية موجودة في أمريكا ذاتها وبنسبة لابأس بها، فهل هي دولة متخلفة؟ كلا.. والصناعة أيضاً ليست هي المقياس، فان دولة كسنغافورة أو هونغ كونغ صناعيتين لا زراعة فيهما، فهل هما من الدول المتقدمة؟ أبداً! انها صناعة تجميعية، صناعة الأجنبي الذي يأتي بالمواد والخبرات والآلات ثم يجمعها في البلاد تماماً كما صنع الشاه المقبور في ايران، وكما يصنع كل

الحكام الذيليين للتظاهر بتصنيع البلاد!

لقد توقفت الصناعة التجميعية في ايران حينما سقط الشاه، وهذا المصير ينتظر المصانع الأخرى في الدول الذيلية الأخرى حينما يذهب حكامها العملاء!!

لقد كانوا يأتون بالمواد الخام من الخارج كالزيوت النباتية التي كانوا يستوردونها لكي تُعلّب في ايران ثم يكتب عليها (صنع في ايران) ثم تصدر الى دول الخليج.. ونفس الشيء بالنسبة للدجاج الايراني في عهد الشاه المقبور حيث كانوا يستوردون الأعلاف والآلات الأوتوماتيكية والكتاكيت من الخارج، ثم تبنى الحظائر في ايران، وتربى فيها الكتاكيت حتى اذا كبرت بعد شهرين ذبحت وكتب عليها «دجاج ايراني»! فأي دجاج ايراني ذاك الذي يشرف عليه طبيب أجنبي و يطعم بأدوية أجنبية وكل شيء فيه من الخارج؟ هل اصبحت الدجاجة، ايرانية لأنها تنفست هواء ايران وشربت الماء الايراني..؟

وأيضاً ليس مستوى الدخل القومي هو المعيار، فدول الخليج ودول الأوبك عموماً لم تستطع أن تكون دولاً متقدمة بمجرد أن بلغ دخل الفرد في ابوظبي،أعلى نسبة في العالم!! لأن هذا لو كان تقدماً لما جاز أن ينخفض هذا المستوى بمجرد هبوط أسعار النفط في العام! فما دامت هذه الدولة لا تملك زراعة ولا صناعة ولا خبراء ولا كوادر، فماذا يفيدها هذا الدخل القومي المرتفع؟

ان التخلف قضية نسبية،أي بالمقارنة مع الدول الأخرى، وحسب مقياس شامل، ونحن نستطيع أن نتخذ من الدول المتقدمة في هذا المجال مقياساً لا لظواهر المسألة، وانما لقضية أساسية تتوفر لديهم بنسبة أو بأخرى.

فلو استطعنا أن نكون مثلهم أو أقل منهم قليلاً أو اكثر قليلاً في المستويات المختلفة، تعليمياً، وعسكرياً، وسياسياً، واجتماعياً، واعلامياً، ومختلف الشؤون المرتبطة بحياة الانسان وفي لحظتنا هذه آنئذ نعتبر أنفسنا متقدمين!

وإلا فانه ليس تقدماً اذا قيل أن العرب سيصلون الى القمر وقد وصل الآخرون الى المريخ!! وليس تقدماً اذا ادّعىٰ تافه كصدام بأنه قضىٰ علىٰ الأمية في شعبه تماماً وهو يستورد العمال والفنيين من كوريا والفلبين ومصر والهند والباكستان و. و. . بالاضافة الى الخبراء الروس والأمريكان والأوروبيين الذين تجاوز عددهم عشرات الألوف منتشرين في العديد من الشركات الأجنبية والدوائر الحكومية.

اننا لن تخدعنا الأرقام والمظاهر، وانما تعرف الأمور بأشباهها فلابد أن نقيس «التقدم والتخلف» بالمقارنة مع سائر الدول في العالم لأن المسألة نسبية كما قلنا.

• لماذا التخلف..؟

و يسأل البعض: لماذا تتخلف دول، وتتقدم دول أخرىٰ؟
ونحن نسأل: هل يفيدنا مثل هذا التساؤل وهل يؤثر في أوضاعنا.؟

انني أعتقد أن مثل هذا التساؤل لايهمنا كثيراً فمهما كانت الاجابة على هذا السؤال فان الحقيقة هي الحقيقة، ان التخلف موجود وعلينا أن نتجاوزه.

«ان من يملك روح التحدي يتقدم و يتطور، بينما الذي لايملك روح التحدي فانه يتخلف»، هكذا يقول تومبي في تعليقه على الحضارات البشرية السابقة، فالأوروبيون كما يقول ــ كانوا يعانون من الثلوج فتحدوها، واليابانيون كانوا يواجهون طبيعة جرداء فتحدوها، وكلا الفريقين احتاجوا الى مقاومة تخلفهم بالتحدي الذي مالبث أن تحول الى علم والعلم استحال صناعة أدّت الى التقدم! وهذا قد يكون صحيحاً ولكن هل نحن فقدنا روح التحدي..؟ أولسنا نواجه تحدّي الصراع الاسرائيلي والغربي والشرقي والبؤس والتشرذم والفقر والمرض.. وكلها حالات بائسة تشكل أخطاراً على وجودنا.. الا تشكل كل هذه، تحديات؟ أم نحن الآن في حالة رخاء..؟·

وقد تشكل نظرية (مالك بن نبي) جزءاً آخر من الجواب حيث يقول: ان المجتمع يهرم و يشيخ تماماً كما يهرم الانسان الفرد و يشيخ بعد أن كان طفلاً، فيافعاً، فشاباً، فرجلاً، فكهلاً، ثم يشيخ و يضعف، فمن بعد قوةٍ ضعفاً وشيخوخة! وهكذا بالنسبة للامة بعد ان كانت شابّة قو يةمندفعة، اذا بها تنزل سفح الزمن الى هذه المرحلة من الشيخوخة والضعف، إذن فهي دورة الزمن أو فعل الأ يام فينا.!

ولكن حتى ــ وان كان هذا القول صحيحاً ــ فان الانسان الفرد اذا هرم فليس أمامه إلا الموت، أو الاستمرار والتردي من ضعف الى أكثر، أما بالنسبة للأمة والمجتمع فليس الأمر كذلك، لأن المجتمع يمكن أن يعود شاباً بعد أن شاخ! فالمجتمع الجاهلي كان في أوج شيخوخته، بل في أيام الهرم المطلق، فلما جاء الاسلام نفخ فيه روح الشباب من جديد، وأحيا المجتمع الذي كاد أن يموت فاذا به ينطلق مكتسحاً العالم بحضارته وتقدمه، من هنا فاننا اليوم مدعوون أن نعيد في أمتنا شبابها، وفتوّتها، وحيو يتها، وننطلق بها لنفتح العالم من جديد لاعلاء كلمة الله، ونشر العدالة والحرية بين الشعوب.

اذن، فان الاجابة على سؤال: لماذا نحن متخلفون؟ حتى مع افتراض صحته، فانه لايغيّر من واقعنا شيئاً، لأن ثقافتنا تغيّرت بعد أن شابتها أفكار رجعية متخلفة، واذا أردنا أن نزيل التخلف من واقعنا فلابد وان نغّير هذه الثقافة المزيفة المتخلفة، وكفىٰ بالاسلام ثقافة حيّة وحضارية وثّابة نستطيع أن ندرسها، ونستوعبها ونتحرك بها من جديد.

اننا لم نختلف لشحة أرضنا ــ كما يزعمون ــ فأرضنا قد تفجرت ذهباً أسود والحمد لله وكل العالم في صراع وسباق عليها.

ولم نتخلف لقلة فهمنا للأمور، فقد اتصلنا بالعالم الخارجي ووصلت الينا انجازاته واكتشافاته واطلعنا على آفاقه وأبعاده.

من هنا فاننا لاناقش الأسباب التي أدت الى التخلف لأنها جميعاً قابلة للتحدي

والتغيير والاصلاح، ولكن لابد من مناقشة الموانع من ذلك.

• لنحطم الاغلال

هنالك أغلال تكبلنا وتمنعنا من التحرك لتغيير واقعنا المتخلف، وهذه الأغلال هي التي علينا أن نناقشها لنلتمس الطريق الى التخلص منها.

قبل قرن من الزمان أعلن المجاهد الكبير (جمال الدين الأسد آبادي) الأفغاني بأن الشرق لايستطيع الوصول الى التقدم الحضاري والصناعي إلا عبر استقلاله ووحدته، وبقيت تلك الصرخة في ضمير الأيام الى عصرنا هذا، ولا نزال نعاني ذات الأسباب والمشاكل التي كانت تكبل المسلمين في زمن السيد جمال الدين.

وكم شهد العالم الاسلامي منذ ذلك الزمن حركات تحررية وعلميّة وسياسية واقتصادية واجتماعية، وبزغ في عالمنا خلال هذه الفترة كثير من الشعراء الكبار الذين بعثوا فينا الأمل والجدّية، والحركة، كالشاعر الفيلسوف اقبال اللاهوري وأمثاله من الخطباء والعلماء والمفكرين المسلمين، ولكن مع ذلك لازلنا نرزح في ذات القيود والأغلال، فما هي وما نوعها؟

وانني رغم مرارة الواقع أقولها بصراحة.. أن أكبر الأغلال وأثقل القيود التي تمنع انطلاقتنا وتحركنا هي التبعية للاستعمار الشرقي أو الغربي بكل ألوانه: سياسياً أو عسكرياً أو ثقافياً او اقتصادياً.

وانني لاأسوق هذا الحكم انطلاقاً من بغضي للاستعمار، وانما هذه هي الحقيقة ــ المأساة.

فلو استطعنا ان نتحرر من هذا الأصر الأكبر لأستطعنا أن نبدأ الخطوة الأولى نحو الامام، وآنئذ يمكن ان نسمي أنفسنا بالدول النامية.

● الاستقلال أساس التقدم

ان الاستقلال هو الدعامة الأولى التي يقوم عليها صرح المجتمع المتقدم، و يبني عليها كيانه الحضاري، أما المصائب والويلات التي مازالت تواجهها أمتنا فانها وليدة الاستعمار ومخلفاته بشتى ألوانه، و بدون التغلب في صراعنا على اشكال الاستعمار المختلفة فاننا لن نتحرر من أغلالنا، و بالتالي فاننا لن نتمكن من الوصول يوماً ما، الى حالة التقدم، لأن الذين استعمرونا ــ ولا يزالون ــ لا ولن يسمحوا لنا بذلك طالما بامكانهم ان يمنعونا من الانطلاق.

● بين التخلف والتبعية

لقد تعرضت كل دول العالم الثالث ــ ومنذ القرن السادس الميلادي ــ للاستعمار، سواء المباشر كالأكثرية، أو غير المباشر في النادر منها، واذا كانت المصطلحات الغربية اليوم ومقاييسها بالنسبة للتخلف تنصب على المظاهر كالأمية والزراعة ومستوى الدخل، فانهم في ذلك يهملون أو يتجاهلون حقيقة هامة هي جوهر القضية.. فهم اذ يتحدثون عن اقبال هذا الشعب على البيبسي كولا أو السفن آب، فانهم يتعمدون عدم الحديث عن قضية تدمير اقتصاد تلك البلاد أو تدمير البنى الاجتماعية فيها. ان المشكلة هي ان الاستعمار نفسه هو الذي يتحدث عن تخلفنا بمنطقه، و يضللنا بهذا الحديث.

فعندما جاءت قوات الاحتلال الاستعمارية الى بلادنا، اخذت توحي بأنها «ما جاءت محتلة ولكنها حاملة لرسالة التحضير والمدنية». تماماً كما قال الفرنسيون عندما احتلوا الجزائر، وكما قال الانجليز للمسلمين في العراق.. «نحن جئنا الى العراق محررين لا فاتحين».

ولا يزالون يواصلون الدجل والضحك على ذقوننا حتى هذه اللحظة، فبنوكهم

تعمل في بلادنا باسم بنوك التنمية، وشركاتهم تستثمرنا تحت شعار التنمية والاعمار والتحديث، وخبراءهم يستثمروننا تحت عنوان: تصنيع البلاد وكأننا نتقدم فعلاً حسب ادعاءاتهم!!

ان هذه هي النقطة الأساسية في العلاقة بين البلاد المتقدمة (الاستعمار) والبلاد المتخلفة في العالم الثالث المستعمر. يتحدث (ايس بيلوت) الفرنسي المحايد في كتابه (ما هي التنمية) حول الحالة الواقعية المعروفة جيداً من قبل المختصين، بينما هي غير معروفة لدى كافة الناس تقريباً، والتي تدل على صفة عامة للتخلف حيث يقول في الصفحة الثالثة من كتابه:

(ان جميع بلدان منطقة العالم الثالث والتي تعرضت للتخلف قد حولت بلا استثناء الى مستعمرات أو نصف مستعمرات من قبل الدول الأوروبية الكبرى في زمن أو آخر، ما بين القرن السادس عشر والقرن العشرين الميلاديين، ولا تزال كلها الى الآن مرتبطة ارتباطاً كلياً أو وثيقاً بالبلدان المتقدمة في النصف الثاني من القرن العشرين)

اذن فالتبعية هي سمة رئيسية من سمات التخلف، اذ لانجد الآن دولة مستقلة واحدة متخلفة، كما لانجد دولة مستعمرة واحدة متقدمة.. وهذا دليل ان السبب الرئيسي للتخلف أو التقدم، انما هو التبعية أو الاستقلال.

• الاستعمار وتحطيم البنى الحضارية

وهناك بحوث حول الاسباب التي أدت بأوروبا لكي تعمل على وقف نمو الدول المستعمرة وتحطيم مقوماتها الحضارية في كثير من الأوقات في محاولة لاستعبادها اكثر فاكثر!! والمناذج التي اتبعتها الدول الاستعمارية في تحطيم الدول المستعمرة، كثيرة، ولكن لابأس ان نشير هنا الى أمثلة من تلك النماذج والاساليب:

● اولاً:

حينما تحتل دولة أوروبية دولة أخرى من دول العالم الثالث، فانها تبدأ بتحطيم البنى الاجتماعية القائمة، فلكل دولة مؤسساتها الاجتماعية المميزة ورئاستها ومحاورها ورموزها وكياناتها الاجتماعية التي تميزها عن غيرها، فما تلبث الدولة الاستعمارية الا وتحطم هذه الرموز والمحاور كي تفقد تلك البلاد شخصيتها ومقوماتها الذاتية مما يؤدي بها الى الخضوع للمحتل.

● ثانياً:

لا يكتفي الاستعمار بتحطيم البنى الاجتماعية، وانما يلجأ الى نزع قوة اخرى من أيدي أهل البلاد الا وهي البنى الاقتصادية، فاذا استطاع تدميرها فان ذلك الشعب لا يملك الا ان يجمد وتقل حركته فيتخلف و يركس في التبعية أكثر.

● ثالثاً:

يقوم الاستعمار بربط اقتصاد البلاد المستعمرة باقتصاده هو، و بلا شك فان هذا الربط يقوم على اساس علاقة اليد العليا القوية باليد السفلى الضعيفة، أو علاقة السارق بالمسروق كما عبر عنها الامام الخميني «حفظه الله»، حينما قطعت ايران علاقتها بأمريكا.

و بهذا الربط لا يمكن لاقتصاد تلك البلاد، ان يتقدم مهما حاولت الحكومة لان تلك العلاقة ليست الا هدم منتظم لامكانات تلك البلاد.

● رابعاً:

حينما يدخل الاستعمار أي بلاد فانه يفتش عن الفئة الاكثر رجعية وجموداً وضعفاً، و يسلمها زمام البلاد لأنها ستكون الاكثر خضوعاً وولاءاً للاستعمار.

[قالت إن الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها، وجعلوا أعزة اهلها أذلة وكذلك يفعلون]
—٣٤/النمل—

ولاشك ان حكم الرجعيين الجاهليين الذيليين لا يمكن ان يطوّر البلاد، وانما

يزيدها انحطاطاً وارتكاساً في أوحال التخلف.

ولابدّ من التفصيل والايضاح حول هذه النماذج التي ذكرناها ليتبين كيف استطعنا القول بأن الاسلام يقضي على مشكلة التخلف.. لأننا لاحظنا بأن التبعية هي السبب الرئيسي في التخلف، وحيث ان الدين يقضي على التبعية، فانه نتيجة لذلك يقضي على التخلف وهذا هو مفتاح بحثنا حول كيفية معالجة الاسلام لمشكلة التخلف في الفصول القادمة انشاء الله.

الاستقلال منطلق
التقدم الرسالي

●بالرغم من المساعي الحقيقية والمستمرة لتغيير الوضع البائس والانتقال من حالة التخلف الى حالة أفضل، من التطور والنموّ فان بلادنا الاسلامية ــ كجزء من العالم الثالث ــ لا تزال تعاني من و يلات التخلف والأنحطاط، ولا تزال السدود المنيعة، والعقبات الكأداء تقف في طريق تقدمها.

ورغم ظهور العديد من النظريات والدراسات، وعقد الكثير من المؤتمرات التي عرفت باسم مؤتمرات الشمال والجنوب، بهدف ازالة الفجوة بين العالم المتقدم والعالم الثالث فان هذه الفجوة تتسع كل يوم بدل ان تضيق او تتلاشى.

● الشمال والجنوب.. هوّة تتعمق!

فاذا كانت الدول المتخلفة ــ قبل خمسين عاماً ــ بحاجة الى ابسط انواع الصناعات، بينما كانت الدول المتقدمة تصنع الطائرات وتتوغل في مجالات الصناعة الثقيلة، فان الدول المتخلفة نفسها ــ اليوم ــ تعاني من مشاكل الصناعة البدائية، او لا تملك سوى صناعات التجميع، في حين قطعت الدول الصناعية المتقدمة اشواطاً

بعيدة لاختراق الحواجز الصناعية في عصر (الذرة) وتقدمت الى آفاق واسعة في هذا المجال، بل لازالت بلادنا تعاني من مشاكل مستعصية في مجال صناعة الادوات المكتبية كالاقلام، والدفاتر ــ على سبيل المثال ــ بينما البلاد المصّنعة اخذت تجتاز ما يُسمى بالثورة الصناعية الثالثة ــ ثورة الالكترون ــ فالعالم الصناعي لا يكتفي الآن بصناعة الطائرات والسيارات و..و.. وانما توغل في صناعة العقول الالكترونية وادخالها في كافة مجالات حياتهم، فقد بلغ عدد تلك العقول المركبة على انسان آلي في العالم ستين ألف مواطن جديد فوق كوكبنا، يوجد في هذه المجموعة البشرية الآلية خمسة وأربعون ألف انسان آلي منها في اليابان فقط، وستة آلاف منها في الولايات المتحدة وتتوزع الباقي دول أوربا، أما العالم الثالث فقد رفض الانسان الآلي دخوله فضلا عن التجنس بجنسية من جنسياته.

وهذا تخلف آخر في ميدان العمل يضاف الى الفجوات السابقة بين العالمين، كما ان اختراق مجال الذرة التي تحولت الى سلاح تدميري هائل، وسلاح صناعي فضيع في المجالات السلمية مازال محدوداً جداً في الدول النامية، اذ لم تستطع الا دولتان كبريان من دول العالم الثالث امتلاك القنبلة الذرية هما الصين والهند ودون ان يطوّرا الذرة في المجالات الأخرى.

لذلك فان المؤتمرات والدراسات والبحوث الدولية، واللجان المشتركة والجهود المكثفة لم تفشل في ردم الهوّة القائمة في العالم الصناعي المتقدم والعالم المتخلف «النامي» فحسب، وانما ايضاً لم تستطع ان توقف حجم تلك الهوّة عند حد معين او أبقائها على وضعها، وانما تستمر هذه الفجوة اتساعاً وعمقاً مما حدى ببعض الكتاب «الأميين» والشعراء «العملاء» ان يقولوا بأن العالم الثالث لايمكنه اللحاق بالعالم الصناعي أبداً فقد فاته القطار وانتهى كل شيء.

أما نحن المسلمين فان لنا رأياً آخر، فقطار الزمن لم يفتنا فبامكاننا ان نمتطي الزمن ذاته ونتجاوز قطاره لنصل الى أبعد مما وصلوا، ولنا على ذلك شواهد من التاريخ بل من واقعنا المعاصر، ولايضاح هذا الموقف فاننا نحتاج الى الاجابة على سؤال..ما

• أوروبا غازية.. لا فاتحة!

لقد سبقت الاشارة الى ان أوربا قد قامت بغزونا غزواً منظماً أدى بنا الى هذه الحالة من التخلف، ولكن الذي نريد معرفته هو كيف غزت أوربا بلادنا واستطاعت ان توقف تصاعدها وتكاملنا ونموّنا؟.. فاذا عرفنا ذلك، فانه يمكننا تحديد جذر المشكلة وتشخيص فيروس المرض كمقدمة ضرورية للقيام بالعلاج، فنحن ان سبرنا عمق المأساة قمنا بعلاجها علاجاً واقعياً وجذرياً لاسطحياً.

لقد كانت في التاريخ غزوات، وفتوحات، ومن الغزوات التي واجهتها أمتنا في التاريخ الغزوات المغولية الهمجية التي شنّها التتار ضد المسلمين، فكانت غزواتهم اجتياحاً وحشياً لم تقف سيول الدماء الا عندما توقفت الغزوات ذاتها.

كما ان التاريخ شهد فتوحات اضاءت وجهه،التاريخ، واتسعت عبرها رقعة الفضيلة والخير والأمن بين شعوب كثيرة في الأ رض.

وبديهي ان الفرق شاسع بين الغزوات والفتوحات، اذ ان الغزوات لا تعدو ان تكون شنّ غارات على الاراضي المجاورة بهدف الحصول على لقمة العيش وسد رمق الحياة وقهر الجوع والفقر بالاستيلاء على حق الآخرين، بينما الفتوحات على العكس من ذلك، اذ انها تهدف نشر الفضيلة والسلام والرخاء في الارض واعلاء كلمة الله، وقد فتح الاسلام بلاداً واسعة..ولو تأملنا التاريخ الاسلامي لأدركنا كم أفادت الفتوحات الاسلامية شعوب البلاد المفتوحة حيث انقذتهم من حكومات الجور والفساد والجهل والديكتاتورية، ونقلت اليهم الحضارة والفكر والنور. فالشعوب الأفريقية على سبيل المثال لم ينعموا بفضيلة الاسلام ورحمته فحسب، وانما أخذوا بأسباب الحضارة الاسلامية وشاركوا فيها بجهود لايزال التاريخ يحتفظ بآثارها

ونستطيع ان نقول ان من الفرص النادرة التي توفرت للأفريقيين للمساهمة في حضارة الانسانية كانت، تلك الفرص التي وفرها الاسلام لهم، كما ان الماضي لايزال مشرقاً بأسماء اسلامية سطعت في مجال العلم والشعر والفلسفة والقيادة والحروب والفتوح، هذا باستثناء مصر التي كانت تتمتع بماض حضاري عريق على الصعيد الفني والاجتماعي.

لقد بلغت الفتوحات الاسلامية الى الهند بعد فارس وافغانستان، وكل هذه البقاع هي من البلدان التي تمتلك تاريخاً حضارياً عريقاً، ومع ذلك نجد ان شعوبها قد استقبلت الفاتحين بشوق وحرارة وأعتنقت الاسلام وذابت في تعاليمه وحضارته، ومع ذلك فان الفاتحين ماجاءوا للسلب والنهب والاستغلال، وانما جاءوا لايصال كلمة الحق وتحرير الشعوب من ربقة سلاطينهم الظالمين، وأكبر دليل على ذلك ان هؤلاء الفاتحين لم يتنعموا في ظل الابنية، ولم يسكنوا القصور التي دخلوها فاتحين، فما كانوا محتلين ولكن محررين بالفعل، ولذلك فانهم ماكانوا ليضايقوا أهل البلاد المفتوحة بجنودهم وأفرادهم، وانما راحوا يبنون مدناً عسكرية للجيوش التي جاءت للفتوح، فحينما وصلوا الى المدائن بنوا لهم الكوفة وسموها «كوفة الجند» وفي الحيرة بنوا للجيوش مدينة «واسط» وحين وصلوا الى الاسكندرية بنوا «فسطاط» وهكذا فعلوا في كل البلاد التي امتدت اليها أشعة الاسلام عبر الفتوح، فكانت تلك الفتوح تحمل رسالة نشر الفضيلة والسلام فيما بين الشعوب المختلفة وصهرها في بوتقة الوحدة الاسلامية، ولكي تنال حقوقها المشروعة في الحياة بحرية وعدالة ومساواة واستقلال واخاء — هذا اذا ما استثنينا التصرفات الشاذة من قبل الأنظمة الحاكمة على المسلمين كتصرفات الأمويين الشوفينية تجاه الشعوب الاسلامية.

واذا استثنينا هذه الفترة البسيطة التي انتهت بفضل الله والثورات الاسلامية، نرى ان المسلمين الفاتحين قد ساووا بينهم وبين من فتحوا بلادهم، بل ان كثيراً من المسلمين الجدد الذين فُتحت بلادهم قد شاركوا في الحياة السياسية، كما حدث للفرس والاتراك في بغداد في زمن العباسيين، وكما كان الامر في مصر في عصر

المماليك الذين كانوا من الموالي.

هذا بالنسبة للفتوحات، وأما الهدف من الغزوات فانه غير ذلك، فالأوربيون حينما انتشروا من قارتهم الضيقة الى جهات مختلفة من العالم، لم يقصدوا بالتأكيد نشر الفضيلة والحرية والرخاء، وانما الصورة هي عكس ذلك تماماً.

فأوربا في تلك الفترة كانت تعيش حصاراً اقتصادياً نتيجة لصعوبة الظروف الاجتماعية القاسية التي كانت تعانيها والظروف السياسية المتزعزعة حيث كانت تعاني حصاراً من ناحية البرّ شرقاً حيث الدولة العثمانية التي تسيطر على منفذ أوربا على آسيا ــ طريق البوسفور ــ ومحاصرة من الجنوب حيث كانت الاضطرابات في بلاد المغرب تمنعها من سلوك الطريق البري عبر شمال أفريقيا.

لذلك اضطرت أوربا الى اختراق جهة أخرى وذلك عبر ركوب البحر بحثاً عما يشبع جوعهم وغرورهم وتطلعاتهم!! فالأوروبيون عندما أبحروا في بحر الظلمات ــ المحيط الأطلسي كما يسمونه ــ لم يكن لهم هدف سوى جمع صدقات الأمم ولو سرقة، ومن كان ذلك هو هدفه فانه لايقدر ان يحمل الفضيلة الى العالم!

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان أوربا لم ترسل عبر البحار الى أرجاء العالم علماءها وفلاسفتها ولاخريجي جامعاتها، وانما لم يكن في تلك السفن التي راحت تجوب البحار وتكتشف الطرق سوى مجموعات من اللصوص والمغامرين من الخارجين على القانون الذين لفظتهم القارة الأوروبية فراحوا يبحثون عن مجالات أخرى لأنفسهم في مناطق مجهولة من العالم ليقوموا بعد ذلك بابادة شعوب القارات كما فعلوا في امريكا مع الهنود الحمر وفي استراليا مع السكان الأصليين، وفي افريقيا وغيرها. وقد ارتكب هؤلاء جرائم وحشية يندى لها جبين البشرية من أجل السيطرة والاستيلاء على تلك المناطق ولو أدى بهم الى ابادة الشعوب الاخرى.

ونحن هنا لا ننكر ان أوروبا تملك العلماء والفلاسفة، ولكن أوروبا لم ترسل الى العالم عبر رحلاتها البحرية علماءها وخيرة أبنائها من خريجي الجامعات، وانما

أرسلت الأشرار والمجرمين الذين شكلوا مجموعات مغامرة وشكلوا فيما بينهم جيشاً مجرماً، وقدموا لحكوماتهم الضرائب والرشوات ليسمحوا لهم بالانطلاق الى القارات المختلفة لممارسة أبشع أنواع الجرائم وفي مقدمتها اختطاف الأطفال السود والمتاجرة بهم عبر المثلث التجاري المشهور «أوروبا،أفريقيا،أمريكا» ومن ثم ممارسة التفرقة العنصرية في هذه القارات الثلاث بشكل وحشي ورهيب.

فهل أمثال هؤلاء المجرمين واللصوص يستطيعون ان يحملوا النور الى العالم؟ ولو تصفحنا تاريخ هؤلاء لوجدناان مفكراً أوروبياًواحداً لم يقم بزيارة لأي بلد متخلف من البلدان التي سيطر عليهاالأوروبيونالا في القرنين الاخيرين، حيث اخذوا يأتون لحضور مؤتمر هنا او هناك لا أكثر، أما قبل ذلك فما كانوا يأتون ولا يعقدون مؤتمرات ولا يكترثون بهذه الدول!!

يقول (اديب نبوت)، في كتاب ما هي التنمية حول هذا الموضوع: «لم يكن الغزاة في البداية سوى الفاشلين في المجتمعات الاوروبية المنهمكة في تركيز أطرها القومية. والشجاعة الجسدية، والرعونة، وحب المغامرة، صفات لا غنى عنها لمعرفة اي نوع من الشخصيات كان اوروبا تتخلص منهم بفضل الغزات المتكررة، وتلفظ بهم الى الخارج للتخلص منهم كبقايا الاستنقاع والانحطاط الاقتصادي»

● السيطرة على البحار

حينما ركبالاوروبيونالبحار فانهملم يتعاملوا مع العالم بروح حضارية، وانما بروح استغلالية«لصوصية» اذ سيطروا على التجارة البحرية واستخدموها سلاحاً ضد الشعوب الأخرى ومن أجل ابتزازهم، فقد كانوا ينقلون البضائع المختلفة بين الشرق والغرب من أوروبا الى افريقيا وآسيا ومنها للقارات الأخرى وهكذا..

ولاحتكارهم التجارة البحرية دولياً فقد فرض الغزاة الاوروبيون على العالم نوع

التجارة الذي ارادوه هم وطريقة التعامل التي تعجبهم لكي يتمكنوا من جمع الثروات الطائلة في أقل وقت ممكن، فكمية التوابل التي يشترونها من الهند بروبية واحدة، يبيعونها في أوروبا بمائة روبية، والبضاعة الاوروبية التي قيمتها جنيه واحد تصبح **قيمتها مائة جنيه في الشرق الاوسط وهلم جرا.!**

قبل حوالي ٢٥٠ عاماً رست أربع سفن برتغالية محملة بالتوابل في ميناء بوشهر الايراني فتفاوضوا مع التجار الايرانيين على سعر البضاعة فلم يتوصلوا الى حل حيث عرض الايرانيون ثمناً واشترط البرتغاليون سعراً أغلى، فلم يتوصلوا الى نتيجة لعلم البرتغاليين بحاجة الايرانيين الى البضاعة، فمارسوا الضغط على الجانب الايراني فلما لم ينصاع الايرانيون لهم، قام البرتغاليون بحرق احدى السفن بحمولتها وأضافوا قيمتها التي طلبوها الى السفن الثلاث الأخرى، فلم ينزل التجار الايرانيون لرغبتهم، وفي الاسبوع الثاني قاموا مرة أخرى بحرق سفينة ثانية بحمولتها وأضافوا سعرها الى بقية الصفقة، فرفض الايرانيون هذا الابتزاز، فما كان من البرتغاليين الا ان أحرقوا السفينة الثالثة وطلبوا على الرابعة أربعة أضعاف القيمة التي طلبوها أول مرة، ونظراً لحاجة الايرانيين لحمولة السفينة اضطروا لشرائها بأربعة أضعاف القيمة، حينما هدد البرتغاليون بحرقها هي الأخرى!!

هكذا كانوا يتعاملون مع الشعوب: ابتزاز رخيص، واجحاف بالبشر، وكفران للنعم.. لذلك لم يكن غريباً ان تجني شركة الهند الشرقية الهولندية أرباحاً خيالية خلال سنتين «١٦٤٨ــ ١٦٥٠» فقط مما حدا ببريطانيا ان تنافسها وتقضي عليها لتستأثر بالساحة لنفسها، حيث كانت الأرباح تفوق الخمسمائة في المائة كما يذكر أحد الكتاب الأجانب.

ومن الجدير بالذكر ان أحد الكتاب الأوروبيين يدافع عن هذا الجانب من الربح الفاحش حيث يقول (في الواقع ان تجارتنا مع البلاد النامية ينبغي ان تكون ضمن قائمة «تجارة الأقوى» فنعطيهم القليل ونأخذ منهم الكثير، ونعطي مالاينفعهم كثيراً ونأخذ ماينفعنا).

من هنا فان أسلوبهم هو تعامل الأقوى مع الضعيف، أي اذا سيطروا على البلاد فلابد من فرض ارادتهم على تلك المناطق تجارياًو..و..!

• تحكيم العملاء فوق الشعوب

لم يقتصرالأوروبيون في تعاملهم مع الشعوب على اسلوب القهر التجاري، وانما مارسوا لعبة أقذر ،فقد قاموا بتشجيع عملاء لهم في البلاد المتخلفة لكي يستثمروا شعوبهم بمعاونة المستعمرين، وعن طريق ذلك الاستثمار بدأ الغزاة الجدد بمحاولة السيطرة على الشعوب بالفعل كما حصل في افريقيا بالذات حيث لعب الغزاة أقذر الأدوار التي سودت وجه التاريخ البشري الأوروبي،وهي تجارة الرقيق التي لو شئنا الحديث عنها فقط لأحتجنا الى العديد من المؤلفات حولها، اذ قاموا باختطاف مئات الملايين من الأطفال الأفارقة، بل والشبان والكبار والصغار والنساء ورحلوهم الى أوربا وامريكا لبيعهم في أسواق النخاسة ودام ذلك العمل لأكثر من ثلاثة قرون! ولاشك ان خلف كل أفريقي يختطف كارثة فجيعة لايعلم مداها الا الله سبحانه وتعالى، وبعد اختطافه تبدأ محنته الطويلة اذ يتعرض للأستخدام «رقاً» كأسوأ استخدام عرفه التاريخ!

واذا كانت أفريقيا اليوم تعاني من صعوبات بالغة فانما هو بسبب تلك الوسائل الوحشية التي اتبعتها أوروبا للسيطرة على القارة السوداء.

ولا يختلف الحال كثيراً في الهند التي امتصوا خيراتها وتركوا مئات الملايين فيها فريسة الفقر والجوع بعد ان كانت من أغنى دول العالم..وصحيح انهم لم يستخدموا تجارة الرقيق في الهند، ولكن شبه القارة الهندية تعاني التمزق والتطاحن الى اليوم بعد ان فتتها الاستعمار الى دول عديدة تمزقها الطائفية من الداخل.

وهكذا الحال في كل المناطق التي دخلوها، اجحاف في التعامل التجاري القاهر وخلق العملاء ليصبحوا أدوات الاستعمار في امتصاص دماء الشعوب، وتحطيم البنى

الاجتماعية والاقتصادية، بل كل مقومات البلاد التنمو ية..

• أساليب لاانسانية لاخضاع الانسان

لقد حاولت القوى الاستعمارية السيطرة على الشعوب بكل الوسائل، فلم تدخل بلداً الا افسدته وحطمت كل مقوماته، ليصبح بعد ذلك قمراً يدور في فلك الدولة المستعمِرة.

• في الهند

وعلى سبيل المثال يذكر «نهرو» في العديد من كتاباته أساليب الاستعمار البريطاني في القضاء على مقومات الهند وتحطيم البنىٰ الاساسية لها، و يأتي بمثال على ذلك ان البريطانيين حينما دخلوا الهند كانت فيها «تجارة الأقمشة» مزدهرة لأنها تصنع محلياً وكانت ناجحة.

وكانت الأقمشة الهندية الى ذلك الوقت تغزو الأسواق العالمية لاسيماالأورو بية عن طريق السفن الهولندية والبريطانية والبرتغالية التي كانت تشحن التوابل والأحجار الكريمة والعطور والأقمشة من الهندالى أورو با.ولايزال نوعان من هذه الاقمشة وهما «الساري» الهندي «والشال» الكشميري يتمتعان بشهرة فريدة، و يعود تاريخ هذه الصناعة في الهند الى اوائل العصر الاسلامي.

ولكن لما جاءت بريطانيا، وكانت قد وصلت صناعة النسيج فيها الى مرحلة متقدمة من المكننة، فرضت على الهند شراء الأقمشة البريطانية بأساليب مختلفة كان في مقدمتها عرض الأقمشة البريطانية بأسعار زهيدة جداً، في مقابل الاسعار الغالية نسبياً للبضاعة الوطنية الهندية ولا شك ان الهندي يلجأ للأ رخص لاسيما وان البضاعة جيدة، ولم تمض بضع سنين حتى اضطر معظم اصحاب مصانع النسيج

البـدائية التي تعتمد الحياكة اليدوية في عملها، الى اغلاق محالّهم الصناعية والهجرة الى المدن الكبرى للعمل عند البريطانيين.

وقامت بريطانيا بانشاء شركات للتوظيف بدأت تنقل العمال الهنود ذوى المهارات الصناعية الى مناطق مختلفة في العالم لاسيما جنوب أفريقيا. وقد كان غاندي محرر الهند واحداً من الذين عملوا في جنوب أفريقيا، و بهذا الاسلوب الماكر استطاع المستعمر البريطاني تحطيم الصناعة الهندية لتحل محلها الصناعة الانجليزية، واصبح الشعب الهندي المسكين يحتاج الى مصانع بريطانيا لكي يلبس الملابس. بعد ان كان يصدرها الى أوروبا.

• في مصر

ولم يختلف الدور الانجليزي الماكر في مصر عن ذلك،بل كان أسوأ منه بكثير، اذ قاموا بتدمير المصانع التي أسسها محمد علي باشا الذي حاول تصنيع بلاده، والمصانع التي لم يستطيعوا تحطيمها قاموا بتفكيكها وارسالها الى بريطانيا واعادة تشغيلها هناك.

و يقول «روميل» عندما دخل البريطانيون مصر: «ان الحليف الوحيد لنا في مصر هم الأقطاعيون» ليس المثقفين او الجماهير او علماء الدين وانما الاقطاعيون.

• في الصين

وفي الصين لجأ المستعمرون الى سلاح خطير لتدمير الارادة الانسانية من أجل السيطرة على الشعب الصيني حينما فرضوا عليه استخدام المخدرات والادمان على الافيون بشتى الأساليب والحيل ولم يتخلص من هذه المأساة الا عبر حرب طاحنة كبيرة عرفت فيما بعد بـ«حرب الافيون».

• في ايران

وقصة التنباك التي تحولت الى ثورة شعبية قادها علماء الدين ضد التدخل البريطاني في ايران مشهورة، اذ ما ان قامت شركة التنباك الانجليزية بتوقيع اتفاق امتياز الدخانيات في ايران مع الشاه في ذلك الوقت حتى استقدمت مائة ألف موظف وخبير من العملاء المسلحين وقامت بمصادرة المزارع المختلفة لتحويلها الى دخان بترويج استعمال التبغ فثار العلماء ونبهوا الشعب لما يحاك ضد مصالحه من مؤامرات وكانت فتوى المجدد الشيرازي بحرمة استعمال التنباك، لأن استعماله يعتبر حرباً لامام الزمان(عج) فثار الشعب المسلم وازدادت الثورة لهيباً حتى تمّ طرد البريطانين من ايران والحمد لله.

وهكذا نجد انهم ما كانوا يستخدمون أسلوباً واحداً في جميع البلدان، انما لكل بلد اسلوب خاص كي ينطلي على الشعوب و يبتلعوا الطعم، وهناك بلاد أخرى استخدم المستعمرون معهم ادمان الكحول ودعوا الى شرب الخمور ليتسنى لهم السيطرة على الشعب بلا مقاومة.

• اصطناع الحاجة

يقول أحد روّاد الصناعة الغربيين بأن طريقة تسويق بضاعتهم ومنتوجاتهم في الاسواق الخارجية تعتمد على الحيلة في البداية اذ يقصدون المجتمعات المختلفة و يصطنعون لهم احتياجات وهميّة او اهتمامات جديدة تعتمد الروح الاستهلاكية للمنتوجات الغربية ذاتها.

و يضرب مثالاً افريقياً على هذا الاسلوب، اذ يقوم المستعمرون باهداء سيارة لواحد من زعماء القبائل البارزين فتكون وسيلة لجذب اهتمام الآخرين وتنافسهم بحيث تتولد فيهم الرغبة في اقتناء سيارات، و يقوم ابناء ذلك الزعيم، وقبيلته،

والمنافسين له يسعون لاقتناء سيارات كالتي يملكها الزعيم، ومجيء السيارات بدوره يجلب معه احتياجات أخرى كانشاء محطات البنزين وأماكن تغيير الزيت وورش التصليح ومجمعات قطع الغيار والفنيين..و..

واذا تعوّد المجتمع على استعمال السيارات فانه يصبح آنئذ مركزاً رئيسياً لاستيراد السيارات، ومحطة لعمل الشركات الاجنبية في رصف الشوارع و بناء الطرق المعبدة والمسفلتة وجميع هذه الأمور تصب في مصالح الاجنبي.

وهكذا بهذا الاسلوب اللاأخلاقي واللاانساني يزورّون حاجات الشعوب ليسيطروا عليها!!

• هدف الحروب تكريس التبعية

وفي البلدان المتخلفة نرى الشعب لايجد ما يأكله و يبحث عن لقمة العيش ولكنه مع ذلك لايستغني عن تلفزيون في كل بيت، ولابد ان يكون ملوناً، وكذلك الراديو لايفارق احداً من أبناء الشعب، وتجد البيت خرباً لايقي أهله حر الصيف ولابرد الشتاء ولكن هوائى التلفزيون ينتصب فوق السطح.

هذه الحالة هي معنى الحاجات الموهومة والاحتياجات المصطنعة للانسان والتي فرضوها على شعوبنا فرضاً ليربطوها بعجلة اقتصادهم.. هذا في عالم الاقتصاد.

أما في عالم السياسة فانهم جاءوا ومزقوا بلادنا الى عدة دو يلات صغيرة وأشعلوا فيها الحروب المحدودة التي تدمّر ماتبقى لهذه الدو يلة او تلك ولا تتركها الا وقد بلغ الجهد والاعياء منها كل مبلغ لتظل بعد ذلك تلهث عشرات السنين مرتبطة بالاستعمار أكثر من ذي قبل.

فكم شجعوا الحرب بين البلدان في افريقيا وآسيا، وأمريكا اللا تينية لتصبح هذه الدولة ضد جارتها وهذه الكتلة ضد تلك.

وأقرب دليل بهذا الصدد مانراه اليوم من استمرار هذه الحرب المفروضة على الجمهورية الاسلامية ظلماً وعدواناً! فهل كانت مستمرة كل هذه المدة لولا التشجيع الاوروبي والدعم الامريكي لصدام الطاغية.

لقد نشرت الاذاعة البريطانية تقريراً لأحدى الصحف الانجليزية جاء فيه: ان هذه الحرب قد جعلت كلا البلدين الاسلاميين (اي العراق وايران) احوج ما يكونان لنا لأنهما سيحتاجان الينا خلال الحرب وبعد الحرب طلباً للمزيد من السلاح والتكنولوجيا والخبراء والشركات لاعمار البلدان، كالتكنولوجيا لا توجد الا عند الغرب، وهذا ما سيدفع بالبلدان للارتماء في أحضاننا!!

ولكن سوف يخيّب الله آمالهم، وسينقلب السحر على الساحر باذن الله! ان ايران الاسلام صامدة بعون الله، والعراق يتجه نحو التغيير والاستقلال بعد ان ينهار النظام البعثي العميل.

وكم هذه الحرب مخيبة لآمال كارتر الذي صرح في بدايتها ان ايران الآن ستعود للحظيرة الامريكية بعد ان اجتاحت العراق مقاطعة كاملة منها!!

ان ماتريد القوى الاستعمارية ان تصل اليه من خلال اشعال الحروب المحلية المحدودة هو تحطيم القدرات والبنى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وقد فعلوا ذلك وتحقق لهم مايريدون في كثير من بلدان العالم!! فكيف تستطيع بعد ذلك ان تنمو البلاد نموّاً طبيعياً؟ اجل، لو كانت هذه الدول قد تركت وشأنها لاستطاع العديد منها ان يصبح من الدول الصناعية الكبرى كالهند والصين ومصر التي حاول محمد علي باشا تصنيعها، ولاستطاع ان يغير الكثير في مصر لولا تدخل الدول الاوروبية التي عادت بمصر الى هذا المستوى المتخلف!!

• تجارب الشعوب في التحرر

لقد استعرضنا فيما سبق الجرائم التي قامت بها القوى الغازية الاستعمارية

بحق شعوب العالم ودوله الا ان هناك جانب آخر من الحقيقة وهو الجريمة التي ارتكبتها الشعوب ذاتها بحق أنفسها، ولاشك ان هذه الجريمة أسوأ من سابقتها، لأننا بالنسبة للجرائم «الخارجية» قد لانملك سلاحاً لردها ولكن ماعذرنا في الثانية، وقد جنينا بأنفسنا على أنفسنا.؟

فلو تصدت الشعوب لاجتياح الدول الأوروبية الغازية وقاومت الغزو سياسياً واقتصادياً لاستطاعت الشعوب ان تبني نفسها وان تقضي على التخلف، إلا ان مكمن الداء الحقيقي هو الثقافة المتخلفة التي توجه تلك الشعوب!!

وهناك شواهد كثيرة تدل على ان الشعوب تملك القدرة على التحدي والرد:ـ

● أولاً:

حينما جاء غاندي الى الهند أيقظ في الشعب الهندي روح الاستقلال كما أيقظ فيه حبّ الصناعات اليدوية التي كانت الهند تشتهر بها تاريخياً واستطاع بالفعل ارجاعه الى تلك الصناعات بعد ان قاطع ابناء الشعب البضائع الانجليزية، فما كان من السلطات البريطانية الا ان أخذت غاندي الى بريطانيا ومرّت به عبر شارع طويل في لانكشير حيث أمروا العمال العاطلين عن العمل بسبب المقاطعة الهندية لمنتوجاتهم ان يصطفوا على جانبي الطريق الذي بلغ عدة أميال وبعد ان شاهدهم غاندي سأله البريطانيون:

هل شاهدت هؤلاء؟ فقال نعم! فقالوا له:

هؤلاء ضحايا تعليماتك للشعب الهندي بمقاطعة البضائع الانجليزية، فسألهم غاندي:

أين يقطن هؤلاء وكيف يأكلون؟ فقالوا: يقطنون في منازلهم والمصانع تعطيهم نسبة معيّنة من أجورهم! فقال: وهل يوجد من يموت منهم..؟ فقالوا: لا..

فقال: ان شعبي هناك ينامون في الشوارع، ويموتون جوعاً وليس هنالك من

يتصدق عليهم بلقمة خبز! وما عملت ما عملت الا من أجل انقاذ ذلك الشعب البائس!!

لقد استطاع غاندي ان يقاوم خطط المستعمرين، وجرّ الشعب الهندي معه كله الى المقاومة وقد استطاعت الهند الآن ان تصنع كل شيء ابتداءاً من الابرة وحتى الصواريخ والقنابل الذرية، أليس كذلك؟

● **ثانيا:**

لدينا التجربة اليابانية، وهي تجربة أكثر دلالة على حديثنا، فقد اكتشف اليابانيون طبيعيةالأوروبيين منذ البداية،ونظراً لوجود روح الاستقلال العنيفة عندهم، فقد كنعوا ومن الاختلاط بشعبهم، وما كانوا يسمحون للسفن الهولندية ان تأتي الى موانئهم الا مرتين في السنة فقط، وكانوا يخضعونها للتفتيش الدقيق، فاذا وجدوا الكتب العلمية في الطب والهندسة او غيرها صادروها وزوّدوا بها جامعاتهم، ولو وجدوا كتباً داعرة لا نفع فيها أخذوها وأتلفوها ورموا بها بحراً، وقالوا منذ البداية ان هؤلاء جراثيم يجب ان لايأتوا الى بلادنا.

فالاحساس بالاستقلال دفع باليابانيين منذ البداية الى البحث عن العلم الذي كان موجوداً عند الاوروبيين فعملوا المستحيل للحصول عليه بمصادرة الكتب وبارسال البعثات العلمية للتجسس على الاوروبيين في مصانعهم ومدارسهم وجامعاتهم حتى استطاعوا ان يأخذوا العلم منذ القرن الثامن عشر، مما جعل اليابان تصبح الدولة الصناعية الوحيدة في آسيا تقريباً.. والآن تعتبر ثالث دولة صناعية في العالم، رغم انها الاولى في مجال الالكترونيات.

وبالطبع ما كان ذلك ليتأتى لليابان لولا حفاظها على الاستقلال منذ البدء.

● **ثالثا:**

استطاعت كورياالشمالية هي الاخرى ان تصبح دولة صناعية، لأنها استطاعت ان تسد أبوابها في وجه الاجتياح الغربي، وربما الشرقي أيضاً، وبنت نفسها وصناعتها

بيدها حتى استطاعت ان تتجاوز مرحلة الصناعة في العالم الثالث.

● **رابعا:**

قـام الاتحاد السوفيتي في عهد ستالين عام١٩٢٣م بتفجير الثورة الثانية حسب تـعـبـيـرهم واستطاع خلال عشر سنوات ان يلحق بالعالم الغربي حينما سدّ الأ بواب أمـام الـصـنـاعـات الغربية وبدأ الروس بأنفسهم السعي واللحاق بركب العلم حتى اسـتـطـاع ان يـتـجـاوز الـصـنـاعـات الغربية أحياناً وقد يعلن الاتحاد السوفيتي سبقه لأمريكا في بعض المجالات.

ومما سـبق يتبين لنا ان الشعوب اذا ما أرادت النهوض واللحاق بركب الحضارة، بـل وسـبقه فلابد ان تستعيد ثقتها بنفسها وتحافظ على استقلالها لكي تستطيع الصمود أمـام الـغـزو الخارجي، وبعدها تتفجر الطاقات الكامنة ذاتياً في أبنائها فتستطيع القفز **فوق** كل الحواجز لتحقيق التقدم والانجاز الحضاري.

برنامج الاسلام
للتقدم الحضاري

ان البلاد النامية التي تنتمي اليها بلادنا الاسلامية والتي تعاني الأمرّين من الفقر والخوف ينبغي أن تعمل المستحيل لكي تتحدى وضعها المتخلف عبر عواصف شديدة من تداخلات العوامل الخارجية، لاسيّما مداخلات الاستعمار والامبريالية والصهيونية، وما تتبعها من القوى السياسية والعسكرية..

● اي مصير نختار؟

هنالك في عالمنا الاسلامي ما لايقل عن ٧٠٠ مليون انسان يعيشون دون أدنى المستويات اللائقة بانسان القرن العشرين، وهنالك الملايين ممن يهددهم الموت جوعاً، وألوف الملايين الذين ان لم يهددهم الجوع اليوم، فان تبعيتهم للغرب والشرق تتهدّدهم بالفناء في أية لحظة تشاء فيها القوى الكبرى ان تفنيهم.. فما اسرائيل التي زرعت كخنجر حاد في قلب الوطن الاسلامي، والتدخل العسكري الروسي الذي لم يكف عن ابادة الشعب المسلم في افغانستان وما الابادة المنتظمة للشعب الارتيري من قبل حكومة اثيوبيا الحمراء، وما الغزو العسكري والثقافي والاقتصادي لبلادنا تحت

شعار أو آخر.. وما تسليط مجموعة من العملاء الأجانب على بلادنا واحاطتهم بشبكة من أجهزة المراقبة لكي لا يفكروا بالاستقلال، إلا نتائج بارزة لمواقفنا وتصرفاتنا التي أملتها علينا ثقافة القرون الخاو ية، قرون القشرية والتخلف، وكل هذه النتائج تدفعنا الى ان نختار واحداً من أمرين: أما الموت، واما التقدم، ولا ثالث لهما، وهذا يعني اما ان نختار لأنفسنا الفناء المنظم والابادة المنتظمة، واما أن نختار لأنفسنا التحرك السريع لتجاوز عقبة التخلف، وهنا لابأس من سرد مثلٍ من واقع امتنا اليوم و بعض الأمثلة الأخرى من واقعنا في القرون الماضية..

• المفاعلات النوو ية في العالم الاسلامي الى أين..؟

المثل من واقعنا اليوم، ان باكستان كانت البلد الاسلامي الذي فكر قادته يوماً ان يصنعوا القنبلة الذرية واحس قادة الغرب بمدى خطورة هذا القرار، واني أتذكر جيداً ان كيسنجر فاوض علي بوتو ــ رئيس وزراء باكستان السابق ــ على وقف برامج التصنيع الذري في بلده، ولكنه رفض الاستجابة، فاضطر كيسنجر الى أن يذهب الى فرنسا وحاول ان يقنع الادارة الفرنسية في عهد «ديستان» بأن توقف مساعداتها لباكستان في الشئون الذرية، ولكن فرنسا هي الأخرى رفضت الاستجابة لعرض كيسنجر، فحاولت الادارة الامريكية في عهد «نيكسون» أن تضغط على البرازيل التي كانت لها علاقات ذرية مع باكستان، ولكن هي الأخرى رفضت طلب كيسنجر، فعقد الأخير مؤتمراً صحفياً في باريسْ قبل أن يغادرها الى واشنطن، وهناك في باريس قال في مقابلته الصحفية: «اننا سنلقن علي بوتو درساً لاينساه، لأنه رفض الاستجابة لنا» و بعد أيام بدأت القلاقل في باكستان واستمرت الى ان انهت نظام علي بوتو، بل استمرت الى أن أعدم هذا الرجل في باكستان، وكان ذلك درساً من قبل كيسنجر لا لذي الفقار علي بوتو، الرئيس الباكستاني السابق فحسب، وانما لكل الرؤساء: ان اذا حاولتم أن تتجاوزوا الخط الأحمر في تعاملكم معنا فان مصيركم لن يكون أفضل من بوتو. أ ـ تعامل الغرب مع الرؤساء لا يختلف عن تعاملهم مع الشعوب

فالرؤساء لاقيمة لهم عند الغرب اذ يطوّحون بهم متى ماشاءت ارادتهم ومتى ما حاول احدهم تجاوز الخط الاحمر الذي رسموه له فانهم يمنعونه باية وسيلة.

ومن المعروف ان نظام صدام الذي رغم عمالته المطلقة للغرب، التي دفعته لاشعال حرب طويلة عريضة ومهلكة لنظامه ولشعبه لالشيء، الا من أجل عيون اسياده، فانه لم تشفع له عمالته لهم بأن يسمحوا للمفاعل النووي في العراق ان يستمر، فأوعزوا لاسرائيل بقصفه وتفجيره.

كما ان الحكومة المؤقتة في ايران والتي ثبت ـــ فيما بعد ـــ مدى ارتباطها المشبوه بالخط الامريكي، وعمالة بعض اعضائها، اول عمل قامت به هو الغاء المعاهدات الذرية بين ايران والخارج بعد انتصار الثورة الاسلامية، ومن هذا يتبين كيف يسعى الغرب بكل ما أوتي من قوة وضغوط لكي يصنع له دمى في البلاد التي يسيطر عليها باسم رؤساء ويجعلهم ضمن نهج معين يرسمه مسبقاً و يلزمهم بالسير على هداه.

• الغزو الأوروبي يستعبد الشعوب

أما عن المثل القديم فيكفي ان نقتطف فقرات من كتاب «تشريح جثة الاستعمار» لمؤلفه الفرنسي «يدغي دو بشير» حيث يتحدث فيه الكاتب عن بعض مظاهر الغزو الفرنسي لافريقيا، وكيف كان هؤلاء الغزاة يتعاملون مع الشعوب المستضعفة، حيث حاولوا السيطرة على شعوبنا، فامتصوا افضل الطاقات ليوظفوها في مصانعهم واراضيهم الزراعية. يقول هذا المؤلف:

«عندما كان تاجر الرقيق ينزل الى الارض كان يتصل على الفور، اما بالأمير المحلي، أو بأحد أفراد بلاطه المفوضين من قبله لهذه المهمة، واما بحاكم القلعة الأبيض، و بعد ان يؤدي رسوم القاء المرسى والاقامة، يأخذ في المفاوضات المبدئية وتُدفع لرجل البلاط الأفريقي كمية من المال في بداية المفاوضات، اذ لم يكن التاجر

من حيث المبدأ يشتري من الملوك الأفريقيين الا أسرى الحرب الذين يبيعهم آسروهم والواقع ان نسبة مئوية ضئيلة للغاية من الزنوج المسترقين تندرج تحت تعريف أسرى الحرب الا أن عدداً اكبر بما لا يقاس كانوا من الرجال الأحرار وأعضاء في الاسرة او من التابعين لبلاط الملك الافريقي لم يعودوا في عين ملكهم حيث يقبض عليهم الملك بالقوة ويجرون جراً الى سفن الرقيق، استمرت هذه التجارة امداً طويلا فأخذ معين السائمة البشرية ينضب ــ نلاحظ هنا ان الكاتب يعبر عن هؤلاء الرقيق بالسائمة البشرية لكي يبين لنا نظرة أولئك الأوروبيين والامريكيين الى الانسان في افريقيا ــ وعندئذ بدأت مطاردة الرجال، تقوم على أسس منظمة في غير نطاق حرب، فما كان الأمر اذن يتعلق بايقاع الرجال الاحرار في قبضة الأسر على نحوٍ منهجي منظم، ولم يكن هناك أسرى حرب بأيّ شكل من الأشكال».

«شنّ البرتغاليون حملات في انجولا بغرض أسر اكبر عدد ممكن من الأرقاء صراحة ودون مواراة». وكانت القبائل تعيش في هذه الارض منذ آلاف السنين، فاذا فجأة يأتي العسكريون البرتغاليون الجشعون، كانوا يأتون ويحاصرون هذه القبائل و يأخذون أبناءها أسرى، والذي ينتفعون منه يذهبون به أسيراً، والذي لا ينتفعون به يقتلوه لا لذنب أقترفه، ولكن لأنهم يحتاجون الى مجموعة بشر أرقاء.

ثم يواصل المؤلف:

«ان هناك الكثير من الشك حول حجة التبشير بالانجيل.. فعندما نرى اللامبالاة والاستهتار من جانب أصحاب الرقيق في هذا الشأن حيث كانوا يقولون نحن نريد أن نذهب بهم الى الجنة المسيحية ونبشرهم بالديانة المسيحية الجديدة» هذه كانت حجتهم الظاهرية، ولكن دعونا ننظر الى الواقع الذي كانوا يمارسونه بعد أخذ هؤلاء..

●اذا نجى من الموت لم ينج من الرق

«**بعد أن تبرم الصفقة بين تاجر الرقيق والأمير الأفريقي**، أو نائبه، أو عندمايسيطر

على العشيرة الأفريقية بالقوة يساق أبناؤها أسرى، وعندما يصل البحارة المسلحون و يدفعون بارقاء المستقبل دفعاً و يقيّدون كل اثنين معاً في الأغلال، كان الأسرى يثورون في الغالب في لحظة خلال رحلة السفر، ولكن هذه الثورات كانت تخمد بعنف».

و يقول الكابتن «فاين اشتاين» في يوميات سفينته: كان تاجر الرقيق يتأكد صباح مساء ان الأسرى لم يحاولوا أن يتخلصوا من الأغلال، وكان الأسرى قبل الرحيل يوسمون بعلامات معينة، كانت العملية تتم عادة عن طريق الوسم بواسطة شفرة رقيقة من الفضة تحمل علامة السفينة، أو صاحبها، وكان لاداة الوسم تلك يد من الفضة مثبتة بمقبض خشبي و يسخنها الموكل بالعملية على النار، ثم يدعك بالشحم ذلك الموضع من الجسم الذي لا يتعدى الكتفين أو الفخذين، أو حلمتي الصدر، وفقاً لطبيعة ونوع البضاعة، و يضع فوقه ورقاً دهيناً ثم يختم بالعلامة من فوق الورقة، فكان الجسم ينتفخ و يسبب الألم و يظهر الحرق أو العلامة بارزة، ولا تنمحي ابداً، و يظل الأسرى مقيّدين بالأغلال في اماكنهم تفادياً للثورة، أو الانتحار حتى تصل السفينة الى عرض البحر و يبتعد الشاطيء الافريقي تماماً حيث يختفى عن مرمى النظر، وقد قال قبطان سفينة الشمس في ١٦ سبتمبر ١٧٧٤م القت ١٤ أمراة بأنفسهن معاً في البحر من فوق ظهر السفينة» ولكن الكابتن فاين اشتاين وصف حادثاً مماثلاً على نحو آخر، ربما كان فيه نفاق كبير حيث يقول: «استبد الفضول بنساء جلسن جميعاً من نفس الناحية وتعرضن لخطر السقوط في الماء مع اولادهن» ــ هكذا كانت النساء تحاولن أن يلقين بانفسهن مع أولادهن في عرض البحر لكي لا يظلن في الأسر، ثم يبين الكاتب كيفية وضع هؤلاء داخل السفينة اذ يقول:

«يضعون كل ثلاثة من العبيد فيما يقابل الحيز الذي يشغله برميل واحد من البضاعة» انظر مدى المعاملة اللاانسانية التي كانوا يتعاملون بها مع البشر الاحرار الذين لا جريمة لهم الا انهم كانوا عزلا من السلاح فلم يستطيعوا أن يدافعوا عن أنفسهم مقابل مدنيّة الغرب الجاهلية، ثم يضيف المؤلف: «وكان مجموع ارتفاع الطوابق التي يحشد فيها الأسرى حشداً يتراوح من متر ونصف الى مترين، مما يحول

دون أن يقف الأسير منتصباً دون انحناء، و بلغ من جشع بعض القباطنة، أن كان تكوم الأسرى يصل الى حد ان يضمّوا الى بعضهم ـ كالبرتقال في الصناديق. وفي مثل هذه الظروف البشعة، و بالنظر الى الاوضاع الصعبة التي كانت سائدة في ذلك العصر، ليس غريباً أن تصل نسبة الوفيات الى درجة مخيفة بين الأسرى فقد كانت تتراوح من ـــ خمسة بالمئة الى اربعة وثلاثين بالمئة ـــ.

والسؤال الذي يُطرح بهذا الصدد هو:

• هل تغير شيء؟

هل تغيرت صورة ذلك الأوروبي البشع أو الامريكي الوقح ياترى؟ بالطبع كلا..

اذ لم يتبدل من بعد ذلك اليوم الذي كان يتعامل فيه مع الأفريقيين والأسيويين لسببين بسيطين جدّاً هما:

• اولا:

لم تحدث حسب معلوماتنا ثورة اخلاقية في اوروبا او امريكا. اذ لم نرشيئاً من هذا القبيل. وما جاءهم نبي جديد علمهم مكارم الاخلاق، كما قال رسولنا الاكرم محمد(ص):

■(انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)■

ذلك الرسول الذي يعاتب بلالاً لأنه مرّ بالأسرى على القتلى من أهلهم، فقال له الرسول(ص): بما معناه..

■(ما اقسى قلبك يا بلال! لماذا مررت بهؤلاء الاسرى على قتلاهم، لكي يجزعوا؟)■

ذاك هو الرسول الذي جاءت الآية الكريمة في سورة «هل أتىٰ» تشيد بموقفه واهل

بيته بالنسبة الى اسرى الحرب فمهما كان أسرى الحرب، اي صاروا عبيداً، أم حظوا بالحرية بعد الفداء، أم أعتقوا لوجه الله بعد أن صاروا رقيقاً فذابوا ليصبحوا جزءاً من المجتمع الاسلامي، حتى لو استمر اسم العبد أو اسم الرق عليهم ظاهرياً، فان هناك آيات كريمة تؤكد على ضرورة الاهتمام بالأسرى، ولم تحدث في أوروبا ثورة كهذه الثورة الاسلامية ولا في امريكا، بل بالعكس تماماً حيث نعلم عن اخلاق اوروبا وامريكا، انها تتردى يوماً بعد يوم، والشيء الذي كان انسانياً ومحترماً واخلاقياً في الجيل الماضي لم يعد كذلك، والشعب الاوروبي يتهابط اليوم عبر دركات اللاانسانية واللااخلاقية في كافة المجالات، وهذا شيء واضح..

إذاً فأوروبا وامريكا، وهكذا الاتحاد السوفيتي، تعاملنا بنفس تلك الروحية، ولكن مؤطرة باطار آخر. والفرق هو ان اولئك لم يكن لديهم صحفيون يبررون مواقفهم، فلم تكن لديهم اذاعة «مونتكارلو» أو مجلة «المجلة» أو «الحوادث» أو «الاسبوع العربي» أو «الوطن العربي» تبرر تلك المواقف الرذيلة، ولكن اسرائيل تملك اليوم مثل هذه الصحف، وهذه الاذاعات للتبرير، فاسرائيل فعلت بلبنان مثل ما كان الفرنسيون يفعلون بافريقيا، ولكن تحت شعار آخر، وحكومة العراق البعثية عملت بالشعب العراقي مثل ما عمل الفرنسيون والبريطانيون بشعبنا الجزائري والمصري والفلسطين، ولكن يملك اليوم جيشاً من الاعلاميين المرتزقة الذين يبررون جرائمه.

• الواقع الوحشي لممارستهم اللاانسانية

• ثانياً:

نحن نرى بوضوح ان صانعي القنابل الذرية التي تستطيع ان تهدم العالم عشر مرات وصانعي الاسلحة الكيمياوية الخطيرة جداً والتي هي أخطر بكثير من الاسلحة النووية. هؤلاء الغزاة الذين قتلوا من الشعب الفيتنامي مليوني انسان ومن الشعب الكمبودي مثل ذلك و الى الآن لايزال النزيف البشري مستمراً في كمبوديا،

والـذيـن اسـتـخـدموا صداماً ليشن حرباً لاتبقى ولا تذر، هؤلاء لايتورعون عن تصفية المسلمين، لايـتورعون ان يجعلوا شعب مصر وارض مصر مخزناً للنفايات النووية التي تهدد هذه الارض الى آلاف السنين القادمة.

ان مـن الجرائـم الخيانية الكبيرة التي قام بها السادات انه سمح للامريكيين ان يجعـلوا ارض مصر مدفناً للنفايات الذرية، تلك الجريمة التي كان الشاه البائد يريد ان يقوم بها في ايران، ولكن جاءت الثورة الاسلامية المباركة، وطوحت به والحمدلله رب العـالمين فلـم يـستطع أن يفعل شيئاً، ومن المعروف أن خطورة هذه النفايات النووية أشـد فـتـكـاً مـن استخدام القنبلة الذرية، لان اشعاعات هذه النفايات تبقى لآلاف السـنين مـسـتـقـبـلاً مما يؤدي الى قتل الأبرياء والضحايا بالسرطان، الا اذا حدثت حـادثة كونية غريبة لانعرفها، لماذا لم يدفنوا هذه النفايات عندهم في صحراء نيفادا؟ أو لماذا لم يلقوا بها في البحار؟

انما جـاءوا بـهـا الى بـلادنـا لأنـهم لايمانعون في ابادتنا واذا بقينا متخلفين فانهم سيـسمحون لأنفسهم بأن يتعاملوا معنا كما يتعاملون مع الفئران!! وهناك اذا كان في بـلادهـم جمعيات للرفق بالحيوان فانه لاتوجد جمعية للرفق بالانسان! فليس امامنا الا أن نـنـطـلـق انطلاقة واحدة وسريعة جداً لنتجاوز عقبة التخلف.. والاسلام هو الذي يـضـمـن لـنا التقدم ان اخذناه بكل ابعاده من دون اجتهاد واختيار حيث لايمكن ان نـخـتـار نـصـاً ونـعـمـل بـه ونترك آخر، انما الاسلام كل لا يتجزأ، والاسلام هو الذي يـسـتـطيع أن يقفز ببلادنا الاسلامية بالذات وبصفة عامة ببلاد المستضعفين في العالم الثالث فوق حواجز الاستعمار في طريق التقدم وذلك عبر خمس مراحل:

● الاولى: الاستقلال ضمان التقدم

الاسلام يضمن لنا الاستقلال ويقول:

■(من مات دون دينه فهو شهيد، ومن مات دون ماله فهو شهيد، ومن مات دون عرضه فهو

شهيد)■

فالاسلام يزودّنا بسلاح الشهادة، وسلاح الشهادة هو سور الاستقلال ولن يمكن لبلد ان يتحدى القوى الكبرى، الا اذا تسلح بسلاح الشهادة في سبيل الله، والاسلام يقول لنا أيضاً:

[وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم]
—٦٠/الانفال—

كما يقول أيضاً:

■(الجنة تحت ظلال السيوف)■

و يقول:

■(تابوت أمة محمد(ص) السيف)■

والنبي(ص) يقول:

■(الخير كله معقود بنواصي الخيل)■

أجل ان الخيل والخيالة يشكلون حصنا لنا ولبلادنا ضد اعتداءات الآخرين عبر فلسفة الجهاد في سبيل الله، وهو ركن أساسي من اركان الدين.

● الثانية: الاكتفاء الذاتي بداية الاستقلال

بعد أن ضمنا استقلالنا من الغرب والشرق تبدأ عملية التنمية الحقيقية. وفي هذا الشأن يجعل الاسلام كل فرد من افراد الأمة الاسلامية عاملا مجداً في سبيل التنمية الاقتصادية، وهناك نظرية خاطئة وفاشلة في التنمية الاقتصادية احذر منها الشعوب الاسلامية والعارفون بعلم الاقتصاد الحديث يدركون ماذا أقول.

تقوم هذه النظرية على أساس الجزر الصناعية التي تنبت في بحر التخلف، وهذه

الجزر سوف لا تستطيع ان تتصل ببعضها الى الأ بد لان هناك من لا يريد لها ذلك.. فهم يبنون المدن الكبرى، كطهران مثلا، و بغداد، والقاهرة، والعواصم الاخرى في العالم المتخلف (النامي) كأفضل ما يكون البناء، شوارعها و بناياتها ووسائل تكييفها، ووسائل المواصلات فيها، تماماً كالعواصم الأ وروبية بحيث لا تجد فرق بين باريس وكراكاس، ولا تجد فرقاً بين لندن و بغداد مثلا، ولكن الفرق ان تلك المدن في فرنسا أو بريطانيا او غيرها، انما هي مدن في ارض معمورة القرى والشوارع، الصناعات موجودة والرفاه منتشرة في البلاد كلها، ولكن في العالم الثالث لا تجد سوى العواصم معمورة.

ذات مرة كنا في سفر داخل ايران فمررنا ببعض القرى، والقرية الواحدة يكفي ان يُصرف عليها من المال مقدار ما يصرف في طهران على بناية واحدة لكي تعمّر، ولكن أهل تلك القرية يعيشون أسوأ ما تكون المعيشة اذ يحتاجون الى الماء، والى الوسائل الأ ولية للحياة، كما يحتاجون الى فرص العمل، فهذا هو فعل الشاه.. وهكذا تفعل كل الانظمة الذيلية، يبنون صناعة متقدمة جداً، بينما البلاد تحتاج الى ابسط الصناعات!! وماذا تنفع الصناعة المتقدمة المرتبطة بالشرق أو بالغرب..؟ ماذا تنفع الصناعة المنتاج (التجميعية) التي لو لم يمن عليها الغربيون بالمواد الخام أو بالآليات والمستشارين، فان هذه الصناعة تموت..؟

كثير من بلداننا في العالم الثالث، و بالذات في المنطقة العربية حاولت ان تقفز الى الصناعات الثقيلة، مثل مصر والجزائر، ولكنها جميعاً فشلت. لانها كانت تتبع نظرية «الجزر الصناعية» يعني ان هذه الارض كلها بحر من التخلف.. الا ان الحكومات تقوم ببناء مدن صناعية متناثرة لا تستطيع ان تقوم باي انجاز حقيقي ومفيد. اننا اذا أردنا التقدم الحقيقي لابد أن نبدأ بالزراعة، أي من اشباع بطوننا.. ان لا نحتاج الى الآخرين في غذائنا ثم نبدأ ببناء القرى ثم تستمر عملية التوجية الى التقدم عبر كل ارجاء البلد وكل القنوات وعلى كافة الأصعدة..! وليس عبر مجموعة بشرية بسيطة. اننا فيما لو خيّرنا بين ان نبني جامعة لنسبة واحد بالألف من شبابنا

أو نبني مدرسة ابتدائية لكل ابناء الشعب، فاننا يجب ان نختار بناء المدرسة الابتدائية، لأننا نريد أن نرفع مستوى الشعب كله، وهذه النظرية هي التي طبقها الاتحاد السوفيتي في العشرينات وفي الخمسينات تقريباً، طبّقتها كوريا الشمالية، وطبّقتها بعض البلاد الاخرى فانتصرت ونجحت.. اذن ينبغي ان يتحرك الشعب كله نحو التصنيع والتقدم فلا يكفي ان تكون لدينا نخبة من الصناعيين أو مناطق صناعية، بل ينبغي انْ نسد الابواب كلها في وجه الصناعة الاجنبية، كما فعل اليابانيون قديماً، حينما قالوا: «لا نشتري من الخارج شيئاً» حتى أنه انعدم في ظرف من الظروف الحذاء في اليابان. فاخذ الامبراطور الياباني في ذلك العهد قطعة من الجلد ووضع بين جانبيها خيطـاً، ثم جعله في قدميه، وقال هذه حذائي الى ان نصنع الأحذية في بلادنا، نحن لا نشتري من الخارج!!

• لنبدأ من جديد

اننا حتى ولو عدنا الى عصر الحمير والمصابيح النفطية والمشي على الاقدام، والى عصر الزراعة التقليدية القديمة بسبب مقاطعة الصناعة الاجنبية، فلابّد أن نفعل ذلك، اذا كان يؤدي بنا الى التطور الذاتي!!

ففي ايران و بعد انتصار الثورة الاسلامية، أمر الامام الخميني بأن يزرع الايرانيون الأراضي التي تسقى بالامطار، فزرعوا وحينها تورطوا في عملية الحصاد، حيث لم يكونوا يملكون حاصدات آلية بالقدر الكافي، لان الزراعة الايرانية خصوصاً في مجال القمح ارتفعت من مليونين طن الى حوالي ستة ملايين طن سنو ياً!! فقال الامام «احصدوا عن طريق (جهاد البناء)».

فانتشرت الجماهير في الصحاري، وأخذوا يحصدون المحاصيل واستمروا على هذا المنوال الى أن استطاعوا الحصول على الحاصدات الآلية بالمقدار الكافي، وهذه هي الطريقة الصحيحة اذا لم نجد الحاصدات بالمقدار الكافي، فلنزرع ولنحصد بأيدينا

حتى وان كانت طريقة بدائية، لان الحاجة هي أم الاختراع.

كان الصينيون يشكون من كثرة الطيور التي تأكل حبوبهم فقرروا ان ينهوا هذه الطيور فتواردت الاقتراحات من ابناء الشعب وقدمت للقيادة، كان أحد الاقتراحات يقول: «نقتلها بالرصاص»! لكن القيادة قالت ان هذه الطريقة تحتاج الى ميزانية ضخمة، وجاء اقتراح آخر يقول: «نقنصها» قالوا: هذا صعب، قُدم اقتراح آخر يناسب وضعهم وكثرتهم السكانية حيث يقضي بان يجلس الصينيون في الصحاري متباعدين، كل واحد يبعد عن الآخر بفاصلة عشرة امتار و بيد كل واحد طبل أو شيء كالطبل، فيقرعون الطبول في يوم واحد فتفزع الطيور وتطير منزعجة من مكان الى آخر الى ان يتعب الطير فينهار، و بالفعل نجحوا في ذلك، وأراد الصينيون أيضاً ذات مرة أن يبنوا سدوداً فلم يجدوا مواد البناء بالمقدار الكافي فرجعوا الى الوراء فبنوا السدود الخشبية و بأيديهم، وهذه هي الطريقة الصحيحة.

اننا كنا نعيش في هذه البلاد قروناً عديدة لم نكن نحتاج فيها الى وسائل المستعمرين في الريّ، ولا الى وسائل ترفيههم، فقد كنا نعيش عيشة منتظمة جيدة.. انهم غزوا بلادنا وعملوا على هدم اقتصادنا، ولابدّ أن نبدأ ببناء هذا الاقتصاد من جديد و بوسائلنا الذاتية. ففي ايران، و بعد انتصار الثورة الاسلامية عملت منظمة «جهاد البناء» باعادة قنوات الريّ القديمة لأنه ثبت علمياً بأن الآبار الارتوازية التي حفرها النظام البائد كانت مضرة للزراعة الايرانية فعاد الشعب خطوة الى الوراء واصلح القنوات القديمة فتقدمت الزراعة، ولاشك ان في كل البلاد هناك وسائل ذاتية فعلينا أن نعود اليها، واذا تحركت الجماهير فانها تحبو في البدء، ولكنها شيئاً فشيئاً تسير وتركض، اما اذا فصلنا الجماهير عن مشاريع البناء والتنمية وأخذنا نستورد الحضارة من الخارج سنبقى أذلة خاسئين دائماً.

• الثالثة: بناء التنظيم الاجتماعي

علينا ان نعيد بناء البنى الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية السابقة، فلابدّ أن

نعود الى عشائرنا وتجمعاتنا الاجتماعية.

ففي مقابل التنظيم الاسلامي قد تكون العشائرية تنظيماً متخلفاً، ولكن في مقابل الغزو الأجنبي، فان العشائر تشكل تنظيماً جيداً لابد أن ننتمي اليها، ولابد من جهة اخرى أن نعود الى مساجدنا، لان تنظيم المسجد ثبت أنه الأقوى بين التنظيمات الاجتماعية التي حاول الاستعمار ان يهدمها في مقابل تنظيماته التي أتى بها الينا فلم ينجح، ولابد أن نعود الى العلاقات الأسرية القوية، لأنها تمنح القوة والمتانة لبلادنا، هذا في المجال الاجتماعي.

اما في المجال الاقتصادي فلابد ان نعود الى المؤسسات الخيرية، بالرغم من انها تبدو وكأنها لا تنفع الا أنها تنفع كثيراً، اذ ان تأسيس صندوق لتقديم (قرض الحسنة) يعود بالنفع اكثر من البنوك التي هي وسائل لامتصاص دماء شعوبنا.

ولنعد الى قانون المضاربة والسماقاة.. قانون من (احيا ارضاً ميتة فهي له) فهذه القوانين الاسلامية هي القوانين الاقتصادية الصحيحة التي عمل الاستعمار على القضاء عليها.

و يأتي في رأس هذه البنى، البنى السياسية الاسلامية التي لابد ان نعود اليها وبكل عنف، ومهما كلفنا من جهود وتضحيات.. اذ لابد ان ننظم انفسنا عبر تنظيمات رسالية لمختلف فئات الشعب وقطاعاته، للاطفال، والشباب، والكهول، للرجال، والنساء، لان هذه التنظيمات الرسالية تعتبر حصوناً لاستقلال بلادنا وتمنع تسرب الافكار الخاطئة وتسلل العناصر العميلة الى داخل المجتمع الاسلامي، فبهذه الوسيلة سوف نبدأ الخطوة الاولى في طريق الألف ميل، ولكن هذه الخطوة هي الخطوة السليمة على هذا الطريق.

الحضارة الاسلامية
من أجل الانسان(١)

● حينما نحصن مجتمعنا الاسلامي بأسوارٍ عالية من الاستقلال الاقتصادي، والسياسي، والاجتماعي، وعلى أساس جماهيري دون التفكير في النخبة، فآنئذ تبدأ المرحلة الاولى في بناء أسس الحضارة الاسلامية.

وقبل توضيح هذه المرحلة وتسجيل بعض الملاحظات حولها، لابد من القول ان الحضارات البشرية قد اختلفت من البدء في اهدافها، فبينما كان أساس التقدم الاقتصادي في اغلب الحضارات المادية هو الحصول على المال والثروة وسيطرة جماعة ضد أخرى، نجد أن الهدف في الحضارة الاسلامية هو اسعاد الانسان نفسه، لا لأن الانسان وسيلة مناسبة لتقدم المجتمع، ولا لأن الحضارة لا تتم الا ببناء الانسان ــ كما تقوله العقلية المادية الجاهلية ــ وانما لأن الانسان هو هدف الحضارة.

● الانسان الضائع في الغرب

ان الانسان هو الغائب الاكبر في جاهلية القرن العشرين، فكل شيء يُحسب له حساب الا الانسان!! ونظرةٌ بسيطة الى واقع المعسكرين الغربي والشرقي تكشف لنا

هذه الحقيقة المرة، فاذا قرأت كتاب «الانسان ذلك المجهول» أو كتاب «صدمة المستقبل» أو كتاب «سقوط التكنولوجيا» الصادرة عن العالم الغربي والكتّاب كلهم غربيون ومتوغلون في الغربية ولا يؤمنون بالقيم التي نؤمن بها نحن، مع ذلك عندما تقرأ كتبهم تكتشف مدى المأساة التي يعيشها الانسان الغربي بسبب المكننة التي حوّلته الى مجرد «برغي» في آلة الحضارة التي سحقت الانسان، وقد عبر أحد المؤلفين عن واقع الحضارة الجاهلية بقوله: حينما تنظر من فوق بناية شاهقة نظرة عابرة الى الشارع القريب منك، تجد الناس يتحركون بسرعة والى اهداف معينة ومحددة سلفاً واكثرها اهداف مخططة تخطيطاً كاملاً، ولا يعرف أحد من الذي خطط له هدفه. و يشبّه هذا الكاتب الناس في العالم الغربي وهم يتحركون الى أعمالهم، يشبّههم بالأدوات التي توضع على الحزام المتحرك في المصنع، ثم تتحرك هي بدورها، ولكن دون ان تعي لماذا تتحرك؟ وكيف؟! انها تتحرك وتتوقف قليلا عند كل عامل ليضع فيها شيئاً جديداً أو يتأكد من ضبط برغي في مكانه.. حتى تنتقل من لدنه الى الشخص الثالث فالرابع الى أن تخرج على شكل سيارة، والسيارة بدورها لا تستقل في أمرها، انما تُباع الى حيث تشاء الشركة المنتجة لها، أليس كذلك..؟

لقد تحول الانسان في الغرب هكذا الى آلة في الجهاز العام، والجهاز بكامله اصبح غير عقلاني ولمعرفة ذلك علينا ان نتدرج ولنتدرج نزولا من القمة الى القاعدة.

فرئيس الجمهورية يختاره كبار الرأسماليين الذين يدعمون ترشيحه لهذا المنصب، و يصرفون على دعاياته وأحزابه، والرأسماليون الكبار يتبعون بدورهم نظاماً اقتصادياً معقداً لا ارادة لهم في اختيار غيره، لأنهم مرتبطون بالنبوك والعمال والشركات والمصانع، ومرتبطون بديناميكيات المجتمع، وقوانين السوق القائمة بدورها على قانون العرض والطلب، و بالتالي مرتبطون بمجموعة متكاملة من القوانين التي لا تدعهم يملكون من أمرهم شيئاً.

اذا نزلت قليلا الى المدراء واصحاب المكاتب أو من يسموهم «بأصحاب القمصان البيض» هؤلاء بدورهم لا يملكون لأنفسهم شيئاً، لأنهم موظفون أدوات

وكل واحد منهم يدير شيئاً بسيطاً، ولا علم له بما يجري في الغرفة المجاورة له ثم هكذا هبوطاً الى العمال، فهم حسب تعبير بعضهم (السائمة البشرية) حيث تتم ادارتهم ادارة ذاتية أو شبه ذاتية فهم لا يستطيعون أن يختاروا نوع ملابسهم بحرية الا بالكاد، لأن اختيار الملابس يخضع للاعلانات، وحسب ما يقول مؤلف كتاب «صدمة المستقبل» أصبح الناس ـ اليوم ـ يختارون شعر زوجاتهم حسب الاعلانات التي يجدونها في الجرائد والمجلات أو حسب الأزياء والالوان التي يرونها في التلفزيون!

• كالأنعام بل هم اضل سبيلاً

من خلال أسفاري الى القارتين، الأوروبية، والامريكية. وجدت ان الانسان الأوروبي اليوم يهبط فكره، لأنه صار تدريجياً يتحول الى جزء من جهاز كبير، لا يعرف دوره فيه، فهو لابد أن يذهب الى روضة الأطفال ولا خيار له في ذلك وبعد الروضة تأتي المدرسة الابتدائية، ومن ثمَّ المرحلة المتوسطة فالثانوية.

وما يدرس في الابتدائية خاضع لما تقرره مناهج التربية، وهكذا في الثانوية والجامعة ثم يتخرج ليبحث عن مكان يأوي اليه ويملأ فيه بطن!! فيذهب الى وكالات مختصة للتوظيف وحسبما يقيموه يتعاملون معه، تماماً كما يتعاملون مع بضاعة تُباع وتُشترى! لا كانسان، هكذا يتعاملون معه كالآلة، لا يحس بانسانيته ويعيش غريباً طول عمره والى أن يحال الى التقاعد، لا يعرف ماذا عمل؟ ولو طلبت من أحدهم أن يكتب مذكراته فليس لديه في حياته شيئاً مثيراً يكتب عنه، انه لا يملك شيئاً غير ما تمليه عليه وسائل الاعلام، انه يكوّن معلوماته وافكاره واراءه حسب التلفاز والراديو والصحافة، فهو يتحرك على اساس ما يقول له جهاز التلفزيون، يتصرف ويعمل حسب ما توحي له الشبكات الاعلامية الكبرى، ولو سألت الشبكات الكبرى نفسها لرأيت انها هي الآخرى جزءاً من ماكنة كبرى اسمها «المجتمع الغربي»!!

● التكنولوجيا تلتهم الانسان

وحسب تعبير «سقوط التكنولوجيا» يقول الكاتب: ان الانسان في اوروبا اصبح لا يستطيع مقاومة غول التكنولوجيا، فالتكنولوجيا الآن اصبحت اكبر من الانسان.

إن الانسان صنع التكنولوجيا ليستفيد منها فاذا بها هي التي تستفيد منه وتسخّره، فكل شيء لمصلحة الربح، وكل شيء لمصلحة النمو الاقتصادي، ولكن النموالاقتصادي لمن؟

فالسيد هو المصلحة، والمصلحة هي الدنيا، والدنيا هي اللاعقلانية، والبشرية تتجه بسرعة الى الجاهلية واللاعقلانية، وهذا أحد معاني قول الله سبحانه وتعالى:

[ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم]
ـ١٩/الحشرـ

لقد تحوّل الانسان الى اداة صغيرة في جهاز كبير، لايملك فيه اي خيار، الامام الحسين(ع) يعبر عن ذلك بقوله:

□(الناس عبيد الدنيا)□

انهم عبيد لا يملكون لأنفسهم خياراً، هذا بالنسبة الى العالم الغربي الذي يدعي الحرية الذاتية وما أشبه.

أما العالم الشرقي فانه يقول بصراحة: ان الانسان يجب أن يذوب في بوتقة المجتمع ولا شيء آخر..

● الثورة ضد الاقطاع

الـغـرب. ولـكـن سـواء كـانـت واضحة كما لدى الشرق او مغلقة كما في الغرب فان الانـسـان بـالـتـالي قـد احترق بنار التكنولوجيا و بنار المكننة، واللاعقلانية في الحياة، وقامت مظاهرات كبيرة وكثيرة من قبل الشباب في أوروبا وفي امريكا باسم ثورات الشباب ضد «البزنس»(١) وهي كلمة لانعرفها ــنحن الشرقيين ــ ولكن يفهمها الـشـبـاب الـغـربـي أكـثـر مـنا لأن الشاب هناك لايفتح عينيه الا على كلمة بزنس، ولايـفـتح أذنه الا على البزنس ولايرفع رجلا و يضع اخرى الا من أجل البزنس، وعند النوم يحلم بالبزنس.

وهـكذا الى ان تنتهي حياته وهو مع البزنس، لذلك تجد في سنة ٦٨م كيف انفجر الـشـبـاب كـبـركان ثائر في انحاء فرنسا يطالبون بنوع من الحرية، وكان فيلسوف تلك الـثـورة الـتـي سـميت بثورة الشباب «أربيرت ماركيوز» الذي كتب كتباً كثيرة من أبـرزهـا كـتـابه «الانسان ذو البعد الواحد» والذي قال فيه: «ان هذاالانسان قد ولد انـسـانـاً فـحولناه نحن الى آلة ففقد انسانيته».. والغريب في الامر ان بعض الفلاسفة الـغـربـيين قـد اكـتشفوا ظاهرة غريبة هي ان التكنولوجيا لم تكتفي بابتلاع الانسان الـذكـر، وانما هي الآن تتجه الى ابتلاع الانسان الأنثى، ورغم ذلك فان الغرب مازال مـصـراً على الـتـحـرك ــتحت شعار تحرير المرأة ــ في هذا الاتجاه تصبح المرأة عاملة في مـصـنـع، او بـائـعـة بنزين في محطات الوقود. أو شرطية مرور في الطرق، وسوف تواجه المرأة نفس المشكلة التي حوّلت الرجل الى آلة.

ماذا يريدون من المرأة..؟ اذا كانوا يريدون لها الحرية، فممن تتحرر؟ هل تتحرر من انسانيتها لتستعبد للمادة كما استبعد الرجل لها..؟!

يـقـول أحـد الـفـلاسـفـة الغربيين: «بالله عليكم دعوها في بيتها ومخدعها! دعوها تـكـون انـسـانـة مربية للبشر القادمين لا تأخذوا الاجيال القادمة من حضن الانسانية

(١) «البزنس» كلمة انجليزية تعني الانهماك في الاعمال المادية تجارياً.

بأخذكم للمرأة، حينما تأخذون المرأة من بيتها ومن أنوثتها ومن حكمة خلقها ــ لان الله قد خلقها لتربي الاولاد وتربي الجيل القادم، فانكم سوف تظلمون الاجيال القادمة ــ أنكم ظلمتم هذا الجيل فكفى! لا تظلموا الاجيال القادمة»، ونعم مايقول هذا الانسان..

وللامام الخميني حفظه الله تعالى كلمة قالها في باريس عن المرأة وأهدافها حيث قال: (أننا لانريد ان تتحول المرأة الى شيء، نريدها ان تبقى انسانة) وهذه الكلمة لايفهمها الانسان الا اذا نظر الى مئات الألوف من النساء في اوروبا وامريكا كل صباح كيف، يخرجن، من بيوتهن و يغبن في أسفل الأرض او في الانفاق او في القطارات السريعة ليتحولن الى جزء من تلك الماكنة الكبيرة ماكنة الحضارة اللاعقلانية، ولا يعرفن لذة تربية الاولاد، ولا يعطين الحب للجيل القادم ولايشعرن بانسانيتهن وهكذا تصبح المرأة مجرد «شيء».

● الاسلام والمادة

وعلى العكس من ذلك تماماً نجد كيف يؤكد الاسلام على انسانية الانسان وعلى حريته، بل وعلى فردية وذاتية الانسان كانسان، اذ يقول للانسان: حذار ان تستعبدك المادة فانها تخدعك وتغرك، انها في البدء تقول انت الذي تسود ولكنها في النهاية هي التي تسود عليك!! فأنت من الوهلة الاولى قد تعتقد انك تركب السيارة ولكن حينما تلاحقك اقساطها الشهرية، يتضح لك ان السيارة هي التي ركبتك، انك أنت الذي تسكن البيت، ولكن البيت الذي تشتريه بثمنٍ غالٍ فتبيع نفسك وشرفك وقيمك من أجل الحصول عليه هو الذي يسكنك، وهو الذي يستعمرك لا أنت الذي تستعمره ومنذ البدء قال لنا الأنبياء(ع) ان الدنيا خدّاعة:

﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾

ــ ٣٣/لقمان ــ

فالانسان المسلم لايتحرر من سيطرة التكنولوجيا والمادة فحسب، وانما يسخرها لخدمته، فاذا سخرها استطاع ان يفك رمزاً من أعقد رموز حضارتنا الحديثة!، وهذا هو الفرق بين الحضارة الاسلامية والجاهلية الغربية.

من هنا فان الاسلام لايرضى بأن تكون في بلادنا جزر صناعية متقدمة تعيش في محيط من الفقر والتخلف، ولا يرى ان هذا الاسلوب هو اسلوب مجدٍ ونافعٍ لتقدم بلادنا، لان بلادنا لا تستطيع ان تتقدم بهذه الوسيلة، وليس الهدف من المال والثروة ان نمتلك الصناعة. فالصناعة وسيلة وليست هدفاً كي تصبح الآلة هي السيد الذي يستعبدنا! ان فلسفة الاسلام تؤكد على ان الانسان هو الذي يجب ان يسود الصناعة وانـنا يجب ان لانعظم هذه الصناعة الا في حدود سيطرتنا عليها فلا نجعلها إلهاً تسيطر علينا.

• الرابعة: بعث الهمة وحب العمل في المجتمع

ضرورة بعث روح العمل والسعي في الامة وقطع الأ يادي المستغلة والخائنة من المجتمع فهذه الأ يادي هي التي تسبب تخلف المجتمع.

وهنا لي كلمة وهي: أننا نعتقد ان العالم الغربي اليوم يتقدم بقوة، ولكنه في نفس الوقت يحمل في داخله بذور التخلف، لأن الانسان الغربي سيصل بالتالي الى قناعة واضحة، ان ما يفعله لا ينتهي الى جيبه، ولا يؤدي الى رفاهيته، وانما يتجه الى آخرين، فهذا الشعور لن يغيب، ومهما حاولت اجهزة الصحافة والاعلام ان تخفي الحقيقة فان الانسان الغربي سوف يتوصل الى هذه القناعة يوماً ما.

• الانسان الغربي واحتمالات المستقبل

كتب أحد الكتّاب مؤلفاً باسم (الثورة في الولايات المتحدة الامريكية) مشيراً

فيه الى أن الولايات المتحدة الأمريكية هي الدولة الأقرب احتمالاً الى ان تتفجر فيها أكبر ثورة في عصرنا الحاضر ضد النظام القائم، وان هذه الثورة ليست ثورة شيوعية ولا ليبرالية ولا برجوازية! وانما هي ثورة من نوع آخر، والملفت للنظر ان الكاتب لايعرف ماهية النوع الجديد من الثورات، ولكنه يتنبأ به، وهناك الكثير ممن يتنبأون بهذه الفكرة، فقد ظهر الى الآن العديد من الكتب حول هذه القضية وكلها مهتمة ببيان ان الولايات المتحدة الامريكية تحمل في أحشائها بذور الثورة لأسباب لامجال لذكرها هنا، انما نستطيع ان نقول انه مهما حاولت الاجهزة المختلفة ان تخفي الحقائق عن الانسان الغربي فانها ستظهر يوماً ما، فالى متى لايتساءل الامريكي لمن أعمل؟ ومن المستفيد؟ ولماذا هذا المخزون النووي؟ ولماذا هذا الظلم؟ وهل صحيح أني أسعد لكي يشقى الآخرون؟ وهل أنا بشر؟ لقد جرت في سنة ٧٩م عملية انتحارية جماعية غامضة انتحر فيها حوالي ٩٠٠ انساناً في احدى المدن الامريكية، لأنهم اكتشفوا ان حياتهم شقاء، وانهم يعيشون في جحيم!!

اذن لابد ان يصل الغربي يوماً الى هذه النتيجة.. وهي ان جهوده ضائعة!! ومن هنا فان عجلة التقدم ستتوقف، هذا بالاضافة الى ان التقدم الامريكي والأوروبي والروسي ماهو الا تقدم كاذب وليس سوى سرقة وغشاً! واذا ماتقدم العالم الثالث واستقل عن الغرب، فان الغربيين لن يتوقفوا عن التقدم فحسب، وانما ينهارون! والدليل على ذلك مايجري في بريطانيا وفرنسا اليوم وأيضاً ماجرى قبيل الحرب العالمية الثانية! وأنني أعتقد بأن مايجري في امريكا وأوروبا من تململ انما يعود الى سبب هام، هو ان الانسان الفرد في امريكا وأوروبا بدأ يشعر بأن ما يعطيه أكثر مما يأخذه بكثير..

ومما يجدر الاشارة اليه أن هذه المشكلة نفسها باتت تخيّم على شعوب العالم الثالث بالنسبة للفرد، والا فلماذا الركود؟ ولماذا النوم والكسل في بلادنا؟ ان أحد الاسباب الرئيسية هو ان الانسان يشعر .. و يعمل ليل نهار، ثم يرى ان مكاسبه تذهب الى الدول الاشتراكية او تذهب الى المصارف الغربية والى كل حاكم سارق، ولكن

لا تعود اليه بنفع، فيصل الى نتيجة هي ان سعيه «هواء في شبك» فلماذا يسعى؟ فالانسان يسعى لكي يأخذ نتيجة! لذلك حينما يأتي الاسلام، بقطع كل الأ يادي السارقة.. وعندها تنطلق طاقة الجماهير التي اذا شعرت بان مكاسبها ترجع اليها فستتحرك وتنتج!! لأن الانسان خلق بطبعه متحركاً نشطاً، فاذا ما شاهد جهوده تسرق، فان حماسه سرعان ما ينطفيء فيخلد للجمود والكسل.

الحضارة الاسلامية
من أجل الانسان(٢)

● لتجاوز مرحلة التخلف التي يعيشها العالم الثالث، ولما لهذه المرحلة من مآس وكوارث، ولكي يخرج العالم من قبضة السيطرة الاستكبارية الاحتكارية للدول الاستكبارية الشرقية والغربية المتحكمة في مصير العالم، ولكي لا يكون مصير حوالي أربعمائة مليون من البشر في كف عفريتين أحدهما أقذر من الثاني، وأبعد عن الانسانية والعقل، ولكي لا يكون مصير كوكبنا هذا بيد مجموعة قفزوا في ظلام الليل الى مركز الصدارة في الاتحاد السوفيتي وشكلوا المكتب السياسي هناك وراحوا يخططون لأتخاذ قرار البدء بحرب نووية لا تُبقي ولا تذر، ومجموعة أخرى سمّوا أنفسهم بمجلس الأمن القومي في أمريكا وهم بدورهم أيضاً يخططون لمثل هذا القرار فيضعون العالم بأسره على حافة الهاوية التي تبتلع الارض بمن فيها، ولكي لا يأتي من هو مثل نيكسون الرئيس الامريكي الأرعن الذي قرر أن يضع جزءاً كبيراً من الصواريخ الذرية في حالة انذار قصوى من أجل الدفاع عن اسرائيل، ومن أجل ان لا يزاح عن السلطة بسبب فضيحة (ووترغيت)، من أجل ذلك كله لابد وان يقفز العالم الثالث الى مرحلة التصنيع والتقدم، ولو استطاع ان يتجاوز هذه الهوّة المصطنعة بينه وبين العالم المتقدم، وأن يصنع نفسه و يكتشف سرّ اللعبة الدولية و يفك لغز الذرّة و يغزو الفضاء و ينفذ الى عمق المحيطات والى آخر ما هناك من حقول التقدم، فمما لاشك

فيه أن هذين القطبين لا يستطيعان أن يلعبا بمصير العالم، اذ سيكون هنالك أقطاب أخرى قادرة على فرض رأيها في هذا العالم، وستكون للقارة الافريقية شخصيتها وثقلها و وزنها وقرارها السياسي، والعسكري، وسيكون للدول العربية وزنها وقرارها السياسي والعسكري، وسيكون أيضاً لدول جنوب آسيا وزنها وثقلها وقرارها، وكلما استطاع العالم ان يتقدم باتجاه تنويع وتكثير الأقطاب، فان سفينة الارض سوف تكون اكثر استقراراً، أما اذا كانت أمور الارض بيد قطب أو قطبين فان هذه السفينة ستتعرض للاخطار، يقول الرئيس اليوغسلافي السابق (جوزيف بروستيتو) في كتاب له: «ان من جنون هذه الحضارة ان يكون مصير العالم بيد ستة عشر فرداً فقط في هذا العالم، هم الذين يقررون لحظة سوداء من لحظات العالم الكونية التي تبيد كل شيء، ولا تذر أحداً على وجه الارض، ربما لا انساناً ولا حيّاً غيره».

اما اذا تعددت مصادر القرار في العالم فان هذه المأساة سوف لا تقع. ان هوّة التخلف، هوّة سحيقة لابد أن نجتازها بالقفز عليها، وقد ذكرنا لذلك فيما سبق اربع مراحل، بقي ان نشير هنا الى المرحلة الاخيرة والخامسة وهي: ايجاد روح التقدم في الامة.

• الخامسة: ايجاد روح التقدم في الامة

ولكي نوضح هذه المرحلة لابد ان نشير الى نقطتين تمهيديتين:

• النقطة الاولى:

(روح الامة) تعني مجمل الحالة النفسية التي يعيشها الشعب، والتي تملي ردود فعله تجاه الأحداث، وهي ايضاً مجمل القواعد الفكرية والثقافية والسلوكية والأخلاقية عند الشعب، والتي تشكل مجموعها ما يسمّى بـ«روح الأمة» ، فاذا أردنا أن نلقي نظرة على هذه الامة فيلزمنا ان نقول ما هي روح هذه الامة؟ أي ما مجمل أوضاع هذه الامة؟ وما هو مجمل الانعكاسات الشرطية التي تقع لهذه الامة امام الحوادث..؟

والاجـابة عل هذه التساؤلات هي في الواقع مجمل ردود الفعل لدى الامة، والذي نـسميه «روح الامة» وقد تتجه روح الامة ناحية التقدم، أو قد تتجه ناحية التخلف، وهذه هي الملاحظة الاولى..

● النقطة الثانية:

حـيـنـما نقول ان الأمة ينبغي أن تتحرك روحها باتجاه الصناعة والتقدم فلأنه من دون تحرك تـلـك الـروح، فـان تـقـدم الامـة حـتى لو تقدمت لن يكون لحسابها، وانما لحساب قوم آخرين، وهذا الموضوع قد سبق وان طرقناه، ولكن نريد ان نستشهد حوله هـنـا بمـقـتـطـفـات مـن اقوال كاتبين كلاهما يعتبر قوله حجة ومرجعاً علمياً في مجاله، الكاتب الاول:

يقول «ايسبينوت» الذي مرّ علينا ذكره في مجال آخر عن التقدم الذي يحدث عبر الـتـمـو يـل الخـارجـي، وهو ما اسميه «الطيران بأجنحة الآخرين» ومن طار بجناح غـيـره كـان على جـنـاح الـسـقـوط.. يـقـول الكاتب في كتابه: «أصبحت القوة التي اكـتـسـبـهـا الـتـمـو يل الاجنبي الخاص من الخطورة بحيث صارت قادرة على مواجهة مجـهـودات الـتـصـنـيـع المـسـتـقـلـة وان تحطمها عبر انقلابات».. كما جرى في كل مـن:(الـبـرازيـل ــوالارجـنـتـين ــ والمـكـسيك ــ و بلد آخر افريقي، هو غانا) حيث اسـتـطـاعـت الرساميل الاجنبية في هذه البلاد أن تبدل النظام اساساً عندما رأت أنها لاتستطيع أن تواجه المجهود الوطني في الصناعة فقامت بتبديل النظام وتغيير الوضع.

● المواد الخام مصدر الانقلابات

لـقد شهدت امريكا اللا تينية الكثيرمن الانقلابات، التي تسمى بــ«انقلابات المـوز» لان الـشـر كات الاحتكارية القائمة على زراعة الموز هي المسبب الرئيسي لتلك الانـقـلابـات، تمـامـاً كـما في بلادنا حيث تقوم الشركات النفطية الاحتكارية بصنع انقلابات النفط، وكالانقلابات النحاسية في زائير، وانقلابات الكوكا كولا في كثير من

البلدان النافذة فيها، فمعظم هذه الشركات تقوم باعداد الانقلابات في مطابخها لتغيير السلطة القائمة فتأتي بسلطة أخرى ترغم الشعب على تغيير عاداته وترتب الوضع بما يتلاءم مع المصالح العليا لتلك الشركات.

وما هذه الانقلابات الا وسيلة ضمن الوسائل العديدة التي يصطنعها أصحاب الرساميل الخاصة ضد الاقتصاد الوطني، وضد النمو الصناعي الوطني، وهناك طرق أخرى، لاخضاع الدول اقتصادياً وصناعياً، ولتدمير الاقتصاد الوطني والقضاء على محاولات الاستقلال الصناعي حيث تقوم الرساميل الاجنبية بشراء المنشآت الصناعية الهامة ــ الخاصة منها والعامة ــ بثمن بخس، ثم تقوم بتدميرها اذا كانت تزاحمها في التصنيع والانتاج وأيضاً تقوم بالتسلل الى داخلها وأخضاعها لمصالحها الخاصة، وهذا يبدو كثير الحدوث في امريكا اللاتينية، وفي الهند..

• التطور بين التدريج وتعقيدات التكنولوجيا

اما الحديث الأكثر تفصيلاً وأهمية، والذي يستدعي الانتباه الى تفاصيله فهو الحديث الذي يقوله «هاري ماجدوف» وهو استاذ في جامعة هارفارد، وقد القاه ضمن محاضرة في احدى الجامعات، يقول هذا الرجل (وما هو بمسلم ولا عربي ولا حتى ينتمي الى العالم الثالث، وانما هو امريكي قلباً وقالباً، ولكن قد يعترف أحدهم بالحقيقة) يقول:

«صحيح ان هنالك هالة سحرية تحيط بالماكنات الأوتوماتيكية السريعة وعمليات الانتاج المتطورة (الالكترونية) والتي تعد معجزات في ميدان الانتاج الضخم لكنه ليس بوسع هذه المعجزات ان تفعل سوى القليل في ميدان رفع الانتاج الزراعي الى المستويات اللازمة ولتهزم المجاعة والتغلب على سوء التغذية، ــ في القسم الثاني من الموضوع، سأقف عند هذه النقطة بعض الوقت لأشرح ماذا يريد أن يقول هذا المؤلف ــ لهذا السبب فان المطلوب أولا بصورة عامة هو مشاريع حفظ المياه

وانظمة الري والتجفيف، بالانابيب والمضخات ومعدات النقل البسيطة في الغالب كعربات اليد والدراجات وتشكيلة من الأدوات الزراعية المتطورة والآلات البسيطة، وقد تساعد المصانع الكبرى الحديثة ذات الانتاج الضخم نظرياً، ولكنها ليست مفتاح الحل لمشاكل البلدان الفقيرة فمعظم ما هو مطلوب يمكن تحقيقه عملياً بتعبئة القوى العاملة وتركيزها على المشاريع الاجتماعية الاكثر الحاحاً فقط، ان معظم الأدوات الضرورية لتحصين الزراعة يمكن ان تصنع في معامل محلية صغيرة تستخدم أساليب غير متطورة، واساليب تقليدية في الغالب وتتمتع الصناعة المحلية المحدودة بمرونة اكبر في انتاج الأدوات الملائمة للتربة والظروف الطبيعية الأخرى، ومثل هذه المرافق يمكن ان تكون مفيدة جداً في التغلب على مسألة البطالة في الريف واستخدام الموارد البشرية المهدورة لغايات بنّاءة، ولا تنشأ الحاجة الى كمية كبيرة من قوة العمل في الريف عادة الا في ذروة الموسم الزراعي فيما تظل هذه القوة بقية العام خاملة، وهكذا فانه بنمو الصناعة في الأرياف، يمكن تشغيل هذه القوة الخاملة في المعامل، وفي مشاريع البناء مع بقائها متوفرة في مواسم جني المحاصيل الزراعية. ان النقطة المهمة اذا ما وجه الانتباه للزراعة والصحة والاسكان وتعليم الطبقات المفروض عليها الفقر، هي ان التكنولوجيا ونوع الانتاج المطلوب سيكونان مغايرين كل المغايرة للانماط، والنماذج التي ترتبط عادة باستخدام التكنولوجيا الحديثة.

ثم يقول في مكان آخر: ان المطلوب قبل كل شيء هو تحويل الانتباه عن التكنولوجيا ورأس المال الى الناس، فالتنمية الناجحة تعتمد في النهاية على تحوّل الناس أنفسهم وطالما ان هذه هي الحال، فعلينا ان نعي العقبات التي تفرضها روح الاتكالية لدى شعوب العالم الثالث، والتي تبدو بشكل صارخ في الارياف حيث تعيش الأغلبية، اذ ان سيطرة كبار الملاكين والمرابين وزعماء القبائل والموظفين البيوقراطيين الصغار، هذه السيطرة المدعومة بقوات الشرطة المحلية وعصابات المرتزقة، عند الضرورة التي تضرب بجذورها عميقاً وتمس تقريباً جميع أوجه الحياة اليومية للعامل الريفي والمزارع».

واضيف: ان هذه العوامل تجمد الانسان في الريف وتحوله من انسان منتج فعال

متحرك معتمد على ذاته الى انسان ذيلي يلفظه الريف فيتحول الى بيوت الصفيح حول المدن ويحوّل البلد من بلد متخلف الى بلد مرتكز في التخلف اكثر فاكثر ..

ثم يواصل الكاتب: «كما ان هذه الروح الاتكالية موجودة وباشكال مختلفة في المدن أيضاً» بعدئذ يقول هذا الكاتب فيما يخص القسم الثاني من حديثنا: «فوق هذا كله هناك التبعية الثقافية وفقدان الثقة بالنفس الناشئان من مجمل التاريخ الامبريالي الرسمي وغير الرسمي. لقد لُقن الناس بأن أحسن السلع هو ما صُنع في الغرب (هذا انسان غربي يتحدث و يعلم كيف تعمل الشركات وكيف تربح) وان المخلوقات المتفوقة من سكان المراكز المتروبولية (أي الصناعية الكبرى) وحدها هي التي تستطيع ان تتقن فنون التكنولوجيا، كما ان اتحاد القمع الطبقي «والاستكبار الروسي أيضاً»، مع الامبريالية الثقافية يعززان الشعور بالعجز عن استخدام وادارة التكنولوجيا الحديثة. هذه العوامل مضافاً اليها عنجهية الاختصاصيين الغربيين الذين يذهبون الى العالم الثالث لاقامة وتشغيل المصانع الجديدة هي اسهامات مهمة في عزل القطاعات التكنولوجية الحديثة في بلدان هذا العالم في ادامة الاعتماد على التكنولوجيا الغربية».

وبعد أن يبيّن كثيراً من هذه المفارقات يضرب لنا مثلا من واقع الصين بالقياس الى واقع هونغ كونغ، فهونغ كونغ مستعمرة تستورد آخر موديلات التكنولوجيا الحديثة، ولكنها في الواقع ليست الا بلداً متخلفاً، بينما الصين تعمل بعكس ذلك اذ تعتمد على ذاتها، وتعتبر اليوم ــ خارجة تقريباً من العالم الثالث حتى لتكاد ان تصبح من أعضاء العالم الثاني فيقول الكاتب: وأشير هنا الى مقابلة مع عالم الفيزياء (سي ان يانغ) الحائز على جائزة نوبل وهو امريكي الجنسية من أصل صيني أجرتها معه مجلة الصين الجديدة في خريف عام ١٩٧٥ لقد سئل البروفسور يانغ عن مدى سرعة تطور العلم في الصين فأجاب: ان أسرع طريقة للحاق بالعالم الحديث واثارة اعجاب الزوّار الاجانب هي اقامة مختبر عملاق واستيراد كل المعدّات من الخارج ثم الاستعجال في تدريب كادر من الخريجين واخصائيي البحوث للانكباب على العمليات نفسها التي تجري في اماكن أخرى من العالم، لكن الصين ترفض هذا الاسلوب لأنه لا يكون

سوى عملية استعراض لا صلة لها بالتنمية الشاملة في البلاد، لقد دخل هذا في ادراكي بوضوح صباح ذات يوم من عام ١٩٧٣م وعندما كنت أقوم بزيارة مختبر لأشعة الليزر في احدى جامعات هونغ كونغ حيث أدخلت الى غرفة مكيفة، وهناك شاهدت انبوبة هائلة لليزر مستوردة ملساء جداً، جيّدة الصناعة وجيدة التغليف، لقد كانوا يقومون بأبحاث متقدمة مما أثار اعجابي، ومساء ذلك اليوم نفسه و بعد أن اجتزت الحدود الى الصين أخذت الى مختبر البطاريات في جامعة (زونك شانغ) وقد تجولت في غرف الليزر غرفة بعد غرفة وشاهدت الاسلاك الناتئة من هنا وهناك والتمديدات الزجاجية المنتشرة في كل اتجاه، لقد كان كل ما هنالك فوضى وكان التمايز مدهشاً فانبوبات الليزر لم تكن ناعمة جيداً ولم تكن هناك مادة الكروم الضرورية لهذه الصناعة، بل كانت هناك كل انواع المشاكل، وكان واضحاً لي ان جيلاً من علماء الليزر الذين يعرفون كل شي في هذا المضمار، والذين يعرفون السبب الفعلي للمشاكل التي تجري دراستها في الخارج سوف ينشأ في هذا المرفق، وليس في ذلك المرفق، واعتقد أن هذه هي الفلسفة التي ستجلب المنافع للتنمية العلمية والتكنولوجية في الصين».

• لا.. للتقليد الأعمى

اننا اذا أردنا أن نتحرك ونطوّر أنفسنا في حقل التكنولوجيا.. فلابد أن نكتب لافتة بطول بلادنا وعرضها تقول: «التقليد ممنوع» بل لابد أن تكون هذه اللافتة من أعماق أعماقنا حينما نتحرك، لان التقليد بالتالي ما هو الا انعكاس حالات وطبائع غيرك عليك، لقد كتبت في مقدمة كتاب (المنطق الاسلامي) حادثة سمعتها من بعض المهندسين الذين زاروني من «عُمان» وقالوا بأن المدارس التي بنيت باشراف المهندسين البريطانيين في «عمان»، كانت نوافذها كلها تقابل الشمس، لأن المهندسين البريطانيين يتحسرون على الشمس التي لا تشرق الا قليلاً في بلادهم، ويحرصون على أن يروا قرصها بين فترة واخرى، وحينما جاءوا الى عُمان لم يدركوا

بـأن هـذا الـبـلـد لا يعرف الشتاء وان الشمس هي مشكلة هذا البلد، وان اطفال هذا الـبـلـد يـهـربـون مـن الـشـمس الى كل ظل ممكن، نسوا هذه الحقيقة البسيطة فجعلوا المدارس الابـتـدائـيـة بشكل،أن الـشـمـس حيثما شرّقت أو غرّبت تواجه الأطفال المساكين، وكـثـيـراً مـا يـدوخ الاطـفال من حرارة الشمس، وهذا مثل بسيط، فكل حيـاتـنـا، اصبـحت تقليداً للاجانب، في طريقة اذاعتنا واعلانات صحفنا، وطريقة مـلابسنا، في مشينا ونومنا. ان التقليد جعلنا شعباً ممسوخاً، لقد ضيّعنا المشيتين تماماً، فلم نتعلم مشية الغربين ونسينا طريقتنا الاولى.

• فلنتجاوز بروح الأمة عصر الانحطاط

الـسؤال الآن: كـيـف نـفـجـر الـروح في امـتـنـا لـكي تصبح صناعتها من اجل الانـسـان.. مـن أجـل اهدافها.. لا من أجل الآخرين، ولكي تستطيع ان تجتاز عقبة التخلف.

انـنـا نـشير هـنـا الى ثـلاث نـقـاط حـساسة قد يكون المؤلف المذكور سراً أشار الى بعضها:

• اولا:

انـنا في سبيل تخطي الحواجز والسير على طريق التقدم و بالذات صناعيّاً، يجب أن نـبـدأ مـن الـزراعـة، أي يجـب أن نبدأ من حيث بدأوا، ولكن بسرعة اكبر ومن الخطأ الفضيع ان نقول (نبدأ من حيث انتهوا) فان كان لك أخ درس في الجامعات المتقدمة حـتى حصل على شهادة بروفسور ورجع اليك، بينما انت جئت من الريف الى المدينة ورأيـت أخـاك يـقرأ كتباً ضخمة مكتوبة بالانجليزية واردت أن تصبح مثله، هل من الصحيح أن تجلس الى تلك الكتب وتحاول قراءتها والبدء من حيث انتهى أخوك؟، انـك لا تـسـتـطـيـع ان تـقـرأهـا ولـو جلست عليها الى أبد الآبدين. عليك ان تبدأ من حيـث تبدأ من المدرسة الابتدائية فالمتوسطة فالثانوية فالجامعة فالماجيستير فالدكتوراه،

وان تـتـعـب نـفـسـك حـتـى تـصير بروفسوراً.. اجل تستطيع ان تتحرك بسرعة اكبر، ولا اريـد ان استشهد بكلام ذلك الانسان الذي قال «من أراد حرق المراحل احرقته» انما استشهد بكلام الامام علي(ع).. حيث قال:

□(من صارع الزمان صرعه)□

لا نستطيع ان نقفز فوق حاجز الزمان، ولكن بامكاننا ان نسرع!

لـقـد بدأت الصناعة في بريطانيا، وكان احدَ العوامل الاساسية لتطور الصناعة هو تـراكـم الـثـروة الـزراعية، فبعد ان تراكمت هذه الثروة، تحولت شيئاً فشيئاً الى عملية صناعية بسيطة، ثم بالتدريج أصبحت معقدة!

مـن هـنـا يـنبغي ان نبدأ من الزراعة، ومن الريف، ولقد كانت هذه نظرة عميقة جـداً لـلامـام الخـمـيـنـي «حـفظه الله» وللقيادات السياسية الايرانية ان توجهت الى الـريـف وقـالـت: الريف اولا! وتوجهت الى بناء الطرق، ثم توجهت الى زراعة ايران فـأصـبـحـت الـزراعـة في ايـران الآن أفـضل من ايام النظام البائد بحوالي الضعفين أو ثـلا ثـةأضعاف، وهذا قليل الحدوث في العالم، جاء خبير زراعي عالمي وقال لي: لماذا لاتـتـحـدثـون عـن تجربتكم، لان هذه التجربة فريدة في العالم؟ اننا لا نجد اليوم في عـالـم يعيش الجوع والحرمان دولة استطاعت ان تقفز بهذه السرعة في المجال الزراعي! في مطالعة احصائية لبعض الانجازات الثورية نجد الارقام التالية: قام (جهاد البناء) بـاصلاح أربعة وعشرين ألف قناة أي اربعة وعشرين الف نهر ماء مستمر، لان القناة تقريباً نهر ماء بامكانها أن تسقي مساحات واسعة جداً.

كما تمّ رصف حوالي ٣٠ ألف كيلومتر من الطرق الريفية، وأوجدوا في كل قرية مـن قرى ايران مخزناً لمياه الشرب، لقد بدأ الناس يفهمون العالم حينما اتصلوا به، هل تعلمون بأن هناك قرى في ايران وكانت الى عهد قريب لاتدري بما حدث في ايران من الثورة وتغيير النظام؟ وكان يظن أهلها بأن النظام لايزال «نظام الشاه البائد» قال لي أحد القرويين في احدى قرى خراسان النائية بعد ان سألته من الذي يحكم في ايران؟

قال: احمد شاه!! قلت له: وما هو اتجاهه؟ قال: انه روسي الاتجاه وهو موجود في روسيا وهو الذي يحكم ايران! ياللمسكين!! لقد توقف فكره منذ ايام احمد شاه الذي تحول هو وخلفاؤه الى تراب في بطن الارض!! لماذا هذا التخلف؟

ان هذا هو التخلف الذي يغلف بلداننا، والآن فقط بدأ عصر النور بعد مجيء الثورة الاسلامية فالآن، بدأت الطلائع تخترق الحواجز كي تصل الى أولئك البعيدين عن العصر وعن الحضارة وعن العالم! لم يكن لهم ماء يشربونه، فأعطوهم الماء، وماذا ينفع ايران اذا استطاعت ان تصنع قنبلة ذرية وأبناء ايران لا يستطيعون ان يشربوا الماء الصحي..؟ زرت قرى كثيرة في ايران لم يكن لديهم ماء يشربونه الا الماء المالح المليء بالمكروبات! اذن فلنبدأ بالزراعة اولا، لان السواد الاعظم هناك، وكما قلت سابقاً لنبدأ خطوة فخطوة فلنوفر لهم اولاً التعليم الابتدائي لانه ليس من الضروري ان يكون في ايران عشرون الف جامعي، بينما يبقى كل الشعب الايراني أمياً، قرأت في تقرير لليونسكو ان نسبة الامية تزيد سنة بعد اخرى في بعض دول الخليج! وهذا شيء غريب مع كثرة المدارس، كيف تزيد نسبة الأمية؟! هل الناس ينسون القراءة والكتابة؟! ولكن كلا.. الهجرة من البادية الى المدينة كثيفة، والهجرة من خارج البلد الى داخل البلد من غير المتعلمين كثيفة، وهؤلاء يضيفون الى الأميين ارقاماً جديدة..

● **ثانياً:**

علينا ان نبعث روح الثقة بالذات والاعتماد على النفس والتوكل على الله في نفوس جماهيرنا.

أيها الانسان المسلم عد الى نفسك، وقاوم هذه المجموعة المترابطة من الذين لا همّ لهم سوى استلاب ثقتنا بأنفسنا، وسرقة اعتمادنا على ذواتنا،وكل ما تقوم به هذه المجموعة عبر الاذاعات والصحف، فلو ان المطابع توقفت والامواج الا ثيرية ركدت لمدة خمس سنوات لبدأت الحركة الصناعية الكبرى في عالمنا، ولكن هذه الاجهزة

الاعلامية هي التي توحي الينا بطريقة أو بأخرى بأنكم لاشيء وأنكم لا تستطيعون ان تفعلوا شيئاً وقد رأيتم في ايران كيف توقف كثير من المصانع، لان الخبراء الاجانب هربوا منها، بل هدّموها، ولكن المهندسين الشباب، بل وحتى غير المهندسين من الشباب اقتحموا هذا المجال وعملوا وسعوا الى ان اعادوا تشغيل المصانع! ومصنع النحاس في كرمان أحد الأدلة، والتلفزيون الملون في بندر عباس دليل آخر، لقد جاء الفرنسيون وبأجهزة ارسال التلفزيون الملوّن داخل الصناديق وعليها ختم، قالوا اذا فتحتموها فنحن بريئون من التزامنا بتشغيلها ثم لم يأتوا لتركيبها.. ولكن الشباب الرساليين فتحوا الصناديق وشغلوا الاجهزة بنجاح، وبعد الحرب ربما نستطيع ان نشغل أيضاً مجمع البتروكيماويات في ميناء الامام الخميني. وهناك المئات من المصانع والمشاريع المتوسطة والصغيرة التي تم انجازها على يد الشباب المؤمن، وفي غياب كامل من الخبراء الاجانب.

لقد أثبتت التجربة الايرانية وقبلها التجربة الصينية، والتجربة الكورية الشمالية ان الاعتماد على الذات قادر على ان يفجر مواهب الانسان، واضرب لكم مثلا من كوريا الشمالية التي لا اكن اي احترام لرئيسها، ولكن اقول ذلك احتراماً لشعبها وللمنهج الذي اتبعه هذا الشعب. الكوريون لا يملكون من الطاقة الا الفحم الحجري، لذلك فهم يشترون مرسيدس من المانيا الغربية ويحولوها من مرسيدس تعمل بالبترول أو الكازوئيل الى مرسيدس تعمل على الفحم الحجري، وهذا يعني الاعتماد على النفس، وهناك بعض البلاد الاخرى واعتقد انها من بلاد امريكا اللاتينية تعمل بنفس الطريقة، ولكن تحول السيارات للعمل على البيرة، أي تستغل البيرة كمادة للوقود. في ايران كان الشاه المقبور قد باع الغاز الايراني كله للاتحاد السوفيتي وباستطاعة الغاز الايراني ان يوفر للايرانيين كل عام ٢٥ ألف مليون دولار اذ أنه أفضل وقود للايرانيين وباستطاعتهم ان يبدأوا صناعتهم من نقطه «الغاز الطبيعي» والحكومة الاسلامية اليوم تدرس مشروعاً ضخماً في هذا المجال! وما أبعد اليوم من البارحة! لقد كان الشاه المقبور يقول: لا، اننا نبيع الغاز للاتحاد السوفيتي، والاتحاد السوفياتي يبيع الغاز الى المانيا الغربية، والمانيا الغربية تصنع لنا جرارات نفطية

ترسلها الى ايران لنعمل عليها!! ومازال العالم الثالث مكبلا بأمثال هذه المشاكل التي يجب ان نتجاوزها؛ وذلك بأن نعيد الثقة الى أولادنا منذ الطفولة. يجب ان نجعل الطفل يعمل، يجب ان ندع له فرصة للاختيار، فرصة للتحرك منذ الطفولة، ثم نربي أولادنا ومجتمعنا على هذه الطريقة ليتحول المجتمع الى مجتمع منتج! واليوم تتكرر المأساة في العراق: فصدام أخّر حضارة الشعب العراقي خمسين عاماً، حينما فتح الأبواب امام الانتاج الغربي والشركات الغربية والشرقية وحول العراق الى سوق استهلاكية واقترض الاموال من هذه الدولة الرجعية وتلك، وبثها بين الناس، فعوّد ذلك الشعب البطل الذي كان أول من اكتشف الزجاج في التاريخ، وكان مفجراً لكثير من الحضارات التاريخية، عوّده على الكسل والترهل، فاذا به اليوم يتعرض للمسخ على يد صدام معوداً اياه على اخذ الاموال لتتحول الى مواد استهلاكية، ومتى شاءوا منعوا عنه المال ليحولوه الى عبيد وأتباع لصدام وحزبه! اذكر ذات سنة قام هذا النظام الحاقد بعمل اجرامي بحق شعبنا، ففي منطقة الناصرية شحت مياه الفرات بسبب السد الذي اقيم في سوريا أو هكذا قيل، فشحت المزارع تقريباً وأصبحت تعاني من العطش فاستغل صدام هذه الفرصة وبدل ان يعمل على حفر الآبار مثلا قام بفتح باب التطوع في الشرطة لأهل الناصرية واغراهم أن يكونوا شرطة براتب خمسين ديناراً في الشهر، فذلك الفلاح الذي كان يزرع في بلده مرتاحاً جاء صدام وعمل له هذا الطعم فسحبه وسحب الناس الى بغداد، والى سائر المحافظات وحوّلهم من مزارعين شرفاء يعملون داخل بلدهم الى شرطة تابعين له يستخدمهم كيف يشاء، بدل ان يصرف نفس المال في ايجاد مضخات قوية أو آبار ارتوازية لتقنين توزيع الماء، على المزارع، وفي محاولات لابقاء الشعب في أرضه وعمله، الا أنه بخيانته حوّل الارض الزراعية الى ارض جرداء، كما عمل مؤخراً في العراق عملا جنونياً اجرامياً آخر حين أوعز للبدو العراقيين الذين كانوا رعاة للمواشي وعليهم تقوم الثروة الحيوانية في العراق، بأن الحكومة تسمح لمن أراد منهم ان يستورد سيارة شحن أو سيارة نقل ويعمل بها بحريته من دون ان تأخذ الحكومة اية رسوم على استيراد السيارات.

فانخدع أولئك المساكين الذين كانوا يعانون من شظف العيش في البداوة فقام

كل راعي ماشية يبيع ماشيته داخل المدن حيث استُهلكت وسافر بثمنها الى الكويت ليشتري سيارة نقل، وعندما عاد الى العراق أعطي في الحدود لوحة عبور مؤقتة لسيارته لمدة ثلاثة شهور، ولما تأكد لصدام واعوانه انهم قضوا بذلك على مصادر الثروة الحيوانية عادوا لأصحاب السيارات وأمروهم بدفع الجمارك!!

وبهذه الطريقة المنظمة قضى صدام وحزبه على الثروة الحيوانية في العراق! ونحن —على العكس من ذلك تماماً— مطالبون بأن نبدأ من ذلك البدوي في الصحراء وليس من ساكن المدينة، لان سكان الصحاري والارياف منتجون، أما سكان المدن فمستهلكون، ونحن علينا ان نبدأ بالمنتجين فنعيد الروح اليهم وندفعهم بأن ندعمهم ونوفر لهم الامكانيات لتطوير انتاجهم!

● ثالثاً:

الاعتزاز بالطرق التقليدية التي كانت سبباً في تحقيق الاكتفاء الذاتي في ذلك الوقت دون الحاجة الى اللجوء لما عند الغرب أو الشرق، اذ يجب علينا ان نجعلها الآن مكان افتخارنا وموضع تقديرنا..!

فمن بين تلك الطرق العظيمة نختار هذا المثال:

في ايران منطقة صحراوية جرداء تسمى «كويرلوط» وتنتشر فيها بعض الواحات الخضراء من بينها (كرمان) الشهيرة، وكان سكان كرمان نظراً لندرة المياه سابقاً يعمدون الى احواض خزفية كبيرة يملؤنها بالماء ويغطون فوهتها بطبقة تسمح للماء بالنفاذ ثم يدفنوها في التربة ويبذرون البذور حولها فتنبت تلك البذور بما يصل اليها من الماء الناضح من الاناء الخزفي وتسربه في التربة. مقتصدين بتلك، في الماء القليل في منطقتهم ويعطون البذرة مقداراً بسيطاً من الرطوبة لنموها فقط!

هكذا تغلب الكرمانيون على ظروف الطبيعة فحلوا مشكلة ندرة المياه بهذه الطريقة البسيطة والفعّالة، فهل خطر على فكر أحد منا مثل هذه الفكرة..؟ ولقد

قرأت كثيراً عن الطرق الاقتصادية في العالم، ولكن لم أقرأ عن مثل هذه! وهل تعرفون في العالم طريقة اقتصادية، لاقتصاد الماء مثل هذه الطريقة.

ومثال آخر.. من منطقة زاد الرود في اصفهان، حيث سحب المسلمون الماء تحت الارض عبر قنوات خاصة الى منطقة ايلام لاستغلالها في ري الاراضي الزراعية هناك، رغم أن المسافة بين اصفهان وايلام تبلغ مئآت الكيلومترات. أفلا تستحق مثل هذه التجارب الاكبار والاحترام!! ان تقدير التجارب، في حفظها والاستفادة منها، فلابد ان نتعلم هذه التجارب عبر وسائل حديثة ونعلمها لجيلنا الجديد.

كيف يعالج الاسلام مشكلة الحرب؟

● هناك تساؤل يقول: هل يستطيع الاسلام اذا حكم البلاد انهاء مشكلة الانسان الرئيسية وهي الحرب أم لا..؟

ولا ريب ان الاجابة عن هذا التساؤل ليست بالسهولة الكافية،ليس فقط، لأن قضية الحرب هي أصعب قضية يعيشها الانسان منذ ان قتل قابيل هابيل، وأريق دم ربع العالم في ذلك اليوم (حيث ان العالم يومها لم يكن فيه سوى ٤ افراد فحسب)، وانما لسبب آخر ايضاً وهو ان كثيراً من النصوص الاسلامية تعالج قضية الحرب، وتحرض الناس على القتال، فكيف يستطيع دين يحرض الناس على القتال ان يمنع القتال؟ وإذا كان لهذا التساؤل ما يبرره سابقاً باعتبار ان الحروب في النهاية تدمر البلاد وتهلك العباد وتخلف و يلات كثيرة، فان لهذا التساؤل اليوم أهمية أكبر، فالأمر أعمق خطورة واكثر الحاحاً، اذ لم يبق للحرب في العصور السابقة والعصر الحديث قاسم مشترك غير الاسم، فالفرق ما بين حرب الأمس وحرب اليوم شاسع بعيد.

فالحرب سابقاً كانت بضعة سيوف ورماح ونبال وسهام تصيب حيناً وتخطىء أحياناً، وكان المتحاربون يشتبكون ضمن زمن محدد ورقعة محدودة سرعان ما تنتهي بسقوط اللواء او بمقتل القائد فينهزم الباقون.

أما عدد القتلى فانه لايتجاوز العشرات او المئات واذا كانت الحرب ضروساً كما شهدتها ايام العرب في الجاهلية، فان عدد القتلى قد يتجاوز الالاف فحسب، فهل كانت الملاحم الحربية التي سجلها الشعراء مثلاً،تبلغ عشر مابلغته الحرب العالمية الاولى؟ ان تلك الحروب في قاموس اليوم تسمى مناوشات ليس الا، بل ان بعض المناوشات اليوم اكثر و بالاً من أكبر الحروب السابقة!..

وهناك ثلاث ملاحظات في الحروب الجديدة أعطت الحرب طابعاً حديثاً تماماً.

• الاولى: الشمول البشري

لقد اصبحت الحرب شاملة، اذ ليس هناك محاربون في بلد من البلاد وآخرون مسالمون، فهذا التقسيم الوهمي قد زال، لأن الحرب الحديثة هي حرب كل الشعب في طرف، مع كل الشعب في الطرف الآخر بكل مواردهما وطاقاتهما وامكاناتهما. يقول الجنرال الفرنسي(بوفر) الذي يعتبر أحد الاستراتيجيين في كتابه «بناء المستقبل»: في عهد الاستراتيجيين السابقين الذين كتبوا حول الحرب مثل «كلوفيزر» هذا الاستراتيجي المعروف، كان هناك جماعة يحاربون وجماعة جالسون في بيوتهم، أما اليوم فحينما تعلن الحرب في بلد ضد آخر فان كل شيء في البلدين يتغير عن ساعة قبل اعلان الحرب، فالسلطات تتركز، والاقتصاد يصبح اقتصاداً حربياً، والناس كلهم يخضعون للتعبئة ان لم يكن في جبهات القتال، فخلف الجبهة وكل شيء يرتبط بالحرب حتى الطلاب في المدارس ينبغي ان يكيّفوا أنفسهم مع الوضع الجديد في الحرب.

• الثانية: الشمول الجغرافي

بسبب تلاحم العالم واقتراب شعوبه أكثر فأكثر وبسبب المواصلات واساليب التعارف بين الناس ووسائل الاتصال الحديثة لم تعد الحرب اقليمية محدودة، اذ لا

تشتعل نيران الحرب في احدى مناطق العالم الا وتنعكس آثارها على سائر المناطق الاخرى حتى وان لم تبدو لنا الآثار واضحة وسريعة. وكثير من الحروب المحدودة التي كانت في منطقة معينة تحولت الى حروب واسعة شملت المنطقة كلها، ولذلك فان الحروب اليوم ليست تنحصر بحدود جغرافية معينة.

● الثالثة: تطور وسائل الحرب

لم تعد الحرب الحديثة تعتمد على الوسائل البدائية في القتال كالمقلاع مثلاً، ذلك السلاح الذي استخدمه النبي داود عليه السلام بقتل الطاغية (جالوت)، كان داود عليه الصلاة والسلام جندياً في جيش (طالوت)، في حربه لجالوت، فأصابه داود بصخرة المقلاع في رأسه فسقط جالوت قتيلا، وانهزم الجيش وانتهت المشكلة.

هذه الصخرة تحولت اليوم الى قنبلة انشطارية تستطيع ان تقتل مئات الالوف من الناس ان كانوا في رقعة سقوط القنبلة.. لأنها تنشطر الى الوف الشظايا الصغيرة السامة كما ان هناك قنابل حينما تتفجر تنطلق منها عشرات الالوف من الابر المسمومة، فاذا صادفت الابرة انسانا في أي مكان من جسمه يموت بسببها، والسهم الصغير في السابق، تحول اليوم الى (آر.بي.جي) او الى مدفعية، وأما الطائرات والاسلحة النووية فحدّث عنها ولا حرج اذا لم يكن يوجد في السابق سلاح يقابلها، من هنا فان حرب اليوم تختلف كلياً عن حرب الامس.

● دوّامة الرعب العالمية

مما سبق يبدو ان سؤال «هل يستطيع الاسلام ان يمنع الحرب؟» مطروح بشكل جدي، فعالم اليوم يعيش قلقاً حقيقياً في ظل الرعب النووي المخيف ولا شك ان الراية التي تنادي بالسلام، وتعمل على انقاذ العالم من هذا الرعب هي الراية القادرة على استقطاب أوسع الجماهير في العالم. وان معظم الاحصائيات والدراسات العلمية

أصبحت مثيرة للغاية، والامور في ضوئها تتفاقم الى الأسوأ..

● **أولا:**

يدفع العالم اليوم أكثر من (٥٠٠) ألف مليون دولار للتسلح، وكل عام تزداد هذه الميزانية..

● **ثانيا:**

منذ الحرب العالمية الثانية الى الآن لم يسجل التاريخ سنة واحدة كانت ميزانية التسليح في العالم أقل منها في السنة السابقة فهي في حالة تصاعد مستمر. يقول(هاري ماجدوف) في كتابه (من عصر الاستعمار الى اليوم): «ان هذا تحول الى عنصر في ذات النظم السياسية والاقتصادية في العالم» واني اعتقد ان هذا صحيح اذ ان هذا العالم وهذه التركيبة الاقتصادية والسياسية لا تستطيع ان تستمر بدون ميزانيات التسلح المتصاعدة، فقد اصبحت ميزانيات التسلح عادة قذرة تعوّدت البشرية عليها ولا تستطيع ان تتركها الا بهزة عظيمة جداً.

و يواصل الكاتب حديثه في اطار يختص بالولايات المتحدة الا انه بالامكان ان يشمل حكمه، القوة العظمى الثانية، اذ يقول: «وان استمرار اعتماد الاقتصاد في الدول الجديدة على المراكز «المترو بولية» في اطار الاستقلال السياسي يتطلب بين مايتطلبه الانتشار العالمي للقوات العسكرية الامريكية كما يستدعي الدعم العسكري المباشر للطبقات الحاكمة المحلية» و يقول في موضع آخر..

«ان القفزة للامـــام في سنوات ما بعد الحرب في اتجاه بناء الامبراطورية وتحول المجتمع الامريكي الى مجتمع مشبع بالنزعة العسكرية المتحفزة مرتبطتان بظاهرتين: ظاهرة ملأ الفراغات. وظاهرة مقاومة الدول الشيوعية..».

و يقول المؤلف في مكان آخر من كتابه: «ان الولايات المتحدة ظلت مشغولة بنشاطات حربية طوال ثلاثة ارباع تاريخها و بالتحديد في ألف وسبعمائة وثمانين شهراً من مجموع هذا التاريخ ــ أي تاريخ الولايات المتحدة الامريكية ــ الذي يمتد الى

ألفين وثلاث مائة وأربعين شهراً » وهذا يعني في الفين وثلاث مائة وأربعين شهراً من تاريخ الولايات المتحدة الامريكية ظلت هذه الدولة مشغولة بالحروب طوال ألف وسبع مائة وأثنين وثمانين شهراً بمختلف أنواع الحروب، فاذا حسبنا ان عمر الولايات المتحدة الامريكية أربع سنوات فثلاث سنوات منها كانت في الحرب سواء في فيتنام او في كوريا او مع الهنود الحمر او البريطانيين او مع غيرهم.. و يضيف المؤلف: «لذلك علينا ان لانفاجأ حين نكتشف ان الانفاق على الحرب وما يتصل بها قد شكل دائماً القطاع الاهم في الميزانية الاتحادية خلال التاريخ كله، ان جدول الانفاق الاقتصادي على اساس عشري، بدأ من عام ألف وثمانمائة وحتى عام ألف وتسع مائة وتسعة وثلاثين على الجيش والقوات البحرية والمحاربين القدماء ومرتبات التقاعد والفوائد المدفوعة على الديون، وقد ظهر ان أربعة وخمسين بالمائة من الانفاق الاتحادي باستثناء عقد زمني واحد فقط كان مختصاً للنشاطات العسكرية او للاعداد لنشاطات عسكرية او لتغطية نفقات الالتزام الناشئة عن نشاطات عسكرية».

• العالم على حافة الهاوية

ومما تقدم يتوضح لنا:

• **أولا:** ان العالم خلال ذلك العهد كان يتجه نحو التسلح.

• **ثانياً:** أصبح الخطر أكثر جدية مع تقدم العلم واستغلال النزعة العسكرية له في ميدان التصنيع الحربي و يتبدى هذا الخطر الجدي مع تطور الاسلحة ومفعولها الخطير.

فالقنبلة الذرية مثلا أول ما استخدمت في هيروشيما، كانت من حيث التقدم والخطورة بمستوى الطائرة المروحية التي القتها على تلك المدينة البائسة، أما اليوم فان القنبلة الذرية اصبحت بمستوى الصواريخ عابرة القارات !!

وفي احصائية حول تقرير نتائج الحرب العالمية الثالثة فيما لو حدثت نجد ارقاماً مذهلة

للغاية، يقول الجنرال (فكتور فنيير) في كتاب (الحرب العالمية الثالثة): « في حال نشوب الحرب العالمية الثالثة، فان مأتي مليون قتيل سيسقطون في ساعات قليلة».

ولك ان تتصور أننا لو اردنا ان ننفذ حكم الاعدام في مثل هذا العدد باطلاق الرصاص عليهم لأحتجنا لبضع سنين حتى يتم لنا هذا الامر!! ولعل هذه الخسائر البشرية الهائلة هو نتيجة استخدام نوع واحد من الاسلحة، مثلا اطلاق عدة صواريخ نوو ية عابرة للقارات، فكيف اذا استخدمت، كل أنواع الاسلحة؟ لاشك ان امواج البحار يجن جنونها فتخرج من البحار وتسير على البر وتبتلع المدن الساحلية كلها. ناهيك عن نتائج «الحرب الفضائية» التي لانعلم الى الآن بسبب السرية التي تغلف الخطط العسكرية الأجنبية حول الحرب الفضائية ــ أي تفصيلات عن هذه الاقمار الصناعية التي تجوب الفضاء بعيداً عن الرقابة، وكم تحمل من الاسلحة النوو ية، وكيف يمكنها ان تضرب في الساعة السوداء من تاريخ الانسان كل الأهداف الممكنة!! وهكذا الامر بالنسبة الى «الحرب الكيمياو ية والبيولوجية» فان مائة طن فقط من الاسلحة البيولوجية الموجودة في العالم من بين آلاف الاطنان تستطيع ان تنهي الحياة عن وجه الكرة الارضية، وتقول الاحصائيات العسكرية الدقيقة ان الانسان قد صنع لقتل نفسه مقداراً من الاسلحة يكفي لقتل كل انسان على وجه الارض ــ على اعتبار ان عدد سكان المعمورة هو أر بعة مليارات نسمة ــ خمسة عشر مليون مرة! وهذه هي المعادلات الرهيبة التي يعيشها العالم اليوم!

● الاشعاعات النوو ية والخطر عبر الاجيال

قلنا فيما مضى ان الحرب الكونية فيما لو نشبت فانها ستقضي على مائتي مليون انسان في الساعات الاولى، هذا فيما لو توقفت بعدها الحرب، ولكن الذي لم نذكره هو ان العالم المتبقي «أي الذي نجا من الضربة النوو ية الاولى» سيظل يعاني من الاشعاعات النوو ية لمليون جيل قادم كما يذكر أحد الكتاب!!

ماذا يعني هذا..؟ ان العالم منذ عهد آدم الى يومنا لم يشهد أكثر من خمسمائة

جيل حسب النقل التاريخي، فكيف بمليون جيل..؟

في حديث لوزير الدفاع الامريكي الاسبق «مكنمارا» يقول: (ان المسألة التي تفرض نفسها اليوم هي ضرورة معرفة ماذا يجب ان نفعله في عصر تهدد الحرب الشاملة فيه بموت عدة مئات من الملايين من بني الانسان، ويمكن ان تؤدي الى تخريب الوراثة لمليون جيل قادم!!).

فهذه الحرب لن يمتد تأثيرها التدميري لمليون سنة فقط، وانما لمليون جيل، يعني لثلاثين مليون سنة على الاقل سيظل البشر ـ فيما لو بقوا أحياء ـ متأثرين بنتائج تلك الحرب كأن يولدوا من غير عيون، أو بأطراف ناقصة، او مصابين بمرض القلب او مرض السرطان، وما أشبه هذه الأمراض الخطيرة.

وقد قام علماء الذرة باجراء عدة تجارب حول تأثير الاشعاعات الذرية على الكائنات الحية، لابأس ان نذكر نموذجين منها:

أ/ قام فريق من الخبراء بتجربة عرّضوا فيها عدداً من الذباب لمقدار معين من الاشعة الذرية، فجاءت سلالتها الاولى بأجنحة معقوفة الى الاعلى بينما خرجت السلالة الثانية بدون اجنحة.

ب/ وفي تجربة اخرى عرّض الخبراء عشرين فأراً سميناً للأشعاع النووي، فجاءت اولادها وهي تحمل شكلاً مرعباً وغريباً مما دعا امهاتها الى ان تأكلها، لأنها لم تعرف بأنها أولادها فأكلتها جميعاً ماعدا فأرين صغيرين أمكن انقاذهما، وكانا مجردين من الشعر تماماً وجلدهما وردي اللون، ولم يكن لهما مكان العينين، سوى ثقبين فارغين!!

وهذا يعني ان الجيل الاول من البشرية التي تتعرض للاشعاع سيولد بدون أعين او بدون أيدي، أما الجيل الثاني فالله أعلم أي نوع من المسخ سيكون!!

والجدير بالذكر ان مجموعة من العلماء الامريكيين شكلوا لجنة لمقاومة الانتشار

الذري في العالم، ثم كتبوا تقريراً حول الموضوع جاء فيه: «يعلن العلماء ان من المحتمل ان يؤدي انفجار ذو قوة عشرة آلاف ميغاطن أي قوة تعادل قوة انفجار عشرة آلاف مليار كيلوغرام من مادة (تي. ان. تي)ــ وهذه المادة يكفي انفجار غرام واحد منها لقتل الانسانــ الى ازالة ثلاثين الى سبعين بالمئة من غاز الازون في النصف الشمالي من الكرة الارضية أي في المكان الذي تقع فيه الانفجارات، وعشرين الى أربعين بالمئة من الغاز ذاته في النصف الآخر من الارض، ويحتاج الامر الى نحو عشر سنوات لاعادة بناء هذه الطبقة من غاز الازون، وقد أكدت التقارير ان هذا الغاز يحيط بالارض فيمنع عنها الشهب المتساقطة من السماء كما يمتص الكثير من الطاقة الشمسية بحيث لايصل منها الى الارض الا ما ينفعها ولا يضرها

ولو ان هذه الغازات ذهبت فما الذي يحدث خلال عشرة اعوام حتى يستعيد الغاز نسبته وتركيبته الطبيعية في غلاف الارض الغازي؟ هل تبقى الحياة على وجه الارض بفعل النيازك والاجرام السماوية المتساقطة.؟

وبالرغم من كل هذا فان أقطاب الاستكبار العالمي ــ اليوم يندفعون ــ وبصورة مذهلة ــ نحو انتاج المزيد من هذه الاسلحة التدميرية بلا وازع من خلق أو ضمير.

• الانسان ذلك القاتل..!

بعد استعراض هذه المآسي والفجائع التي تنتظر البشرية أو تهددها على الاقل نريد ان نتساءل من الذي يصنع هذه الاسلحة؟ أوليس هو الانسان نفسه؟

وهل ستقع الحرب العالمية الثالثة ياترى..؟ أم هو مجرد خوف وقلق وهميين..؟

بدون أدنى ريب ان المجانين فقط هم الذين يرضون بهذا الانتحار الجماعي.. لانه لايمكن للولايات المتحدة الامريكية ان تضرب الاتحاد السوفيتي ــ مثلا ــ دون

ان تتلقى ضربة مماثلة منه، فالصواريخ ذات الرؤوس النووية العابرة للقارات الموجودة في مناطق في الاتحاد السوفيتي موجهة نحو مدن نيو يورك و واشنطن وشيكاغو ولوس انجلوس والى سائر المدن الامريكية، وكذلك الحالة في امريكا اذ توجد صواريخ عابرة للقارات وتحمل الرؤوس النووية موجهة الى المدن الروسية، كما هناك صواريخ موجودة في قاع البحار تحملها الغواصات النووية العملاقة وهي الاخرى موجهة نحو اهداف معينة، اضافة الى ان هناك اسلحة ذرية موجودة في الفضاء عبر الاقمار الصناعية التي تدور حول الارض.

فلو اعتدت الولايات المتحدة الامريكية وضربت الاتحاد السوفيتي او العكس، فان الثاني يرد بنفس المستوى، ومعنى رد الضربة ان الدولتين العظميين تنتهيان.

فحسب تقدير الخبراء،فان ما لايقل عن ١٢٠مليون انسان في امريكا و١٢٠ مليون انسان في روسيا سيقتلون في اللحظات الاولى من الحرب على الاقل.

و بهذا النحو يموت الناس وكأنهم حشرات، وليس هنالك أحمق مجنون ينتحر بهذه الطريقة البشعة المرعبة!!

الحرب العالمية الثالثة لا تقع على الاكثر، الا ان علماء النفس والتاريخ وعلماء الحروب يؤكدون جميعاً ان الحرب ليست قضية ارادية، وانما من يقتحم الحرب انما يقتحمها بعد سلسلة من ردود الافعال الشرطية التي تتولد فيه من دون ارادته، لان الحرب اذا اشتعلت بطلقة واحدة، فان النفس الأمّارة بالسوء توسوس للانسان ـــ مالم يكن مدافعاً عن حق او رادعاً لباطل ـــ فتوهمه بقوته وضعف اعدائه مما يدفعه الى رد الصاع صاعين، واذا ما بدأت الحرب، فالله وحده أعلم متى تضع أوزارها!!

هكذا جرت الحروب، وهكذا تجري في كل بقاع العالم!! من الخطأ ان تتصور بان العالم عقد اجتماعاً دولياً ثم اعلن فيه بدء الحرب العالمية الاولى او الثانية!! كلا.. ليس كذلك، وانما انحدرت البشرية الى تلك الحروب، وربما، تنحدر مرة

اخرى و بشكل طبيعي فتقع حينها الحرب العالمية الثالثة!!

• الاسلام ولحظة التهور النووي

والآن لنعد الى الاجابة على السؤال الذي طرحناه في بداية الموضوع:

هل يستطيع الاسلام ان يمنع حدوث الحرب العالمية الثالثة أم لا..؟ اني استطيع ان أقول نعم واستدل على ذلك بثلاثة أدلة رئيسية:

• الاول: ان للكون رباً يحميه

ان الحرب ليست قضية ارادية للانسان وقد اثبت التاريخ ان الحروب انما تقع بصورة شبه جبرية، فالانسان في الحرب لايمتلك القرار النهائي للدخول في خضم المعركة، ولكنه يندفع على قرع الطبول وتدافع الآخرين، واستحسان الناس لها، وعلى هذه الكيفية يلقي الانسان بنفسه في اتون الحرب، فاذا كان هذا الامر صحيحاً فان الذي يستطيع ان يمنع مثل هذه الحروب المدمرة للبشرية ليس إلا واحد وهو الله سبحانه وتعالى، فلنفرّ اليه جل شأنه، لأنه في تلك الليلة السوداء التي وضع فيها نيكسون نصف القواعد الذرية الامريكية تحت درجة الانذار القصوى، من الذي منع الحرب العالمية من ان تندلع؟

ولقد فقد مجنون امريكا «كيندي» ضميره فراح يعلن و يهدد الاتحاد السوفيتي بالحرب النووية الشاملة في قضية (خليج الخنازير) فمن اعطى مقداراً من العقل لخروتشوف ذلك المجنون الآخر الملقب بالدب الروسي لكي يتراجع و يسحب صواريخه المدمرة من كوبا؟ أوليس هو الكريم المتعال خالق الكون ورب العباد، اله العالمين المهيمن الجبار، الله الواحد القهار..؟

أجل انها نفوس مظلمة، تلك النفوس التي لا تعرف الرحمة، حيث الغرور

والوسواس والشيطان الرجيم، وحيث الطيش والعنجهية وظلمات فوقها ظلمات، لاتمتلك من ضوء الايمان ولا ومضة شعاع، فلا تمانع في قتل النفس البريئة، بل تستلذ لقتل الناس جميعاً.

ونفوس يحملها أمثال جنكيزخان وهتلر وصدام و بيغن،تقتل ملايين الناس من الشعوب المستضعفة، ثم لايختلج فيها عرق، لهي أشد وأصلد من الحجارة، وان من الحجارة لما يتفجر منها الانهار، بينما قلوب هؤلاء لم تكن لتخشع لشيء.

فمن الذي يمنع هذه الحرب المدمرة..؟

وهل للبشرية ملجأ الا الله سبحانه وتعالى..؟

لقد شهد العالم عديداً من الجلسات، ومئات الساعات وألوف الخبراء يجلسون الى بعضهم عبر مؤتمرات نزع السلاح.. سالت(١) وسالت(٢)، يجلسون و يبحثون و يفكرون، وعندما تنفض اجتماعاتهم، يتمخض الجبل فلا يلد الا «أفعى»!!

فالولايات المتحدة الامريكية ترفع من ميزانية الدفاع والحرب من مائة وعشرة بلايين دولار حتى صارت مائة وخمسين بليون ثم اصبحت مائة وستين فمائة وسبعين بليون حتى بلغت مائتي بليون دولار.

وكأن جلساتهم تلك كانت من أجل انشاء شبكة الصواريخ الجديدة وشبكات أخرى لأصطياد وابتلاع الصواريخ المضادة القادمة من البلد المهاجم او انشاء صواريخ تستطيع ان تنطلق عندما تنطلق نظائرها في البلد الآخر فتلتقي بها في الجو لتفجرها فيه، وهكذا دواليك، كلما طوّرت هذه القوة سلاحاً خصصت القوة الاخرى ميزانية اضافية لتطوير سلاح آخر بالمقابل،فالى أين وصلنا ياترى..؟ بالطبع وصلنا الى موقف آخر ووضع أكثر توتراً!! فهذا يجهد شعبه وذاك يجهد شعبه، وهذا يمتص الطاقات والآخر يمتص الطاقات، فمن الذي يوقف هذا التسلح، هذا السباق الابدي نحو الدمار،الا الله سبحانه وتعالى..؟! وهنا لابد ان نستعيد قصة عاد وثمود وقصة لوط

واصحاب الأيكة وقصة قوم تبّع فهذه القصص التاريخية خير مثال تاريخي لحضارتنا واخطاءها، فقد كانت تلك حضارات ذات شأن، وكما ان اسلحتها كانت تختلف عن اسلحتنا، فان الطريقة التي انتهت بها تختلف عن الطريقة التي ستنتهي حضارتنا المعاصرة بها، ولكننا اذا حسبنا حساباً عقلياً نجد ان البشرية حينما نست الله أنساها الله نفسها ودمرت نفسها بنفسها.

﴿ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها * قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها * كذبت ثمود بطغواها * إذ انبعث أشقاها * فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها * فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها * ولا يخاف عقباها﴾

ـ ٧، ١٥/الشمس ـ.

فالله عز اسمه اذا رأى الناس قد تولوا عن الهدى وابتعدوا عن النور والاستقامة فانه يرحمهم، ولكن اذا رآهم يتمادون في غيهم، فانه يسويها و يدكها دكاً ولايخاف عقباها، فالله لايخاف من أحد وهل باستطاعة أحد ان يقول له لماذا فعلت كذا وكذا..؟

اذن نصل الى نتيجة واحدة هي: ضرورة العودة الى الله سبحانه وتعالى!!

ونحن حينما نقول: ان الخلاص في الاسلام، لا نعني كلمات الاسلام او رسوم القرآن، وانما حينما نقول الاسلام فاننا نقصد واقع الاسلام الحقيقي وتوجه الانسان الى الله!!

جاء في رواية ان جبرائيل (ع) حينما حمل قرى لوط وهي سبع او تسع قرى حملها على جناحه ورفع بها الى الفضاء فأوقفها فترة و بعد ذلك قلبها فسأل لوط (ع) جبرائيل لماذا فعلت كذلك؟ قال له لسببين:

السبب الأول: انه كان هناك ديك يصيح.

السبب الثاني: كان هناك رجل عجوز نائم اردت ان يستيقظ من النوم، فقد

يكون مؤمناً ولكنه حينما استيقظ قام يسأل عن الفاحشة، فدمرت القرى!!

جاء في الحديث الشريف: «لولا الحجة لساخت الارض باهلها» وتدل الروايات على ان «الحجة» تعني الانسان المؤمن بالله حق اليقين، فحتى لو كان في الناس شخصاً واحداً ملتزماً بحدود الله، لكفى ان يحفظ الله الارض من ان تسيخ باهلها. وجاء في الحديث الشريف:

■(لولا بهائم رتّع وأطفال رضّع وشيوخ ركّع وشباب خشّع لصب الله عليكم البلاء صبّاً)■

اذن فالله يرحم عباده، والاسلام الحقيقي هو التوحيد الالهي الذي يمنع العذاب عن البشر

● الثاني: سيادة المثل الاسلامية

ان الاسلام بتعاليمه الخلقية ينتزع فتيل الحرب من قلب الانسان وحينما أقول الاسلام فلا أقصد الاسلام المعتقل في المساجد والأماكن العبادية فقط او في الحرمين الشريفين او في حرم الحسين(ع) او غيره، وانما الاسلام العملي الشامل الذي اذا ساد البشرية فان مناهجه التربوية والخلقية والثقافية تسود الانسانية جميعاً،وعندها يستطيع ان ينزع فتيل الحرب من القلوب!!

فالحرب انما تندلع من اجل الدنيا، ومادام الاسلام يقول «حب الدنيا رأس كل خطيئة»، ومادام الانسان المؤمن يتضرع الى البارىء عزوجل و يدعوه قائلاً:

■(الهي أخرج حب الدنيا من قلبي)■

أي حب هذه الدنيا التي تسبب الويلات والمشاكل!، فكيف لايصبح الانسان خالياً من روح العدوان، طالما ان الطمأنينة والقناعة تملآن كيانه ووجدانه..؟ فاذا خرج حب الدنيا من قلب البشرية فان فتيل الحرب أيضاً سوف ينتزع من القلوب،

و ينزع الناس الى السلام والدعة والانصاف!

● الثالث: ممارسة دور الشهادة على العالم

ان الدولة الاسلامية القوية المقتدرة الممتدة على رقعة الوطن الاسلامي الواسع تستطيع القيام بدور الشاهد على أهل الارض.

[وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيداً]

ـ١٤٣/البقرةـ

فالدولة الاسلامية الكبرى التي نرجو ان تتحقق باذن الله سوف تقف الى جنب المظلوم! وليس مثل مجلس الامن، ألذي يصوم صوم الصمت بينما العراق المعتدي يضرب طوال اثنين وعشرين شهراً المدن الآهلة بالسكان وعندما ينسحب العراق تحت وطأة الحراب الاسلامية.. فان الاصوات ترتفع وتتعالى الاحتجاجات..!!، وهذا الذي حصل في مجلس الأمن. لن يحدث له مثيل في الدولة الاسلامية او الامة الاسلامية.

فالظالم يجب ان يمنع والمظلوم يجب ان ينصر وان يحمى.

وسوف تكون وصية الامام علي(عليه السلام) لولديه:

■(كونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً)■

شعار المسلمين في الدولة الاسلامية.

الفهــرس

الفصل الاول:

الفصل الثاني:

الفصل الثالث:

الفصل الرابع:

الفصل الخامس:

أ/ دراسات

الفكر الاسلامي .. مواجهة حضارية.
المنطق الاسلامي .. اصوله ومناهجه
الفقه الاسلامي .. الجزء الاول.
بحوث في القرآن.
تفسير: من هدى القرآن.
العمل الاسلامي.. منطلقاته واهدافه
المجتمع الاسلامي ..
التاريخ الاسلامي.
البعث الاسلامي. (بين يديك)

ب/ كتب

الاسلام .. ثورة اقتصادية.
محمد .. قدوة وأسوة.
مع الرسل على الطريق الشائك.
كيف تحيا سعيداً.
الامام الحسين قدوة وأسوة.
كيف انطلقت الثورة الاسلامية في ايران ولماذا؟
عاشوراء .. استمرار لحركة الانبياء.

ج/ كراسات

المرأة في المجتمع الاسلامي.

حضارة .. بلا مصير.

حضارة .. في بيت العنكبوت.

حضارتنا .. في عصر البترول.

الايمان .. والحضارة.

حضارتنا .. متى وكيف؟

الحسين .. ثورة لا تنتهي.

ثورة الحسين .. دروسها وابعادها.

الامام الحسين ثورة مستمرة.

نهضة الامام الحسين(ع).

الامام الحسين .. قائد المسيرة.

ابطال و بطولات.

الفكر لا المدفع.

رمضان مدرسة الانسان الحكيم والامة الراشدة.

عاشوراء ملحمة البطولة والفداء.

البناء الحضاري بين لا ونعم.

ثورة الامام الحسين تجسيد لرسالة النبي(ص).

سلسلة رؤى اسلامية في العمل الثوري.

الكتاب

• ما هو الأصلاح؟ ومن هو المصلح؟ وما هي العوامل الرئيسية والمساعدة للأصلاح في العالم الاسلامي؟ وما هي نظرة الاسلام في الأصلاح؟ ما هي استراتيجية الاسلاميين من أجل الوصول الى الاهداف الاسلامية؟ ما هو برنامج الاسلام من أجل تربية الفرد والمجتمع؟ ما هو برنامج الاسلام من أجل القضاء على التخلف؟ هل يمنع الاسلام وقوع الحروب؟

هذه وغيرها من الأسئلة الخطيرة التي تواجه الأمة الاسلامية اليوم، يجيب عنها كتاب «البعث الاسلامي» الذي يسعى المؤلف عبره الى إعطاء رؤية متكاملة حول أهم القضايا الاسلامية الراهنة.



الكاتب

* ولد سماحة العلامة السيد محمد تقي المدرسي في عام ١٩٤٥م في كربلاء المقدسة في العراق وتابع دراساته الدينية على أيدي علمائها الكبار.

* نقد الثقافة الاوروبية وحدد الثغرات الواسعة في جدارها.

* عمل على تطوير الحوزات العلمية عن طريق تنظيمها وتحديث برامجها ، وفق الحاجات الراهنة.